نَيلُ الأَماني

بشرْحِ

جَوَاهِرِ البَيانِ و البديع والمعاني

النظم وشرحه كلاهما

تأليف الفقير إلى رحمة الله

أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني ثم الإبراهيمي المحضري

المدرس بالمسجد الحرام

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م

ⓗ أحمد محمد الأمين المحضري ، ١٤١٩هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المحضري ، أحمد محمد الأمين
نيل الأماني بشرح جواهر البيان والبديع والمعاني - مكة المكرمة .
٢٨٠ صفحه ؛ ٢٥ × ١٧٫٥ سم .
ردمك : ٩ - ١٧٦ - ٣٥ - ٩٩٦٠
١ - البلاغة العربية أ - العنوان
ديوي ٤١٤ ١٩/٢١٦٠

رقم الإيداع : ١٩/٢١٦٠
ردمك : ٩ - ١٧٦ - ٣٥ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله حمداً يوافي مزيد نعمه ، حمداً يبرهن عن الاعتراف بجزيل فضله وكرمه وأشكره شكر من ورد مناهل فضله ، سبحانه ما أكرمه ، وأشهد أنه لا إله إلا الله ربنا الرحمن الذي خلق الإنسان علمه البيان ، وأصلي واسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ، هو افصح من تكلم من بني الإنسان ، أوحى الله إليه القرآن فأعجز به الخلق عن الاتيان بسورة من مثله .

وبعد .. فيقول الفقير إلى رحمة ربه ولطفه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني ثم الابراهيم من محاضر العلم منهم ، هذا شرح وضعته على نظمي لتلخيص المفتاح تأليف الأمام الخطيب القزويني على الفنون الثلاثة المعاني والبيان والبديع؛ والذي حملني على عقد مادة التلخيص به، الحرص على الإلمام بشئ من هذا الفن، فكنت أقوم بنظم حصتي اليومية أثناء دراستي له ، وها أنا جعلت عليه هذا الشرح المختصر لاستجلاب الشواهد لما يستدعي تطلب توضيحه استجلابه، وذلك بإرشاد من شيخي المرحوم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ثم اليعقوبي، حيث أني لما عرضت عليه النظم بعد كماله، أرشدني بوضع بعض الشرح عليه لاستجلاب الشواهد لما يستدعي المقام أستجلابها له ، وأسميته : (نيل الأماني بشرح جواهر البيان والبديع والمعاني) . والله أرجو وهو القادر على كل شئ، أن يوفقني لما يرضيه عني وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه تعالى ، وأن ينفع به كل من قرأه، أو حصله، أو اشتغل بشئ منه، إنه سميع مجيب، اللهم يسر

أمورنا، واشرح صدورنا، واهدنا لأقوم السبل لا يهدي لأقومها إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم عليك اتكالي ، أعوذ بك من شر كل حاسد، وادرأ بك في نحره، فإن الحاسدين كما قال القائل :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً — منِّي وما سمعوا من صالح دفنوا
مثل العصافير أحلاماً ومقدرة — لو يوزنون بزق الريش ماوزنوا
صمٌّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به — وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

على أنهم نسوا أو تناسوا أن الحسد هو أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء والأرض وأن الحاسد إنما يعترض على الله في قضائه .

ألا قل لمن أضحى لي حاسداً — أتدري على من أسأت الأدبْ
أسأت على الله في حكمه — لأنك لم ترض لي ما وهبْ

أسأل الله تعالى ان يلهم جميع المسلمين رشدهم ، وأن يتوب على جميعنا توبة تضع الأوزار عن ظهورنا ، وأن يكفينا جميعا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا ، وأن يعيذنا من شر الشيطان الرجيم وأن يجعلنا من قوم عرفوا نعمته فحمدوا.

مُحَسَّدين على ماكان من نعم — لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

اللهم إنا نسألك العافية ودوامها وأن تلهمنا الشكر عليها بتوفيقك ياأرحم الراحمين . (نص)

(يقُولُ أحمدُ هو ابْنُ أحمدَ — الجكنيُّ المحْضريُّ المحتد)
(نَزِيل دَار هِجْرة الرسولَ — وختمه بها مِن المَأمُولِ)

(مُسْتَمْسِكاً بكلِمَةِ الإخْلاَصِ ينجو بهَامِ الأخْذِ بالنَّواصي)
(الحمد لله الذي هدانا بفَضلِه وأنْزَلَ الفُرْقانا)
(على الرَّسولِ الْهَاشميِّ الهادي إلى طريقِ الرشْدِ والسَّدَاد)
(صَلى عليْه الله ما هب الصَّبَا وَغَرَّدَ الوَرْقُ على ذُرَى الرُّبَى)
(وآله وصَحْبِه الأخْيار مُمَزِّقِينَ طُرُقَ الكُفَّار)
(وبَعْدُ، هَا أنَاَ تَطَفُّلاً علي طَلبَةِ العلْمِ السَّني أهْلِ الْعُلاَ)
(نظمت مانثره القَزْويني مُحَافظاً جُهْدي على النَّبْيينِ)
(سَمَّيتُهُ جَواهِرَ البَيَانِ وعلمي البَديع والمَعَاني)
(واللَّهَ نَرْجُو العَوْنَ في ذا الْحَالِ وشَرحِ مَايَسَّرَ بالإفْضَالِ)
(أسْأَلُهُ التَّوفيقَ في الأعْمَالِ وصَرفِها بوجه ذي الجَلاَلِ)

عرف الناظم نفسه بأنه يدعى أحمد بن محمد الأمين بن محمد مبارك بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار بن الأمين بن المختار بن أحمد الشهير بجار الله بن الطالب الشهير بطالب المحضرة أي شيخها ابن الشيخ محمد عبد الله بن إبراهيم بن اكرير بن جاكان بن علي وهو الذي تنسب إليه قبيلة بني جاكان في صحراء موريتانيا، وهو الأظهر من حاله أنه عاش في القرن السادس للهجرة أو اخره أو أول القرن السابع لأن هذه القبيلة التي انتشرت من نسله كونت مدينة تينجي تقرأ بالجيم المصرية، في منتصف الطريق بين وادان وشنقيط، وكانت عامرة بالعلم والعمل الصالح حتى كان السبب في خرابها حرب أهلية بين فصائل هذه القبيلة وذلك في القرن العاشر الهجري تقريباً، وقد ذكر بعض أفراد هذه القبيلة ذلك لما مر على خرابات هذه البلدة قائلاً :

تنيجي قومي بإذن الله قائمة قد يبعث الله أقواماً وإن ماتوا

إلى أن قال :

أيديهم وقطعت أيديهم سفها ... لا عارَ مالعدوٍّ فيك إشماتُ

ولقد ذكرها ابن عمنا العلامة محمد المختار بن الأمين بن المختار، وكان ضمن رفقة حج مرت بالمغرب أيام كانت قوافل الحج من بلاد الصحراء تمر بالمغرب الاقصى، فسأله أحد من استضافوهم أمن شنقيط أنت أم من وادان أم من تشيت ؟ فأجابه بقصيدة نونية منها :

فإذا سألت حسين عَنِّيَ إنَّني ... من معشر غُرٍّ ذوي تيجان

فيهم يُعدُّ المجد قدما والندى ... وبهم يذاد الأزل عن ظمئان

لم استطب شنقيط يوما، لا ولمْ ... أكُ قاطنا بالشُّم من وادان

تشيتُ لم تكُ من منازلنا ولا ... بولاتة القصوى، وقيت الشَّاني

أأخا السعادة، والجديد إلى بلى ... مِصْرِي تنيجي الشّامخ الاركان

قصر مشيد كان محترما لنا ... فيما مضى من غابر الأزمان

واليوم أحتَلُّ الصحارى بعدما ... ألوي الزمان بغصنه الفينان

إلى أن قال :

وإذا جهلت ابا علي عترتي ... فَهُمُ المكماة الغُرٌ من جاكان

ذي الملك جاكن الأبر المرتضي ... السَّيِّد الأسمى الرفيع الشانِ

فيهم يغاث الملتجي لندائهم ... وبمالهم يفدي الأسير العَاني

فأولاك قومي ان تكن مستنجدا ... يوماً تغاث بطيِّب الأردان

وإذا أتيت ليمنعوك حللت في ... أطمٍ، فَثِقْ بالأمنَ والاحسان

سُمُحُ إذا لا ينتهم لكنهم ... يَغْضون عن عَوْراءِ ذي الشّنئان .الخ

وقول الشيخ محمد المختار : ذي الملك جاكان الأبر، يشربه إلى ان جكان هذا الذي يرجع نسب هذه القبيلة إليه كان أحد ملوك الدولة اللمتونية الحميرية في الصحراء وقبره موجود الآن معروف في ولاية الحوض الشرقي عند بئر يدعى آشَمِّيمْ بالناحية الشرقية من مدينة النعمة عاصمة الولاية .

ولقد ذكرت في ترجمة ابن عمنا وشيخ مشائخنا العلامة الشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان في إعداد المهج للإستفادة من المنهج، ذكرت ان نسب بني جاكان يرجع إلى قريش وان المشهور والشائع أن هذه القبيلة حميرية، وقد انكر عليَّ بعض المعاصرين ذلك القول، وكأني أول من قال ذلك، فإنما ذكرت ما هو معلوم عند علماء هذه القبيلة كالشيخ محمد العاقب بن مايابا الجكني ثم اليوسفي والشيخ محمد الحسن بن الإمام الجكني ثم العمري الحاجي وغيرهما .

ثم أنه مما رد به هذا المعاصر قولي هو ان من المعلوم ان جدنا جاكان بن علي هو أحد ملوك الدولة اللمتونية، وكأن ذاك يستلزم رجوع نسبه إلى اصلها الحميري ولم يتنبه صاحبي إلى هذه الدولة المغربية كانت مالكية المذهب وان المعتمد عند هؤلاء ان الإمام الأعظم يشترط فيه، علاوة على شروط القاضي، أن يكون قرشي النسب قال خليل في المختصر : وزيد في الإمام الأعظم قرشي .

ولقد خلف جاكان على ملك هذه الدولة ابن عمه وُدَيكة بن المختار، ويقول شعراء الأمراء من ذريته بالشعر النَّبطي بالدَّارجة الصحراوية :

أهْلْ أعْمَرْ نَسبْتْهُمْ قُرِيْشْ أهُومَ قَطّاعِينْ الفَيْشْ أهُومَ ثمَّارِينْ الجَيْشْ
أهُومَ خَلأّصِينْ[1] الدَّيْنْ وإتَمُّ فَوْقْ ادوْعيشْ مَن ظَرْكْ[2] إلى يَوْمْ الدِّينْ

وقال سَدُّوم الشاعر النبطي المشهور، يذكر حروب رفع الاتاوة التي وضعتها علينا المغافرة عندما أطاحوا بالحكم اللمتوني عام ١٠٤٠هـ يقول من قصيدته التي يذكر فيها سيد أحمد ولد بكار واخوته :

لَحْقُونَ قُرِيْشْ أهْلْ السَّعْدْ أَلحَقْ[3] زَادْ اتــزَ[4] نْقيَّتْنَ
كَلْمَ خَرْجَتْ مَنْ عَنْدْ جَدْرْ[5] الحَسَّادْ الْحَسْدَتْنَ

على انه لا يخفى ان نسبنا الأصلي هو الإسلام وهو الذي به افتخارنا ولقد تحملنا رايته إلا انه من غير المعقول ان يزهد أحد في نسبة تقربه من رسول الله ﷺ ، ونعم النسب حمير ، غير ان الله فضل قريشاً .

وبمناسبة ذكر بني عمومتنا من آل أعْمر ولد محمد، فاني أعد بإذن الله بوضع شئ ما عن قبيلة ادوعبيش ، والله الموفق .

وأما المؤلف فهو رجل [illegible] من هذه القبيلة يكفيه فخراً إنتماؤه إلى الإسلام وانه من طلبة العلامة أمير المؤمنين في المعقول والمنقول المرحوم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ثم اليعقوبي صاحب أضواء البيان وغيره من التآليف النافعة .

---

(١) خلأصين الدين : أي الآخذين بالتراث . (٢) من ظرك : أي من الآن بلهجتهم .
(٣) لحقون : أي وجدونا ، وكذلك قوله الحق أي وجدوا
(٤) جدر الحساد : أصل الحساد وهو جمع حاسد.
(٥) اتزنقيتن : أي نسبتنا إلى ازناقه وهي كلمة يطلقونها على بقية زناتنه من البربر

وقولي : نزيل دار هجرة الرسول، لأني كنت أوان نظمي لهذا الفن موظفاً بوزارة الإعلام بالمدينة المنورة، وقد جرى القدر بنقلي للتدريس بشئون الحرمين الشريفين بمكة المكرمة زادها الله شرفاً، ولازلت أحن على المدينة لأني مدني المذهب والنَّزعة، زاد الله الحرمين الشريفين وحاميهما عزاً وشرفاً ، وأؤمل الختم فيها على الإيمان، وما ذلك على الله بعزيز .

اللهم اختم بالسعادة آجالنا ووفقنا لما ترضى به عنا حتى نلقاك وأنت راض وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

(هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)

نص

(مقدمة فى الكشف عن معني الفصاحة والبلاغية)

ش : المقدمة ، قال ابن السبكي في عروس الأفراح، كأخوذة من التقديم وفيها الفتح وهو الأشهر بمعنى أن الإنسان يقدمها، ومنه مقدمة الرحل، والكسر، بمعنى أنها تقدم الإنسان لمقصوده، ومنه مقدمة الجيش، قال : ومقدمة الشئ تارة تكون منه فالإضافة فيها على معنى من، ومنه مقدمة الجيش وتارة تكون خارجة عنه كالذريعة فالإضافة فيها على معنى اللام، فإن أريد أنها مقدمة الكتاب فهى جزء منه، وان اريد أنها مقدمة العلوم فهى ذريعة اليها بدليل أنه ستذكر هذه العلوم مستقلة، ويجوز ان تكون جزءاً لكل من الفنون الثلاثة ولذلك قدمت عليها أهـ . بتصرف .

والفصاحة : قال محمد بن عرفة الدسوقي في شرح التلخيص : تطلق على نزع الرغوة ، وعلى ذهاب اللبأ من اللبن، يقال سقاهم لنا فصيحا، ويقال أفصح الصبح إذا بدا ضوءه وأفصح العجمي إذا تكلم بالعربية، وفصح المرء إذا انطلق لسانه وخلصت لغته عن اللكنة وأفصح الصبي في منطقه، إذا فهم ما يقول في أول ما يتكلم، ويقال للمتكلم أفصح ان كنت صادقاً إي بين، لذلك فإنه يمكن القول بأن الفصاحة تنبئ عن الظهور أي تدل عليه، وليس الظهور معنى لها حقيقة ولكنها تتضمنه بالإستلزام ، قال الدسوقي لأنه لم يوجد لها معنى هو الظهور كما يفيده كلام المصباح، قال : إن معناها ليس الظهور بل

شيء ينبئ عنه ويدل عليه والمراد هنا بالإنباء الدلالة الالتزامية لا المطابقة لأن لفظ الفصاحة لم يوضع للظهور حتى تكون دلالته عليه بالمطابقة ولا التضمنية، لأن لفظ فصاحة لم يوجد في كتب اللغة انه موضوع للظهور وغيره حتى تكون دلالته عليه تضمنية، ثم ان الفصاحة نقلت عرفا إلى وصف في الكلمة والكلام والمتكلم لا يخلو من ملابسه وضوح وظهور. أهـ. منه بتصرف .

وأما البلاغة : قال في القاموس : بلغ الرجل بلاغة إذا كان يبلغ بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا اخلال ، أو إطالة بلا املال . قال الدسوقي : فهي أي البلاغة حينئذ تنبئ في اللغة عن الوصول والانتهاء لكونها وصولاً مخصوصاً بالعبارة إلى المراد من غير اخلال . اهـ. منه بتصرف .

وأما البلاغة : في الاصطلاح فهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ والمناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ظاهرة لأن الكلام إذا طابق مقتضى الحال وصل للمطلوب عند البلغاء .

نص :

(يُوصَفُ بِالْفَصَاحَةِ الْكَلاَمُ ومُتَكَلِّمٌ ولاَ مَلاَمُ)
(ثُمَّ هُمَا ومُفْرَدٌ سِيَانِ أمَّا البَلاَغَةُ فَالأوَّلاَنِ)

ش : يعني أن الفصاحة يوصف بها الكلام، فتقول هذه قصيدة فصيحة أو هذه رسالة فصيحة، ويوصف بها المتكلم ، فيقال هذا شاعر فصيح أو كاتب فصيح ويوصف بها أيضاً المفرد ويعني به الكلمة الواحدة، فتقول هذه الكلمة

فصيحة وأما البلاغة فلا يوصف بها إلا الكلام والمتكلم فقط ولا يوصف بها المفرد .

نص :

(فَصَاحَةُ المفرد أن يخْلُصَ منْ تَنَافُر الحُرُوف في الَّذي زُكِنْ)
(ومِنْ غرابَةٍ لَدىَ الأنَاسِ وَأنْ يَجي جَرْياً عَلى القِيَاس)

ش : يعني أن فصاحة المفرد والمراد به الكلمة الواحدة ، هي سلامته من تنافر الحروف، ومن الغرابة، ومن مخالفة القياس اللغوي، قال ابن السبكي في عروس الأفراح : الفصاحة في المفرد هي التئام الحروف، وكثرة الاستعمال وموافقة القياس، والمراد عنده بالاستعمال استعمال العرب، وبالقياس قياس التصريف .

والمقصود هنا خلوص المفرد من كل واحد من الثلاثة المذكورة لا من مجموعها .

ثم مثل الناظم لكل من الأمور الثلاثة ، فقال :

نص :

(تَنَافُرُ الحُروفِ دُونَ غَيٍّ مُسْتَشْزِرَاتٌ قَولَةَ الكِنْدِيِّ)

ش : يعني أن مثال تنافر الحروف في الكلمة الواحدة قول امرئ القيس بن حجر الكندي مستشزرات في بيته الذي يقول فيه واصفا شعر رأس محبوبته :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلى تضل المدارى في مثنى ومرسل

الفرع : الشعر ، والأثيث : الكثير ، والقنو : العنقود ، والمتعثكل : المتراكم ، والغدائر : الذوائب ، والمستشزرات : مرتفعات .

وقول الناظم : قولة الكندي ، مفعول به منصوب بفعل محذوف تقديره أعنى قولة والكندي هو امرؤ القيس بن حجر الملك الضليل الماجن أشهر من ان يحتاج إلى تعريف .

واعلم أن التنافر بين الحروف ينقسم إلى قسمين ، منهما ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها، كما روى ان اعرابياً سئل عن ناقته فقال : تركتها ترعى الْهُعْخُعَ، ومن التنافر ما يكون دون ذلك كما مثل به النظم .

وذكر ابن السبكي في عروس الأفراح أن الخليل بن أحمد قال : سمعنا كلمة شنعاء وهى الْهُعْخُعَ ما ذكرنا تأليفها، والهاء والعين لا يكاد واحد منهما يتآلف مع الآخر من غير فصل، وشذ من ذلك قولهم هعَّ بَهَعٌّ إذا قاء .

قال : والْهُعْخُعَ نبت، قال الصغاني في العباب ابن دريد : الْهُعْخُعَ مثال هدهد ضرب من النبت . أهـ . محل الغرض منه .

نص :

(ثُمَّ الْغَرابَة الَّتي لاَتُرْتَجى في قولهِ ومَرْسِناً مُسَرَّجَا)

ش : يعني أن الغرابة التي يشترط في فصاحة المفرد سلامته منها يمثلون لها بقول العجاج : ومرسنا مسرجا . قال ابن السبكي في عروس الأفراح : والمراد قلة استعمال الكلمة لذلك المعنى لا لغيره ؛ وقال الدسوقي : اعلم ان

الغريب قسمان أحدهما ما تتوقف معرفته على التفتيش والبحث عن كتب اللغة العربية لعدم تداوله في لغة خلص العرب كتكاكأتم وافرنقعوا، فإن مثل هذه لعدم تداولها في لغة العرب، لا يذكرها في كتابه إلا من قلّ، ومنه مالايرجع في معناه إلى كتب اللغة لكونه غير مستعمل عند العرب فيحتاج إلى ان يخرج على وجه بعيد وذلك نحو غرابة مسرج في قول العجاج هو رؤبة عبد الله البصري أبو محمد بن العجاج التميمي السعدي هو وأبوه راجزان مشهوران لكل واحد منهما ديوان ليس فيه إلا الأراجيز، وأبوه سمع من أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا من قوله في قصيدة طويلة مطلعها :

ما هاج أشجانا وشجوا قد شجا	من طلل كالأتحمي أنهجا
أمسى لها في الرامسات مدرجا	واتخذته النائحات منأجا
منازل هيجن من تهيجا	من آل ليلى قد عفون حججا
والشحط قطاع راجاء من رجا	أزمان [1] أبدت واضحا مفلجا
اغر براقا وطرفا أبرجا	ومقلة وحاجبا مزججا

وفاحما ومرسنا مسرجا الخ

والشاهد فيه : وفاحما ومرسنا مسرجا، فالفاحم يريد به الشعر الأسود كالفحم، ومرسنا أي أنفا فهو مجاز مرسل علاقته المحلية لان المرسن اسم لمحل الرسن وهو أنف البعير فأطلق عن قيده واريد به الأنف، لكننا لا ندري ما يريد

(١) وفي رواية : أيامَ ابدت .... وبذلك تعلم بطلان من زعم أن ازمان اسم امرأة ورواية ايام ذكرها ابن السبكي في عروس الأفراح

بالضبط بقوله مسرجا، ايريد انه كالسيف السريجي في الدقة والاستواء أو انه كالسراج في البريق. والحاصل انهم اختلفوا في تخريجه، فقيل هو من قولهم للسيوف «سُريجيَّة» نسبة إلى قين يقال له سُريج، يريدانه في الدقة والاستواء كالسيف السُّريجي ؛ وقيل من السراج يريد انه في البريق كالسراج .

نص :

(والحمد للهِ العَلِيِّ الأجْلَلِ   خِلافُ قياسٍ على القَوْلِ الجَلِي)

ش : يعني أنهم مثلوا لمخالفة القياس عند الجمهور بفك الادغام في قول ابي النجم العجلي : الحمد لله العلي الاجلل . فان القياس الأجلّ بالأدغام كما يقتضيه قياس التصريف لاجتماع المثلين وتحرك الثاني وذلك يوجب الإدغام ، فإن اعترض بأن عدم الادغام جائز لضرورة الشعر وحينئذ فلا يكون مخالفاً للقياس، فالجواب أن غاية ما اقتضته الضرورة الشعرية الجواز وهو لا يتنافى انتفاء الفصاحة، لأن انتفاء الفصاحة لازم لكون الكلمة غير كثيرة الاستعمال على ألسنة العرب العرباء لا لعدم جواز ما ارتكبه الشاعر، فان قوله الاجلل جائز في الشعر كما ذكره سيبويه إلا أن العرب الخلص يتحاشون استعماله كما يتحاشون استعمال تكأكأتم .

تنبيه : وقد يضاف إلى شروط فصاحة المفرد المتقدمة السلامة من الكراهة في السمع بأن تمج الكلمة وتبرأ من سماعها كما يتبرأ من الأصوات المنكرة، قالوا فان اللفظ من قبل الأصوات ، والأصوات منها ما تستلذه النفس ومنها ما تكره سماعه ومثلوا لذلك بقول المتنبي :

كريم الجرشّي شريف النسب: أي كريم النفس وهذا القول من قصيدة له في المتقارب يمدح بها سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب لما أرسل له كتاباً يطلبه من الكوفة بأمان ، فأجابه بهذه القصيدة [1] :

فهمت الكتاب ابر الكتب	**فسمعا لأمر أمير العرب**	**وطوعا له وابتهاجا به**
وان قصر الفعل عما وجب	**وماعاقني غير خوف الوشاة**	**وان الوشاة طريق الكذب**
وتكثير قوم وتقليلهم	**وتقريبهم بيننا والخبب**	**وقد كان ينصرهم سمعه**
وينصرني سمعه والحسب	**وما قلت للبدر انت اللجين**	**ولاقلت للشمس أني الذهب**
فيقلق منه البعيد الأني	**ويغضب منه البطئ العضب**	**ومالاقني بعدكم بلدة**
ولااعتضت من رب نعماء رب	**ومن ركب الثور بعد الجوا**	**د أنكر أظلافه والغبب**
وإن قست كل ملوك البلاد	**فدع ذكر بعض من بحلب**	**ولو كنت سميتهم باسمه**
لكان الحديد وكانوا الخشب	**أفي الرأي يشبه ام في السخا**	**أم في الشجاعة أم في الأدب**
مبارك الاسم أغر اللقب	**كريم الجرشي شريف النسب**	**إذا حاز ملا فقد حازه**

فتىً لا يسر بما لا يهبْ

وهذا الشعر لأبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المتنبي لقب به لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة، قالوا : وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليهم لؤلؤ أمير حمير نائب كافور الأخشيدي فأسره وتفرق أصاحبه وحبسه طويلاً ثم استتابه واطلقه. أنظر الدسوقي على التلخيص .

قال في الإيضاح : وفيه نظر أي في اشتراط الخلوص من الكراهة في

---

(١) الدسوقي علي التلخيص : شروح التلخيص ج١ ص ٩٠ ط١ الحلبي

السمع في الفصاحة نظر، لأن من لا يشترط ذلك يقول أن الكراهة في السمع وعدمها ليست إلا من قبح الصوت وعدم قبحه لا من ذات اللفظ، وحينئذ فلو احترز عنها لخرج كثير من المتفق على فصاحته بسبب نطق قبيح الصوت بها، واعترض على هذا الاعتراض بأنا لا نسلم أن الكراهية في السمع وعدمها إنما يرجعان لقبح الصوت وحسنه لا لنفس اللفظ إذ لو كان كذلك لزم أن يكون الجرشي غير مكروه في السمع إلا إذا سمع من قبيح الصوت وليس كذلك للقطع بكراهته دون مرادفه وان نطق به حسن الصوت ، وحينئذ فحصر الكراهة في السمع على قبح النغم باطل فتعين القول بأن الكراهة إنما هى من جهة الغرابة ، والله تعالى أعلم .

تنبيه : قال في الإيضاح : ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا أو أكثر من استعمالهم بما بمعناها . واعترض عليه ابن السبكي في العروس قائلاً : قوله أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها، فيه نظر لاستلزامه ان مراتب الفصاحة لا تتفاوت، لأنه إذا كان استعمالهم لها أكثر من غيرها، وجعلنا ذلك دليلاً على الفصاحة، فلا يكون غيرها فصيحاً الخ . كلامه فتأمل مراده بذاك .

نص :

(وَفَصَّحُوا الكلامَ إنْ هو سَلِمْ ... من ضَعْفِ تَأليفٍ وتعقيدْ الكَلِمْ)
(وَمَنْ تَنَافُرٍ وذا الأَضَرُّ ... كَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرَ)

ش : يعني أن العرب يحكمون على الكلام بالفصاحة إذا سلم من ثلاثة

أشياء هى : ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات ، وتعقيد الكلام، بشرط أن تكون الكلمات فصيحة في نفسها يتوفر فيها ما يشترط لفصاحة المفرد ، وعبارة الإيضاح وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها . وقوله : وذا الأضر ، يشير به إلى ان التنافر منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النّطق بها متتابعة ، وذاك كما في البيت الذي مثل به ، قال ابن يعقوب المغربي في مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ما نصه : ولا يخفى ما فيه من التناهي في الثقل، وقال ابن السبكي : ذكروا انه من شعر الجن وأنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرار فلا يتتعتع . أ هـ .

وذكر الدسوقي في حاشيته على مختصر السعد على التلخيص، ذكر اسطورة الله تعالى اعلم بها، قال : ذكر ابو عبيدة وأبو عمرو الشيباني ان حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو واخوته مروا بغيضة واشجار ملتفة فقال له مرداس السلمي، وكان صاحبا له : أما ترى ياحرب هذا الموضع؟ قال بلى ، نعم المزدرع فقال له : فهل لك ان نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعها بعد ذلك ؟ فقال نعم ، فأضرما النار في تلك الغيضة، فلما استطارت وعلا لهبها، سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهر منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها، فلما احترقت الغيضة سمعوا هاتفاً يقول :

ويلٌ لحرب فارسا — مطاعنا مخالسا

ويل لحرب فارسا — إذ لبسوا القوانسا

قال : فلم يلبث حرب ومرداس ان ماتا . اهـ .

ومن التنافر ما هو دون ذلك كقول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معي وإذا مالمته لمته وحدي

قال السعد التفتازاني : إنما مثل بالمثالين لأن الأول متناه في الثقل والثاني دونه لأن منشأ الثقل في الأول ، ويعني به وقبر حرب البيت ، نفس اجتماع الكلمات، وفي الثاني حروف منها وهو في تكرير امدحه دون مجرد الجمع بين الحاء والهاء لوقوعه في التنزيل مثل (فسَبِّحْهُ) فلا يصح القول بأن مثل هذا النقل مخل بالفصاحة . أهـ .

وذكر الدسوقي في حاشيته على السعد أن حبيب بن اوس قال قصيدته التي منها هذا البيت يعتذر فيها لممدوحه الغيث موسى بن إبراهيم الرافعي لما بلغه انه هجاه فعاتبه على ذلك فقال أبو تمام القصيدة معتذراً ومتبرئاً مما نسب إليه ، وقبل البيت المذكور :

أتاني مع الركبان ظن ظننته   نكست له رأسي حياء من المجد

وهتكت بالقول الخنا حرمة العلا   وأسلكت حر الشعر في مسلك العبد

نسيت إذاكم من يد لك شاكلت   يد القرب أعدت مستهاما على البعد

وأنك أحكمت الذي بين فكرتي   وبين القوافي من زمام ومن عهد

وأصلحت شعري فاعتلى رونق الضحي   ولولاك لم يظهر زماناً من الغمد

أعيذك بالرحمن أن تطرد الكرى   بعتبك عن عين امرئ صادق الود

أألبس هجر القول من لو هجرته   إذا لهجاني عنه معروفه عندي

كريم إذا أمدحه أمدحه والورى   معي وإذا ما لمته لمته وحدي

نص :

(وضْعفُ تَأليف الْكَلاَمِ ضَربَا غُلاَمُه زَيْداً وذا الْجُلُّ أَبَى)

ش : مراد الناظم أنهم يمثلون لضعف تأليف الكلام بقولهم ضرب غلامه زيدا برفع غلامه على أنه فاعل ضرب ، فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظاً ممنوع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه إلى متأخر لفظاً ورتبة، وقال قوم أن هذا الترتيب جائز لقول نابغة ذبيان :

جزى ربُّه عنّي عديَّ بن حاتم جزاءَ الكلاب العاويات وقد فَعَلْ

وأجاب الجمهور عن الاستدلال بهذا البيت بأن الضمير فيه لم يعد فيه على المفعول المتأخر لفظاً ورتبة بل الضمير فيه عائد إلى الجزاء مصدر جزى أي رب الجزاء، كما في قوله تعالى :

﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى . . ﴾ الآية هو أي العدل .

نص :

(وكُلُّ قَوْلٍ لاَ تَجي الدَّلاَلَةْ ظاهِرَةً عَلى الَّذي أَتَى لَهْ)
(لِخَلَلٍ فَإِنَّهُ مُعَقَّدُ وَذَاكَ صِنْفَانَ عَلَيْه أوْرَدُوا)
(في الانْتِقَال قَولَهُ لِتَجْمُدَا فَغَلَّطُوا صَاحِبَهُ لِمَا بَدا)
(منْ ظَنِّه الجُمُودَ لِلسَّراء والْحَالُ لاَ تَزالُ لِلْبُكَاء)
(وَأَوْرَدُوا في النَّظمِ لِلْفَرَزْدَقِ إلاَّ مُمَلَّكاً، فَتَعْقِيدٌ لُقِي)

ش : يريد الناظم أن التعقيد هو ان لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به لوجود خلل فيه إمَّا ان يكون ذلك الخلل راجعاً إلى المعنى وإما أن

يكون الخلل في اللفظ .

فأما الخلل المعنوي فهو أن لا يكون إنتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني ، الذي هو لازمه والمراد به ، ظاهرا ، فإنه يوقع في الجهل المركب وهو فهم الشئ على غيرما هو عليه، ومثلوا له بقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

فقد كنَّى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن، وهو مصيب في ذلك لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عن الحزن، ثم طرد ذلك في نقيضه، فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور، بجمود العين، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شئ آخر، وأخطأ، فإن الجمود خلوُّ العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها ، فلا يكنى به عن المسرة بل يكنى به عن البخل كما في قول الشاعر يرثي ابن هبيرة :

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط   عليك بجاري دمعها لجَمُودُ

قال في الإيضاح : ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يدعي به للرجل فيقال : لازالت عينك جامدة، كما يقال : لا أبكى الله عينك، وذلك مما لا يشك في بطلانه . أ هـ .

وقولي في النظم «لتجمدا» إنما اشير به إلى هذا البيت ، ومعنى الأبيات واضح بين وأما التعقيد اللفظي فقد مثلوا له ببيت الفرزدق :

وما مثله في الناس الا مملكا   ابو امه حيٌّ أبوه لا يقاربه

فإنه قد اختل نظم الكلام فيه فلا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى

معناه فإن الشاعر يريد أن يقول في ممدوحه أنه ما مثله في الناس حي يقاربه إلا ملكاً أبو أمه أبوه ، فإن الممدوح خال هشام بن عبد الملك بن مروان ، فأتى بألفاظ معقدة، قال : وما مثله، يعني إبراهيم الممدوح، في الناس حي يقاربه أي أحد يشبهه في الفضائل، إلا مملكا، يعني هشاما ، أبو أمه ، أي أبو ام هشام أبوه، أي الممدوح ؛ فالضمير في أمه للمملك و، وفي أبوه للممدوح، ففصل بين « أبو أمه » وهو مبتدأ ، و« أبوه » وهو خبره بـ« حي » وهو اجنبي ، وكذا فصل بين « حي » و « يقاربه » وهو نعت حي بـ« أبوه » وهو أجنبي، وقدم المستثنى على المستثنى منه فهو كما تراه في غاية التعقيد اللفظي .

فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي هو ما سلم نظمه من الخلل ، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم، أو، تأخير، أو اضمار أو غير ذلك، الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية كما يأتي تفصيله وأمثلته اللائقة به إن شاء الله .

تنبيه : من الناس من شرط في فصاحة الكلام، علاوة على ما تقدم، ان يكون سالماً من كثرة التكرار وتتابع الإضافات، وانشد على كثرة التكرار قول أبي الطيب :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

فكأنها تسبح على الماء، ويوصف بسبوح المذكر والمؤنث، ثم وصف الفرس بدلائل نجابتها بقوله لها منها عليها شواهد أي تلك الفرس شواهد عليها أي تشهد على نجابتها حال كون تلك الشواهد كائنة منها لأن علامة

نجابة الفرس توجد في خلقتها غالباً ، فشواهد فاعل بلها أو مبتدأ ولها خبره وعليها متعلق بشواهد ومنها حال من شواهد، كذا قال ابن يعقوب المغربي في مواهب الفتاح قال : وأنشد على تتابع الأضافات قوله :

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

قال في الإيضاح : وفيه نظر ، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم، وإلا فلا يخل بالفصاحة، وقد قال النبي ﷺ : (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم) .وقال الشيخ عبد القاهر قال الصاحب : اياك والاضافات المتداخلة فإنها لا تحسن وذكر انها تستعمل في الهجاء مثل قول القائل :

ياعليُّ بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة في خيارة

ثم قال الشيخ : ولاشك في ثقل ذلك في الاكثرية لكنه إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ومما يحسن فيه قول ابن المعتز :

وظلت تدير الراح أيدي جآذر عتاق دنانير الوجوه حسان

ومما جاء فيه حسنا جميلاً قول الخالدي يصف غلاماً له :

ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على ان يزيد مجتهدُ
وصيرفيُّ القريض وزّان دينا ر المعاني الدقاق منتقدُ

نص :

(ثُمَّ الفَصَاحَةُ لِذي الكَلَامِ مَلَكَةٌ يُقْدَرُ بالتَّمَامِ)
(بِهَا عَلى التَّعْبِيرِ عَن مَقْصُودِ بِلَفْظِهِ الْفَصِيحِ ذي الْوُرُودِ)

ش : يعني آن الفصاحة في المتكلم هى ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح وإنما قال ملكة ليشير إلى أنها صفة راسخة فيه فلهذا لم يقل صفة، فإن الملكة كيفية نفسانية راسخة، وقال يقتدر بها ولم يقل يعبر، لانه لا يشترط النطق بالفعل ، وقيل بلفظ فصيح ليعم المفرد والمركب .

نص :

(وعَرَّفُوا بلاغَةَ الأَقْوَال قَالُوا طِبَاقُ مُقْتَضي الأَحْوال)
(مَعَ فَصَاحَةٍ وذَاكَ يَخْتَلِفْ حيثُ مَقَامَاتُ الْكَلَامِ تَخْتَلِفْ)
(إنَّ اقتِضَاءَ حذْفِه وفَصْلِه مُغايرٌ لذكرِه ووَصْلِه)
(ثُمَّ وَفي الإيجَازِ والإطنَاب تَغَايُرٌ مِنْ غَيْرِ مَا عِتَاب)
(كَذَاكَ في التَّعْرِيف والتَنْكِير تَغَايُرٌ مِن غَيْرِ مَا نكير)
(ومَا بِه الخطابُ للذَّكيِّ يُخالفُ الْخِطَابَ لِلْغَبيِّ)
(فَكُلُّ كلمَةٍ بِهَا الكَلَامُ لهَا بِه مَعْ أخْتِهَا مَقَامُ)
(إذاً يُرَى ارْتِفَاعُ شَأنِ القَوْل وَضِدُّهُ في الحُسْنِ والقَبُول)
(بِذا التَّطَابُق وُجُود اعَدَمَا بذاكَ تَعْلَمُ يَقِيناً أنَّمَا)
(مَرْجِعُ ذِي الْبَلاَغَةِ المَعَاني لاَ اللَّفْظُ مُطْلقاً بِلاَ بُهْتَانِ)

ش : يعني أن أهل اللغة العربية عرفوا بلاغة الكلام بأنها مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف لأن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافة ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز

يباين مقام الاطناب والمساواة، وخطاب الّذكيّ يباين خطاب الغبيِّ، وان لكل كلمة مع صاحبتها مقام، كما سيأتي تفصيله بإذن الله، وإذاً فإن ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب له، وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، أي فلا يتوهم أنهما شيئان وقد تبين بما ذكر أن البلاغة يوصف بها اللفظ باعتبار المعنى عند التركيب؛ واعلم أنه اختلف الناس في البلاغة والفصاحة من صفات اللفظ أو المعنى وهل هما مترادفان أو لا، ونقل في الإيضاح عن عبد القاهر كلاماً في ذلك مختلف الظاهر وحاصل مجموع كلامه أن الفصاحة ليست من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب، قال ابن السبكي وأنت إذا تأملت عبارة المصنف في حدود الفصاحة ، علمت أن فصاحة المفرد كلها لفظية لا تعلق لها بالمعنى ألبتة والغرابة لفظية فإنها تتعلق بسماع اللفظ، وفصاحة الكلام تنقسم إلى معنوي وهو الخلوص من التعقيد والضعف، ولفظي وهو الخلوص من التنافر والتعقيد اللفظي، وفصاحة المتكلم معنوية، وما احسن عبارة عبد اللطيف البغدادي حيث قال في قوانين البلاغة : البلاغة شئ يبتدئ من المعنى وينتهي إلى اللفظ، فإن فيها جمعاً بين ما افترق من كلام الناس وهي الحق ان شاء الله : انتهى منه .

نص :

(وَطَرَفَا البَلاَغَةِ الإثْنَانِ أعْلاَهما مُعْجزَةُ القُرْآن)
(ثَانيهمَا هُوَ الّذي إذا نَزَلْ عَنْهُ الْكَلاَمُ كانَ لَغْوا يَنْسَفِلْ)
(بَيْنَهُما مَرَاتِبُ كَثيرَةْ مَتْبُوعَةٌ بأوْجُهٍ شَهيرَةْ)
(مُؤَثِّراتِ الحُسْنْ في الكلامِ مِن غَيْرِ مَا فُكرٍ وَلا قَلاَمِ)

ش : يعني ان البلاغة لها طرفان : طرف أعلى إليه تنتهي وهو حد الاعجاز وما يقرب منه، وطرف أسفل منه تبتدئ، وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ماهو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات وإن كان صحيح الإعراب ؛ وبين هذين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة .

ثم ان البلاغة تتبعها وجوه كثيرة غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة، تورث الكلام حُسنًا وقبولاً .

نص :

(وَحَدُّهَا في ذِي الكَلاَمِ مِثْلُ مَا حُدَّتْ بِهِ فَصَاحَتُهْ لكِنَّما)

(كُلُّ بَلِيغٍ بِالفَصَاحَةِ وَسِمْ والْعَكْسُ مَمْنُوعٌ على الذي رُسِمْ)

ش : يعني أنهم حَدُّوا بلاغة المتكلم بأنها ملكة يقدر بها على تأليف كلام بليغ، فعلم أنه كل بليغ فصيح كلاماً كان أو متكلماً. وليس كل فصيح بليغاً لأن البلاغة لابد فيها من فصاحة الكلام والكلماتْ .

يعلم منه أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز من الخطأ في تأدية المعنى المراد، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، وتمييز الكلام الفصيح منه ما يتبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو. أو يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوي ، أما ما يحترز به من الخطأ في تأدية المعنى المراد فهو علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي فهو البيان، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع، وكثير من الناس يسمي الجميع علم البيان، قلت : وهو الإصطلاح الشائع في غرب أفريقيا فإنهم يطلقون البيان على العلوم الثلاثة ، وبالله التوفيق .

علم المعاني

نص :

(عِلْمٌ بِه لَفْظُ الْكَلاَمِ الْعَرَبِي   يُعْرَفُ حَالُهُ الْمَعَانِيَ انْسَبُ)
(أَعْنِي الَّتِي بِهَا طِبَاقُ مُقْتَضِي   حَالِ الْكَلاَمِ فِي الَّذِي قَدِ ارْتُضَى)

ش : عرف الناظم علم المعاني بأنه العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي الذي به يطابق مقتضى الحال ، وإنما قال يعرف دون يعلم رعاية لما اعتبره بعضهم من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات .قال ابن السبكي : وإنما قدم هذا على علم البيان والبديع لأنه منهما كالأصل للفرع، قال الخطيبي علم المعاني يبحث عما يعرف منه كيفية تأدية المعنى باللفظ ، وعلم البيان يبحث عما يعلم منه كيفية إيراد ذلك المعنى في أفضل الطرق دلالة عقلية، فنسبة علم المعاني إلى البيان نسبة الفرد إلى المركب ولذلك قدم عليه .

نص :

(وَقَسَّمُوا فِي الْفَنِّ لِلْمَعَانِي   تَقْسِيمَ أَجْزَاءٍ إِلَى ثَمَانِ)
(إِسْنَادُ خُبْرٍ، حَالُ مُسْنَدٍ إِلَيْهِ   أَحْوَالُ مُسْنَدٍ وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ)
(قَصْرٌ، وإنْشَاءً، ووصْلُ فَصْلُ   الاطنَابُ الايجَازُ تُسَاوٍ يَجْلُو)
(تَعَلُّقُ الْفِعْلِ وحاله جَرى   بِعَدِّهِ ثامِنَهَا كَمَا تَرى)

ش : يعني أن أهل الفن قسموا المعاني إلى ثمانية أبواب هى : الإسناد الخبري وأحواله، وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل ، والقصر، والإنشاء ، والفصل والوصل ، والإيجاز والاطناب والمساواة .

ذلك أن الكلام إما خبر وإما إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج أصلاً ، فالأول الخبر والثاني الإنشاء، ثم الخبر لابد له من إسناد ومسند إليه ومسند، وأحوال هذه الثلاثة هى الأبواب الثلاثة الأولى، ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متصلاً به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع ، ثم الإسناد والتعلق كل منهما قد يكون اما بقصر، أو بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس، والإنشاء هو الباب السادس، ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية أما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة وهذا الباب السابع، ولفظ الكلام البليغ إما زائد على الأصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .

نص :

(مُحْتَمِلُ الصِّدْقِ وضِدِّهِ الخَبَر	وَعكْسُهُ الإنْشَا عَلى الذي اسْتَقَرْ)
(والْخَبَرُ الصَّادِقُ جَاَ فِيمَا وُعِي	مُطَابِقاً لنَفْسِ الأمْرِ الْوَاقِعي)
(وكِذْبُهُ بِضِدِّهِ، وَقِيلَ بَلْ	مَا فِي اعْتِقَادِ مُخْبِرٍ وَلَو زَلَلْ)[1]

ش : يعني أن مذهب الجمهور أن الخبر منحصر في أنه اما صادق وإما كاذب، وقال الأكثر منهم : صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقته للواقع، قال في الإيضاح : هذا هو المشهور وعليه التعويل، وقال قوم : صدق الخبر مطابقته لإعتقاد المخبر، صواباً كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقته لذلك، وحجة من قال هذا القول الأخير أن من اعتقد أمرا فأخبر به ثم ظهر خَبَرُهُ بخلاف الواقع يقال : ما كذب ولكنه أخطأ كما روى عن أمنا عائشة رضي الله عنها. قالت فيمن شأنه كذلك : «ماكذب ولكنه وهم» .

ورُدَّ هذا الاستدلال بأن المنفي تعمد الكذب، لا الكذب، بدليل تكذيب اليهودي مثلاً، إذا قال الإسلام باطل، وهو مطابق لما يعتقده،

---

(١) قوله : ولو زَلَلْ هو خبر كان محذوفة أي ولو كان زللا ووقف الناظم عليه بالسكون لضرورة الوزن وعلى لغة ربيعة

وتصديقه إذا قال : الإسلام حق ، وهو يخالف اعتقاده، فبان أن قولها رضي الله عنها « ما كذب » مأوَّل بأنه ما كذب عمدا .

واستدل أيضاً بقوله تعالى : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ من سورة ‹المنافقون› قالوا : كذبهم في قولهم : ﴿ إنك لرسول الله.. ﴾ الآية وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لا يعتقدون ذلك ، والجواب : ان التكذيب إنما هو لتسميتهم إخبارهم شهادة، لأن الإخبار إذا خلا عن مواطأة اللسان ما يعتقده القلب لم يكن شهادة في الحقيقة .

وأيضاً قالوا : ان المعنى لكاذبون في قولهم : ﴿ إنك لرسول الله ﴾ عند أنفسهم لاعتقادهم أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه .

وأجيب أيضاً بأن اللام، وإنَّ، وكون الجملة اسمية في قولهم ﴿ انك لرسول الله ﴾ يدل مجموعها على المعنى نشهد شهادة واطأت فيها السنتنا قلوبنا، فالتكذيب إذاً منصب على قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة، لا في قولهم ﴿ إنك لرسول الله ﴾ .

فصل في أحوال الإسناد الخبري

نص :

(الحُكْمُ بالسَّلْبِ أو الإيجاب يُسَمَّى إسْنَاداً بلا ارْتياب)

ش : يعني ان الاسناد الخبري هو الحكم بأن نسبة واقعة سواء كان ذلك الحكم بإثبات كقولك : زيد قائم فإنك حكمت بإثبات نسبة القيام له أو قلت زيد ليس بقائم، فقد حكمت بنفي نسبة القيام عنه ، وقد عرف الأخضري في الجوهر المكنون الاسناد الخبري بقوله :

الحكم بالسلب أو الإيجاب اسنادهم .

نص :

(وذُو الْكَلاَمِ حَيْثُمَا قَدْ قَصَدا إفَادَةَ الْحُكْمِ لِسَامِعٍ بَدا)
(فَهَذِهِ فَائدَةُ الْحُكْمُ وإنْ يَكُنْ أرادَ بِالْخِطَاب عِلْمَ مَنْ)
(خَاطَبَهُ بأنَّهُ بِعِلْمِهِ عَلِمَ، ذَا لاَزِمَ حُكْمٍ سَمِّهِ)

ش : يعني ان المتكلم إذا كان قصده إفادة الحكم للسامع كقولك زيد نائم لمن لا علم له بذلك، فإن هذا يسمى فائدة الحكم ، وأما إذا قصد المتكلم إفادة المخاطب بأن المخاطب عالم بالحكم الذي أفاده به، فإن هذا يسمى لازم فائدة الحكم مثاله أن تقول لمن عنده زيد، ولا يعلم انك تعلم بوجوده عنده، « زيد عندك » ويسمى الأول فائدة الخبر ايضاً والثاني لازم فائدة الخبر .

نص :

(ورُبَّمَا خُوطِبَ عَالِمٌ بِمَا به الخِطَابُ لِجَهُولٍ بَعْدَمَا)
(يَظْهَرُ مِنْهُ أنَّهُ لَمْ يَعْمَلِ بِمُوجَبِ الْعِلْمِ وذَاكَ يَنْجَلي)
(مِثَالُهُ في قَولِ قَائِلٍ سَبَقْ يا أيُّها الْعَالِمُ إنَّ المَوْتَ حَقْ)

يعني أن العالم بفائدة الخبر ولازم فائدة الخبر قد ينزل منزلة الجاهل بهما لعدم جريه على موجَب العلم بفتح الجيم فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به ، مثاله أن تقول لمن رأيته يسيء إلى والده : برور الوالدين واجب، أو تقول لمن رأيته يتهاون بالصلاة على الرغم من علمه بوجوبها : ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا﴾ وقول الناظم : مثاله في قائل الخ . يشير إلى قول القائل يمثل به لنفس الموضوع :

كقولنا لعالم وقد فسق يا أيها العالم إنَّ الموت حَقَ

نص :

(فَيَنْبَغي اقْتِصَارُ ذي التَّعْبير — عَلَى المُفيد خَشيَةَ التَّكْثير)
(فإنْ يَكُ السَّامعُ ذهْنُه خَلاَ — منْ حُكْمٍ، أوْ تَرَدُّدٍ فيه جَلاَ)
(فأخْبرنَّه بلاَ تَوكيد — وَإن يَكُن في الحُكْمِ ذَا تَرْديد)
(أكّدْ لَهُ بقَدْرِ مَا تَردَّدَا — وإنْ يَكُن مِّنْهُ تَجَاهُلٌ بَدَا)
(أكّدْ لَهُ بغَايةِ التَّوكيد — حَتْماً بلاَرَيْب ولاَتَفْنيد)
(مثَالُهُ مَاَ جَاءَ بالصَّحيحِ — حكايَةً عَنْ رُسُلِ المسيحِ)[1]
(فَسَمِّ الأوّلَ بالبْتدَائي — وَطَلبيًّا ثَانِي الأجْزَاءِ)
(وثَالثٌ سُمِّيَ بالإنْكَاري

ش : يعني أنه إذا كان غرض المخبر بخبره هو إفادة المخاطب فائدة الخبر أو لازم فائدته، كان ينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة، فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر ، والتردد فيه، استغنى عن مؤكدات الحكم ، كقولك : « جاء زيد ، وعمرو ذاهب » فيتمكن من ذهن السامع لمصادفته اياه خالياً وإن كان متصور الطرفين مترددا في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبا له ، حسن تقويته بمؤكد كقولك : «لزيد عارف» أو «إن زيدا عارف» .

وان كان المستمع حاكماً بخلاف الحكم الذي تخبره به، وجب توكيد الخبر له بحسب إنكاره فتقول : «إنِّي صادق »لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، وتقول : «إنِّي لصادق» لمن يبالغ في الإنكار، ويتمثل هذا التدريج في الخطاب في الآيات ١٣ إلى ١٦ من سورة يس ، قال تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ أي فبلغا الرسالة التي ارسلا بها بدليل قوله تعالى : ﴿ فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم

(١) قوله : رسل المسيح ، يذكر بعض المفسرين أن هؤلاء الرسل كانوا من قبل رسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام والله أعلم .

مرسولون * قالوا ما أنتم إلا بَشَرٌ مِثْلُنَا * وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم الا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون ﴾ .

حيث انهم لما كذبوا أول مرة أكدوا بتوكيد واحد، قالوا : ﴿ إنا اليكم مرسلون ﴾ فلما بالغوا في تكذيبهم كان الجواب انهم بالغوا لهم في التوكيد فقالوا : ﴿ إنا اليكم لمرسلون ﴾ .

قال في الإيضاح : ويؤيد ذلك جواب أبي العباس ، يعني محمد بن يزيد المبرد، للكندي عندما قال : إني اجد في كلام العرب حشوا، يقولون : « عبد الله قائم » « وإن عبد الله قائم » « وإن عبد الله لقائم » والمعنى واحد، فأجابه المبرد قائلاً : بل المعاني مختلفة، فعبد الله قائم اخبار عن قيامه، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وان عبد الله لقائم، جواب إنكار منكر. اهـ. منه بتصرف .

وأضرب الخبر هذه يسمى النوع الأول منها ابتدائياً، والثاني طلبياً، والثالث إنكارياً؛ ويسمى اخراج الكلام على هذه الوجوه التي هي الخلو من التوكيد في الأول، والتقوية بمؤكد استحسانا في الثاني ووجوب التأكيد بحسب الإنكار في الثالث ، يسمى إخراجاً على مقتضى الظاهر .

نص : (وَرُبَّمَا بغَيْر ذِي الْمَجَارِي)

(أجْرَوْا كَلاَمَهُمْ مُنَزِّلِينَا	كالسَّائلينَ غَيْرَ سَائلينَا)
(مِثَالُه إنَّ صَلاَتَك سَكَنْ	وقَوْلُ راجِزٍ مُخاطِباً فَتى)
(فَغَنِّهَا وَهْيَ لَكَ الفِداءُ	إنَّ غِنَاءَ الإبِلِ الحِداءُ)

ش : يعني ان العرب ربما، وعبارة الايضاح كثيراً ما يخرج الكلام عندهم على خلاف مقتضى ظاهر الحال فيجعلون غير السائل كالسائل فيؤكدون الكلام له استحسانا وإنما يكون ذلك كذلك بتنزيله منزلة السائل إذا قدم إليه ما يشير له بجنس الخبر، وذلك بأن يذكر له شئ من شأن صاحب الذكاء والفطنة التسارع منه إلى فهم جنس الكلام أو نوعه فيتطلع اليه، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وصلِ عليهم إنَّ صلواتك سكن لهم ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنَّهم مغرقون ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ وما أبرئ نفسي إنَّ النفس لأمارة بالسوء ﴾ الآية ، ونحو قول الراجز فغنها وهي لك .. البيت...

وكقول بشار :

بكرا صاحبي قبل الهجير	ان ذاك النجاح في التبكير

نص :

(وغَيْرَ مُنْكِرٍ كَمُنْكِرٍ إذَا	لاَحَتْ عَلَيْهِ مِنْ أمَارات لذَا)
(مَثَالُه الآيَةُ ثُمَّ إنَّكُمْ	مُؤكِّداً به ثبُوتَ مَوْتِكُمْ)
(لأَنَّ بِالْغَفْلَةِ والتَّكْرَارِ	لاَحَتْ عَلَيْكُمْ آيةُ الإنْكَارِ)

ش : يعني أن العرب ربما نزلوا غير المنكر منزلة المنكر فيؤكدون له وهو غير منكر إذا ظهر عليه شئ من أمارات الإنكار، مثاله قوله تعالى : ﴿ ثم إنَّكم بعد ذلك لميتون ﴾ الآية، لأنه بدوام تكرار الغفة عن الموت والاستعداد لها لاحت عليهم أمارات الانكار فنزلوا منزلة المنكر وان كانوا، رضوان الله عليهم، غير منكرين . واستشهد له في الإيضاح بقول حجل بن نضلة وهو شاعر جاهلي :

جـاء شـقـيق عـارضـا رمـحـه إن بني عـمك فـيـهم رمـاح

قال : فإن مجيئه هكذا، مدلا بشجاعته قد وضع رمحه عارضا، دليل على إعجاب شديد منه واعتقاد أنه لايقوم إليه من بني عمه أحد، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح . قال ابن يعقوب المغربي : يقال عرض السيف على فخذيه، وعرض العود على اناء، إذا وضع كلا منهما فيما ذكر على جانب .

نص :

(ومُنْكِرينَ غَـيْـرَ مُنْكِرينَا إنْ كَـانَ ثَمَّ رَادِعٌ يَقِـينَا)

(مِـثـالُهُ لارَيْبَ فـيـه الآية فَـهْـوَ دَلِيلٌ واضِحٌ لِلْغَـايَةْ)

ش : يعني أنهم ربما نزلوا المنكر منزلة غير المنكر من حيث القاء الخبر اليه غير مؤكد إذا كان الخبر مصحوبا بما إن تأمله المنكر ارتدع كما يقال لمنكر الاسلام «الاسلام حق» .

قال في الإيضاح : وعليه قوله تعالى : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ الآية ، وبيان ذلك ان معنى الكلام ليس القرآن مظنة للريب ولا ينبغي ان يرتاب فيه ، وهو حكم ينكره كثير من المخاطبين، ولكن إنكارهم نزل منزلة العدم لوجود الدلائل الدالة على انه ليس مما ينبغي ان يرتاب فيه .

نص :

(واعْـتَـبَـرُوا كَـهَـذِهِ الحَـالاَتِ في النَّفْي مِـثْلَهَـا بِلاَ افْـتِـيَـات)

ش : يعني ان كل هذه الأضرب التي كان يجري تعريفها كلها في اعتبارات الاثبات وانه ينبغي ان تقاس اعتبارات النفي ، عليها فتقاس عليها، فتقول في الابتدائي الانكاري ليس زيد منطلقا ، أو ما زيد منطلقا ، والطلبي

والانكاري تأتي بمؤكد استحساناً في الأول ووجوباً في الثاني فتقول ما زيد بقائم أو ليس بقائم، ولا رجل في الدار بالبناء، أو والله ليس زيد منطلقا أو ما ان ينطلق أو ما كان زيد ينطلق وتقول لنفي المستقبل والله لن ينطلق زيد ولا ينطلق زيد والله ما ينطلق ، أو ما ان ينطلق ، ونحو ذلك .

فصل : الحقيقة العقلية والمجاز العقلي

نص :

(إنْ يُسْنَد الْفِعْلُ لِمَا هُوَ لَهُ	طِبْقاً لِمَا يَعْتَقِدُ اللَّذْ قَالَهُ)
(وَشِبْهُ فِعْلٍ مِثْلُهُ يُسَمَّى	حَقِيقَةً عَقْلِيَةً مِثالُ مَا)
(قَالَ جَهُولُ أَنْبَتَ الْمَاءُ الْبَقَلْ	أَوْ مُسْلِمٌ أَنْبَتَهُ عَزَّ وَجَلّْ)

ش : يعني الإسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي، فأما الحقيقة العقلية فهى إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر، والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل، وقولنا في الظاهر، ليشمل مالا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع ومالا يطابقه، فالاضرب أربعة :

الأول : ما يطابق اعتقاده والواقع، كقول الموحد : أنبت الله البَقَلْ، وشفى الله المريض .

والثاني : ما يطابق الواقع دون ما يعتقده المتكلم، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها عنه : خالق الأفعال كلّها هو الله تعالى .

والثالث : ما يطابق اعتقاد المتكلم دون الواقع كقول الجاهل : شفى الطبيب المريض ، معتقدا ان الطبيب هو الذي شفى المريض، ومن هذا القسم قوله تعالى حكاية عن بعض أهل الكفر : ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ من سورة

الجاثية ، قال في الإيضاح : ولا يمكن أن يكون مجازا، والانكار عليهم من جهة ظاهر اللفظ لما فيه من إيهام الخطأ بدليل قوله تعالى في نفس الآية من الجاثية : ﴿ ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ قال : والمتجوز المخطئ في العبارة لا يوصف بالظن، وإنما الظان من يعتقد أن الأمر على ما قاله. أهـ .

والرابع : مالا يطابق شيئاً منهما مثل الأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالماً بحالها دون المخاطب ، فهي لا تطابق الواقع ولا ما يعتقده المتكلم لعلمه بأنه كاذب ، وهذا القسم الرابع هو مقصود الناظم بقوله :

نص :

(وقَولُ قائلٍ بأنَّ زَيْدَا أرادَ ذَا ، ويَعْلَمُ التَّنْفِيذَا)

وأما المجاز العقلي فقد ذكره الناظم بقوله :

نص :

(إسْنَادُ فِعْلٍ لِلَّذي لَيْسَ لَهُ مَعَ تَلابُسٍ ، وَقَدْ أوَّلَهُ)
(قَدْ عَرَّفُوهُ بالْمَجَازِ العَقْلِي ثُمَّ تَعَلَّمْ أنَّهُ لِلْفِعْلِ)
(مُلاَبَسَاتٌ في المَجَالِ شَتَّى إسْنَادُهُ لَهَا مَجَازٌ بتَّا)
(فيما عَدى الْفَاعلِ والْمفْعُول به إذا بُنِي الْفِعْلُ لِذَيْنِ فانْتَبِهْ)
(لكنَّما مَثَلُ مَاءٍ دَافِقْ وعِيشَةٍ رَاضِيَةٍ تُوَافِقْ)
(وَسَيْلٍ مُفْعَمٍ، وشِعْرٍ شَاعِرْ وَصَائمٍ نَهَارَهُ وسَائِرْ)
(طَرِقَةٌ، وكبنى الأمِيرُ قَدِينَةً، وشِبْهُ ذَا كَثِيرُ)
(نَرى مَجَازاً عَقْلِياً سُمي لَهُ

ش : يعني أن المجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له، أي إلى غير ما هو له مع علاقة ومع قرينة صارفة عن إرادة الاسناد الحقيقي

ومعلوم أن للفعل ملابسات شتّى لأنه قد يسند إلى سبب الفعل أو إلى زمانه أو إلى مكانه أو إلى مصدره، وقد يكون الاسناد المجازي العقلي باسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل – وقول الناظم : فيما عدى الفاعل والمفعول به .. البيت ، يريد به أن اسناد الفعل إلى الفاعل إذا كان مبنياً له هو حقيقة كما مر. وكذا اسناده إلى المفعول إذا كان مبنياً له ..

وقول الناظم :

(وقَولُنَا قَبْلُ وَقَدْ أوَّلَهُ)

(يُخْرِجُ قَولَ جَاهِلٍ إنَّ الحَكيمْ | شَفَى مَرِيضَهُ منْ السُّقْمِ الْأليمْ)

(فَمِثْلُ ذا يَجِبُ ان لاَّ يُحْمَلاَ | عَلى الْمَجَازِ قَبْلَ أنْ يُحَصَّلاَ)

(علمٍ يُفِيدُ عَدَمَ الإرَادَهْ | لظَاْهِرِ القَولْ كَمَا أفَادَهْ)

(قَولُ أبِي النَّجْمِ البَلِيغِ الألْمَعِي | أَفْنَاهُ قِيلُ اللّه للشَّمْسِ اطْلُعِ)

(مِنْ عَدَمِ الْقَصْدِ لما قدْ ظَهَراَ | مِنْ قَولِه قُبَيْلَ مَا قَدْ ذُكِراَ)

(مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عَن قُنْزُعِ | جَذْبُ اللَّيَالِ ابْطِئي وَاسْرِعِ)

معناه واضح والحمد لله ومفاداه بالجملة أن كل محاز اسنادي لا يحمل على المجاز حتى يظن أن قائله لم برد ظاهره ولذلك لم يحمل قول الصلتان العبدي وقيل السعدي وقيل الصنبي على المجاز :

أشاب الصغير وأفني الكبير | كر الغداة ومر العشي

إذا ليلة أهرمت يومها | أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح ونغدو لحاجتنا | وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته | وتبقى له حاجة ما بقى

بل مثل هذا الكلام لم تأت معه قرينة تدل على أن صاحبه لم يرد ظاهره

فيحمل على الحقيقة التي هى الأصل في الكلام وإن كانت كاذبة، أما رذا صاحبت الكلام قرينة صارفة عن إرادة الاسناد الحقيقي حمل حينئذ على المجاز العقلي كما بان من قول أبي النجم :

قد أصبحت ام الخيار تدعى — عليٌّ ذنباً كله لم اصنع
من أن رأت رأسي كرأس الأصلع — ميَّز عنه قُنْزُعا عن قنزع
جذب الليالي ابطئي واسرع — افناه قيل الله للشمس اطلع
حتى إذا واراك افق فارجع

فان القرينة التي صاحبت هذا الكلام وهي قوله : (افناه قيل الله للشمس اطلع) صرفته من الإسناد إلى الظاهر وبينت انه إنما أراد افنته إرادة الله بقيله فحمل الكلام على المجاز العقلي ، ووجه الاستدلال على أنه اسناد ميز إلى جذب اليالي مجاز هو أنه نسب أخيرا إفناء الشعر إلى إرادة الله تعالى، فدل ذلك على أن القائل لا يعتقد التأثير في الشعر للزمان ومضيه .

تنبيه : وسمي الاسناد في هذين القسمين من الكلام عقلياً لاستناده إلى العقل دون الوضع، لأن اسناد الكلمة شئ يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة ، فقولنا زيد ضرب، لا يصير بمجرده « ضرب » خبراً عن زيد بواضع اللغة، بل بارادة إثبات الضرب فعلاً لزيد، وإنما الذي يعود إلى واضع اللغة هو أن ضرب لإثبات الضرب لا لإثبات الخروج مثلاً، وانه لإثباته في زمن مضى، وأما تعيين من ثبت له فإنما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين .

تنبيه : اعلم ان السكااكي يطلق الحقيقة العقلية والمجاز العقلي على الكلام لا على الإسناد وهذا يوافق كلام الجرجاني في مواضع من دلائل الإعجاز .

والحقيقة العقلية والمجاز العقلي على ما ذكرناه هو الإسناد لا الكلام، وهذا ظاهر ما نقله أبو عمرو بن الحاجب عن الشيخ عبد القاهر الجرجاني وهو قول الزمخشري، قال القزويني : وإنما اخترناه لان نسبة المسمى حقيقة أو مجازا إلى العقل على هذا لنفسه بلا واسطة شيء، وعلى الأول، يعني على ما ذهب إليه السكاكي، لإشتماله إلى ما ينتسب إلى العقل اعني الاسناد.

ثم ان هذا الاسلوب العربي الذي يطلق عليه في الإصطلاح المجاز العقلي كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى : ﴿ ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾في فصلت – وكقوله تعالى حكاية لقصة فرعون مع بني إسرائيل : ﴿ يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ من القصص ، وكقوله تعالى في الأعراف : ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ فالآية نسبت النزع إلى ابليس وهو من فعل الله، لان ابليس وسوس إليهما : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلهما بغرور ﴾ فكان الأكل من الشجرة عن سبب منه. ومنه قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ الم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ نسبت الآية الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم لأن سبب ذلك كفرهم، وكان من أسباب كفرهم أمر أكابرهم بالكفر .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة المزمل : ﴿ يوماً يجعل الودان شيبا ﴾ فالآية نسبت الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه .

واعلم ان هذا النوع من الإسناد ليس خاصاً بالخبر بل انه يجري في الانشاء أيضاً، ومن ذلك قوله تعالى في سورة غافر : ﴿ ياهامان ابن لي صرحاً وقوله تعالى في سورة القصص : ﴿ فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً ﴾ وقوله تعالى في سورة طه : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ .

ثم انه لابد من قرينة إمَّا لفظية كما سبق في قول أبي النجم، أو غير

لفظية، كاستحالة صدور المسند من المسند إليه المذكور، أو استحالة قيامه به عقلاً، كقولك : محبتك جاءت بي اليك، أو عادة ، كقولهم : هزم الأمير الجند، وكسا الخليفة الكعبة، وبني الوزير القصر .

تنبيه : الذين أوردوا الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان، تبعوا في ذلك السكاكي ومن تبعه، وإنما أوردناه هنا لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان، وبالله تعالى التوفيق . انظر الإيضاح

فصل في أحوال المسند إليه

نص :

(يَجُوزُ حَذْفُ مُسْنَدٍ إِلَيْهِ   إنْ جَاءَ مَا يدُلُّنَا عَلَيْهِ)
(ثُمَّ المقَاصدُ لذَاك تَخْتَلفْ   فَتَارةً عَنْ عَبَثٍ قَدْ يَنْحَرِفْ)
(لِكَوْن ذكْرهُ يُعَدُّ عَبَثَا   لمَا بِذِهْنِ سَامعٍ قَدْ لَبِثَا)
(وحَذَفُوهُ تَارَةً تَخيِيلا   أَن على العَقل به تَعْوِيلا)
(شاهده قُلْتُ عَليلٌ بَعْدَمَا   سَألهُ عن حَالِه مُسْتَفْهِما)

ش : إنما قدم المسند إليه لأنه الموصوف والمسند كالصفة والموصوف أجدر بالتقديم لأنه الموضوع والصفة المحمول، وقدم الحذف على الذكر لأن الذكر هو الأصل فلا تتشوف النفس إلى الموجب له بخلاف الحذف ، وحذفه يقع لاعتبارات تناسب ذلك بمعنى انه يناسب حذفه عند وجود واحد منها، فان وقع حذف لا لوجود موجب مناسب كان حذفا على غير الوجه المناسب فمن تلك الاعتبارات المناسبة للحذف الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر أي للإسغناء بالقرينة عن ذكره وإن كان في الحقيقة غير عبث كقولك لمن يستشرف الهلال : الهلال والله أي هذا الهلال، فلو صرحت بذكر المبتدأ لكان

ذكره عبثاً بمعنى أن ذكره لا تظهر له فائدة .

وقد يكون حذف المسند اليه لتخييل التعويل على شهادة العقل عليه وهى أي الشهادة العقلية أقوى عندهم من الشهادة اللفظية فكأن حذفه هنا عدول إلى اقوى الدليلين، فلو سئل كيف زيد ؟ فقال قائم لكان يدل عليه بدلالة العقل القاضية بأن السؤال كالمعاد في الجواب، وشاهد هذا الحذف قول الشاعر : قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

تقديره : آنا عليل – ومن الاعتبارات المناسبة لحذف المسند إليه، إرادة اختبار تنبه السامع له عند وجود قرينة تدل عليه، ولابد منها، لأن الفهم عند عدم القرينة لا سبيل إليه فلا يجوز الحذف حينئذ، وهذا ما عناه الناظم بقوله :

نص :

(وحَذَفُوهُ لاخْتبَارِ السَّامِعِ نَبَاهَةً مَع قَرينة فَعِ)

ش : وقوله فع، الفاء حرف و ع فعل أمر من وعي يعي أي احفظ .

نص :

(وقَدْ يَكُونُ الْحَذْفُ للتَّعْظِيمِ وَقَدْ يَجي لِعَكْسِه الذَّمِيمِ)
(وللتَّمكُّنِ منَ الإنكَار مَتَى يَشَاءُ خَشْيَةَ الإضْرارِ)
(وللتَّعَيُّنِ وغير ذلك أجَارَنَا الرَّبُّ منَ المَهَالِكَ)

ش : يعني أنه من الاعتبارات المناسبة لحذف المسند إليه صونك له عن لسانك لتعظيمه، ومثل له في الإيضاح بقول الشاعر، وهو إبو الأسود الدؤلي يمدح عمرو بن سعيد بن العاص :

سأشكر عمرا ما تراخت منيتي ... ايادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغني عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

وبقول الآخر ، قيل هو لقيط بن زرارة ، وقيل أبو الطمحان القيني

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دُجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبُهْ
نُجومُ سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبُه

قال ابن السبكي : ولو مثل المصنف بقوله لقصد التعظيم لمثلنا ذلك بقوله تعالى : ﴿ سورة انزلناها ﴾ وفي هذا المعنى يقول يزيد :

وإياك واسم العامرية انني ... أغار عليها من فم المتكلم

ثم آنه من اعتبارات حذف المسند إليه صيانه اللسان عن ذكره لتحقيره، قال ابن السبكي : ومثاله قوله تعالى : ﴿ صم بكم عمي ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ وما أدراك ماهيهْ نار حامية ﴾ الآية وقول الشاعر :

سريعٌ الى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعي النداء بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه ... وليس لما في بيته بمضيع

قيل هما للمغيرة بن عبد الله الملقب بالأقيشر اشتكى ابن عم له في نادي قومه لقلة مواساته له فوثب إليه ابن عمه فلطمه، فانشد البيتين المتقدمين فيه .

ومنه قول القائل :

ولقد علمت بأنهم نجس ... وإذا ذكرتهم غسلت فمي

اعني أنه في معنى صون اللسان لأجل الاحتقار .

ومن الاعتبارات المسوغة لحذف المسند إليه تأتي الانكار عند الحاجة إليه لأنه قد تدعو الحاجة إلى التكلم بشئ ثم تدعو الحاجة إلى إنكاره مثاله أن

يذكر شخص فتقول فاسق ثم تخشى من غائلة ذلك فتنكره، فلو قلت زيد فاسق لقامت البينة عليك بذلك ولم تستطع الانكار ولا يقال كيف ينفع الانكار مع القرينة لأن القرينة إنما ترجح أحد الطرفين ترجيحاً لا يبلغ الشهادة .

ومن الاعتبارات المسوغة لحذف المسند إليه، التعيين فيه أي ان ذلك المسند معين للمسند اليه منحصر فيه فلا حاجة لذكره مثاله قولك خالق لما يشاء إي الله .

نص :

(وذِكْرُهُ لأنَّهُ الأصْلُ ولاَ داعِيَ مُطْلَقاً لِحَذْفِهِ جَلاَ)
(ويَذْكُرُونَهُ احْتِيَاطاً إنْ ضَعُفْ تَعْوِيلُهُمْ عَلى الدَّلِيلِ لَوْ حُذِفْ)
(للسَّامِعِ الْغَبِيِّ ذِكْرُ مُسْنَدِ إلَيْهِ واجِبٌ بلاَ تَرَدُّدِ)
(وكَثْرَةَ الإيضَاحِ والتَّقرير ولِلإهَانَةِ وللتَّحْقِيرِ)
(وَقَدْ يَكُونُ الذِّكْرُ للتَّعْظِيمِ ولِلتَّبَرُّك بذا العَظِيمِ)
(والإسْتِلْذَاذُ مُوجِبٌ وَالْبَسْطُ حَيْثُ مَقَامُهُ وَذَاكَ شَرْطُ)

ش : وأما مقتضيات ذكر المسند إليه، فإن منها أنه الأصل ولا داعي إلى حذفه ، وإما ان يذكر للإحتياط لضعف التعويل على القرينة .

وإما ان يذكر تنبيهاً على غباوة السامع حتى انه لا يفهم إلا بالتصريح .

وإما ان يقصد المتكلم بذكره المسند إليه الإيضاح والتقرير .

وإما لإظهار تعظيمه بالذكر كقولك القهار يصون عباده لعظم هذا الاسم.

وإما لقصد إهانته لما يدل عليه اسمه من الحقارة كقولك : اللعين ابليس.

وإما لقصد التبرك باسمه كقولك محمد رسول الله خير الخلق .

والاستلذاذ باسمه من موجبات ذكر المسند إليه كقولك الله خالق كل شئ . وبسط الكلام حيث يقصد الاصغاء من موجبات ذكر المسند إليه كقول موسى عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عنه ربه : ﴿ هى عصاي أتوكأ عليها ﴾ ولذلك زاد على الجواب بقوله : ﴿ أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى ﴾ .

نص :

(تَعْرِيفُ مُسْنَدٍ إليه إنْ يَكُنْ   أداتُهُ الإضْمَارُ إنَّ ذا لأنْ)
(كانَ المَقَامُ للتَّكَلُّمِ كَمَا   وقَدْ يَكُونُ للخطَابِ فَاعْلَمَا)
(مِثْلُهُمَا الْغَيْبَةُ كَهْوَ اقْرَبُ   بَعْدَ اعْدِلُوا ، فَهُمْ بَذَاكَ اعْرِبُوا)

ش : وأما تعريف المسند إليه فلتكون الفائدة أتم، لأن احتمال تحقيق الحكم متى كان ابعد كانت الفائدة في الاعلام به أقوى، ومتى كان اقرب كانت أضعف، وبُعده بحسب تخصيص المسند إليه، والمسند كلما ازداد تخصيصا ازداد الحكم بعدا، وكلما ازداد عموماً ازداد الحكم قربا ، والتخصيص كما له في التعريف، ثم ان التعريف مختلف. فان كان يعرف المسند إليه بالإضمار، فان ذلك : إما لأن المقام مقام التكلم كقول بشار :

أنا المرعَّث لا أخفي على أحدٍ   ذرَّتْ بي الشمس للقاصي وللداني

وإمَّا لأن المقام مقام الخطاب كقول القائلة تخاطب ابن الدمينة :

وأنت الذي اخلفتني ما وعدتني   وأشمَتَّ بي من كانَ فيكَ يلومُ

وإمَّا لأن المقام مقام الغيبة ، كقوله تعالى : ﴿ اعدلوا هو اقرب للتقوى ﴾ من سورة المائدة ومنه قول أبي الفرج القاسم بن جبل الذبياني :

من البيض الوجوه بني سنان   لو أنَّك تستضيء بهم أضاءوا

هُمُ وحَلُّوا مِنَ الشَّرف المعلَّى ومن حَسَبِ العِشرة حيث شاءوا

نص :

(وَالْأصْلُ في الخِطَابِ أن يَكُونَا مُعَيِّناً نَوْعَ الْمُخَاطَبينَا)

(لكنَّما قَدْ يَرِدُ الْخطَابُ غَيْرَ مُعَيِّنٍ، وَذَا صَوابُ)

(فَقَولُهُ سُبْحَانَهُ ولَوْ ترى يَعُمُّ مَنْ يُمْكِنَهُ أنْ قَدْ يَرَى)

ش : يعني أن أصل الخطاب ان المخاطب معين، وقد يرد لخطاب غير معين المخاطب باسم المفعول مثل قولك : فلان لئيم إن اكرمته أهانك، وان أحسنت اليه أساء إليك، فلا تريد مخاطباً بعينه، بل تريد إن أُكْرِمَ. وإن أُحْسنَ إليه، فتخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم بأن سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد، قال في الإيضاح : وهو في القرآن الكريم كثير كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءوسِهِم عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ من سورة السجدة، فإنه اخرج في صورة الخطاب لما أريد للعموم للقصد إلى تفظيع حالهم، وانها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها فلا تختصُّ بها رؤيةُ راءٍ، بل كل من يتأتَّى منه رؤية داخل في هذا الخطاب .

نص :

(وإنْ يَكُنْ مَعْرِفَةً وَهْوَ عَلَمْ فَقَصْدُهُ تَنَبُّهَ الَّذي ألمْ)

(فَذكْرُهُ جَلَّ بِذي اخْتِصَاصِ كَمَا أتَى في أوَّلِ الإخْلَاصِ)

(قَدْ مَثَّلُوا بِهِ لِهَذَا الْبَابِ

ش : يعني أن المسند إليه ان وقع تعريفه بالعملية، فان من اسرار البلاغة في ذلك احضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم يخصه كقوله تعالى في سورة الإخلاص : ﴿ قل هو الله أحد ﴾، وكقول المتنخل الهذلي :

أبو مالك قاصرٌ فقره على نفسه ومشبعٌ غِناه

ومنه قول الحارث بن هشام بن المغيرة رضي الله عنه يعتذر عن فراره عن قومه يوم بدر :

اللهُ يَعلم : ما تركت قتالهم حتى علوا مهري بأشْقَر مزبد
وعلمت أنّي إن أقاتل دُنهم أقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عدوِّي مشهد
ففررت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مُفْسد

قلت : وكان الحارث بن هشام رضي الله عنه قال هذه الأبيات اعتذاراً عما عيره به حسان بن ثابت رضي الله عنه في قصيدته التي مطلعها :

تبلت فوادك في المنام خريدة تسقى الضجيع ببارد بسَّامِ
كالمسك تخلطه بماء سحابة أو عاتق كدم الذبيح مدامِ
نُفُج الحقيبة بوصها متنضِّدٌ بلهاءُ غير وشيكة الأقسَامِ
بُنيَتْ على قَطَنٍ اجمَّ كأنَّهُ فُضُلاً إذا قَعَدَتْ مَداكُ رُخَامِ
وتكاد تكْسَلُ أن تَجيء فراشَها في جِسْمِ خَرْعَبَةٍ وحسن قوامِ

إلى أن قال :

إن كنت كاذبة الذي حدَّثْتِني فنَجَوْتِ مَنْجى الحارث بن هشامِ
تَركَ الأَحبَّةَ ان يُقاتِل دونهم ونَجَا برأس طمرَّةٍ ولِجامِ
تذرُ العناجيجَ الجياد بقَفْرةٍ مرَّ الدَّموك بمُحْصَدٍ ورجَامِ
ملأتْ به الفرجين فارمدَّت به وثوَى احبَّتُه بشر مُقَامِ
وبنو أبيه ورهطه في معرك نصر الإله به ذوي الإسلام.. الخ

وقالوا عن الاصمعي إنه كان يقول في اعتذار الحارث بن هشام عن فراره : هذا أحسن ما قيل في الاعتذار عن الفرار .

نص : (ثُمَّ بِهِ عَظِّمْ على الصَّواب)

(أعْكِسْ، تَبَرَّكْ أوْهِمِ اسْتِلذَاذَا كَنِّ وزِدْ مَاشِئْتَ غَيْرَ هَذَا)

ش : يعني ان تعريف المسند إليه بالعملية قد يأتي للتعظيم أي ليفيد تعظيماً لإشعاره به لكونه من الألقاب الدالة عليه كأن تقول علي زيد العابدين حضر ، وقد يأتي أيضاً للإهانة لإشعاره بها كأن تقول انف الناقة حضر، وقد يكنى به باعتبار معنى يستفاد منه باعتبار أصل وضعه قبل النقل ومن ذلك إلى العلمية، كأن تقول : أبو لهب قال كذا، لتكنى بذلك إلى كونه جهنمياً لأن أبا لهب باعتبار الوضع يشعر بملابسة لهب النار لذا فان اطلاقه اطلاقاً علمياً يمكن معه الشعور بالأصل – ويأتي تعريف المسند إليه بالعلمية للتبريك به ، كقولنا : الله الهادي ومحمد ﷺ شفيعنا يوم القيامة . وقد يعرف المسند إليه بالعلمية لإيهام الاستلذاذ بذكره كقول مجنون ليلى :

بالله ياظبيات القاع لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

فقد ذكر اسم ليلى لإيهام الاستلذاذ بذكرها .

وقول المتنبي :

أسامياً لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

وقول الناظم : وزد ما شئت غير هذا ، يعني من تفاؤل كقولك السعد بدارك ، ومن التطير في قولك : السفاح في دار صديقك ، ونحو ذلك .

نص :

(وإنْ يَكُن عُرِّفَ بَالْمَوْصُول فَهْوَ لَدَى أئمَّة الْمَعْقُول)

(لجَهْلِ منْ أوْصَافه غيرَ الصِّلَةْ كَقَوْلكَ اللَّذْ جَاءَ أمْين قَالَ لَهْ)

(أو أنَّهُ يُسْتَهْجَنُ التَّصْريحُ بِهْ أوْ كَثْرةِ التَّقْرِير أيضاً فانتبِهْ)

(كَـــقَــــوْلـه وَرَاوَدَتْـهُ الْآيَـةْ مُنَزِّهاً ، فَـــهْـــوَ بَـليغُ غَـــايَـةْ)
(وقَــدْ يَـجي المَوْصُــولُ للتَّــهْــويـل وَهْوَ كَـثـيـرُ الذِّكْـرِ في التَّنْزيـل)
(مـثَـالُهُ في الْبَـاب مَـا غَـشـيَـهُمْ لقَـــوْمِ فـرْعَــونَ وقَـلْ تَبــاً لَّهُمْ)
(وَقَــد يُنَبَّــهُ الَّذي خُــوطِبَ بِـهْ عَلى ارْ تِكَاب خَطَإٍ لِيَنْتَـبِــهْ)
(ورُبَّـمَـــــا وَرَدَ لـلإيمَا إلـى وَجْــه بِنَاء الخَــبَــرِ الَّذي تَلاَ)
(أوْعُظْمِ شَـأنِ مُـخْـبَـرٍ عَنْهُ فَـقَـدْ أوْ عُظْمِ شَـأَن غَـيْـرِه فـيـمَا وَرَدْ)
(نَحْــوَ الَّذينَ كَـذَّبُوا شُـعَـيْـبَـا وَقَـــدْ يَجِي تَهَكُّمَـــاً لاَ رَيْبَـــا)

ش : يعني أن تعريف المسند اليه بالموصولية يكون لأسباب عدة منها : أن يكون المخاطب لا يعلم من أحوال المسند إليه غير الصلة كقولك الذي جاءنا بالإمس يقوّل كذا وكذا، ومنها أن يكون اسم المسند إليه مستهجنا فتطوى ذكره لهجنة تنزه عنها لسانك؛ أو سمع المخاطب كما إذا أردت أن تخبر عن أبي جهل مثلاً فتأتي بصفة من صفاته وتجعلها صلة للموصول، ومنها زيادة التقرير، قال ابن يعقوب المغربي : وذلك يحتمل ثلاثة أوجه : تقرير الغرض المسوق له الكلام وليس مسندا ولا مسندا إليه، وتقرير المسند، وتقرير المسند إليه ، وقوله تعالى : ﴿ وروادته التي هو في بيتها ﴾ محتمل للأوجه الثلاثة : فالغرض المسوق له الكلام نزاهة يوسف عليه الصلاة والسلام وبعده عن مظنة الفحشاء ، وما ذكرته الآية أشد تحقيقاً وتقريراً لتلك النزاهة مما لو قيل وراودته امرأة العزيز لأنه إذا امتنع مع كونه في بيتها متمكنا في خلوة منها كان غاية في النزاهة ونهاية في الطهارة ظاهراً وباطناً عن الفحشاء وفيه أيضاً تقرير المسند الذي هو المراودة لما يفيد كونه في بيتها من فرط الإلفة والاختلاط في خلوة فيتمكن منها على أتم وجه فقد أفاد تقريرها ووجودها بأتم وجه بما ذكر في الموصول وصلته .

وفيه أيضاً تقرير المسند إليه ونفي إحتمال التشابه والاشتراك اللذين يمكن حصولهما لو قيل مثلاً وراودته امرأة العزيز، أو زليخا ، ومعنى راودته احتالت بما أمكن لها من التوصل إليه وهو فاعلت من راد يرود ذهب وجاء، فهو استعارة تمثيلية على حد قولهم في التردد في أمر، أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، كذا قيل ، ولا يبعد أن يقال نقلت المراودة عرفا إلى طلب التوصل إلى الشئ العزيز على من كان بيده بحثٍ وتمحل أي تخيل ؛ ثم أن المشهور عندهم ان الآية مثال لزيادة التقرير . أهـ. منه .

وقد يكون تعريف المسند إليه بالموصولية لإرادة تفخيمه كقوله تعالى ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ والمعنى فغشيهم من البحر ماء كثير لا يحصى قدره، فأورد المسند إليه اسم موصول ليفيد أنه لا يمكن تفصيله ولا تعيينه فكأنه قيل غشيهم من البحر ما تعجز العقول عن تفصيله وتعيينه . وأنشد في الإيضاح لهذا أيضاً قول أبي نواس :

مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باق يطلب الباقي

وقول زيد بن الصمة الجشمي من جشم بن بكر من هوازن :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

وقد يكون تعريف المسند إليه بالموصولية لقصد تنبيه المخاطب على أنه أخطأ ، ومن ذلك قول جرير كما نسبه إليه ابن المعتز في البديع :

إن الذين ترونهم خلانكم يشفي صداع رؤسهم ان تصدعوا

وقد يكون تعريفه بالموصولة لقصد الإيماء إلى وجه بناء المسند على المسند إليه والمراد ببنائه جعله مسنداً بأن يذكر في الصلة ما يناسبه، مثاله قوله تعالى : ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ من

سورة غافر ، فإن الاستكبار الذي تضمنته الصلة كان مناسباً لإسناد ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ إلى الموصول .

وقد يكون تعريفه بالموصولية ان يجعل ذريعة إلى التعريض بشأنه أي بشأن الخبر ؛قول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي أعز وأطول من كل شئ، وقيل من بيت جرير، وهذا البيت قيل يعني به الكعبة، ولا شك أن الموصول كان ذريعة إلى ذكر صلته وذكرها ذريعة إلى تعظيم الخبر الذي هو بناء البيت، وذلك تدركه بالذوق فان سمك السماء فيه تعريض بأن المسند إليه من شأنه ان رفع السماء فهو قادر على المخبر به .

وقد يكون تعريفه بالموصولية لتعظيم شأن غير الخبر، كقوله تعالى : ﴿الذين كذبوا شُعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ الآية من سورة الاعراف ، فإنه يقصد به تعظيم شأن شعيب عليه الصلاة والسلام ويحتمل أنه جئ به لبناء الخبر عليه، فإن تكذيبهم شعيباً ﷺ مناسب لخسرانهم وذكر في الإيضاح أن السكاكي قال : وربما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر، كقول عبدة بنت الطيب :

إن التي ضربت بيتا مهاجرة ... بكوفة الجند غالت ودَّها غُولُ

وقد يجيء المسند إليه معرفا بالموصولية لنكته التهكم ومنه قوله تعالى : ﴿يايها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ الآية .

نص :

(وكَونُهُ إشَارَةً فَقَدْ يَجي ... لِغَايَةِ التَّمْييز دُونَ حَرَجِ)
(أوْ لِغَبَاوة المُخَاطَب به ... أَوْ لِبَيَان بُعْدَه وقُرْبه)
(وحَقَّرُوا إشَارَةً لِلْقُرْبَ ... وَعَظَّمُوا بِالْبُعْد في ذَا الضَّرْبَ)
(مِثَالُ هَذَا : ذلك الكِتَابُ ... بالقُرْبِ كَانُوا لِخَلِيلَ عَابُوا)

ش : يعني ان كون تعريف المسند إليه واقعاً باسم الإشارة يقع لأمور، منها : أن يقصد المتكلم تمييزه لاحضاره في ذهن السامع حساً، فالإشارة أكمل ما يكون من التمييز، من ذلك قول ابن الرومي، أبو الحسن علي بن عباس بن جريج الرومي المتوفى سنة ٢٨٣هـ. يمدح أبا الصقر الشيباني وزير المعتمد الخليفة العباسي :

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ... من نسل شيبان بين الضال والسلم

ومنه أيضاً قول الحطيئة يمدح بني أنف الناقة :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شَدُّوا

ومن هذا القبيل أيضاً قول الشاعر :

وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مقبل ... مُتَسَرْبِلٍ سِربالَ ليلٍ أغْبَرِ

أوْمَا إلى الكوماء، هذا طارقٌ ... نَحَرَتْنِيَ الأعداء إن لم تُنْحَرِي

ومنه أيضاً قول جرير بن عبد المسيح الشهير بالمتلمس :

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلاَّ الأذلأن غير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشَجُّ فَلا يرثى له أحد

وقد يكون تعريف المسند إليه بالإشارة لقصد التعريض بغباوة السامع حتى أنه لا يتميز له الشئ إلا بالإشارة والحِسِّ ومن ذلك قول الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتْنَا ياجرير المجامع

وقد يكون تعريفه بالإشارة لقصد بيان حالة في القرب والبعد أو التوسط كقولك هذا زيد وذاك عمرو ، وذاك بكر .

وربما جعل تعريف المسند إليه بالإشارة للقرب ذريعة إلى التحقير كقوله

تعالى حكاية عن الكفرة ﴿ أهذا الذي يذكر آلهتكم ﴾ من سورة الأنبياء، وقوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ من سورة العنكبوت .

وربما جعل تعريف المسند إليه بالإشارة للبعيد ذريعة إلى التعظيم مثاله قوله تعالى : ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ الآية من سورة البقرة ، ذهابا إلى بُعْد درجته ؛ ومن أمثلته قوله تعالى في سورة الزخرف : ﴿ وتلك الجنة الَّتي أورثتموها ﴾ الآية ، وقوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ فذلكنَّ الي لمتنني فيه ﴾ الآية ، فهى لم تقل فهذا وهو حاضر، رفعاً لدرجته في الحسن، وتمهيداً للعذر في الافتنان به .

قال في الإيضاح : وقد يجعل ذريعة إلى التحقير أيضاً كقولك : ذلك اللعين فعل كذا .

قال ابن السبكي : ومن هنا يعلم أنه قد يقصد تعظيم المشار إليه بالقرب، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم ﴾ الآية . قال : وأمثاله في القرآن كثير، وكان ينبغي للمصنف، يعني القزويني، أن يذكر التعظيم بالقرب كما ذكر التعظيم والتحقير بالبعد .

تنبيه : قد يأتي المسند إليه معرفاً باسم الإشارة للتنبيه بعد ذكر الإشارة إليه بأوصاف قبله على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها نحو قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ الآية من البقرة، فذكر تعالى الأوصاف بعد الذين، ونبه باسم الرشارة على ان المشار إليه الذي هو الذين، جدير بذلك – قال في الإيضاح : ومنه قول حاتم بن عبد الله الطائي :

ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الأحداث والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمصَ ترحة ولا شبعةً ان نالها عدَّ مغنما

إذا ما رأى يوماً مكارم اعرضت تيمَّم كبراهن ثمت صمَّما
ترى رمحه، ونَبْلَه، ومجنَّه وذا شُطَب عضب الضريبة مخذما
واحناءَ سرج فاترٍ ولجامه فذلك أن عناداً أخي هيجا وطرفاً مسوَّما
فذلك إن يهلك فحسني ثناؤهُ وإن عاش لم يقْعُد ضعيفا مذمَّما

قال : فعد له كما ترى خصالا فاضلة من المضاء على الأحداث مقدما، والصبر على الم الجوع ، والأنفة من أن يعد الشبعة مغنما، وتَيَمَّم كبرى المكرمات، والتأهب للحرب بأدواتها، ثم عقب ذلك بقوله « فذلك » فأفاد أنه جدير بإتصافه بما ذكر بعده .

نص :

(عَرِّفْهُ باللأم لِعَهْدٍ جَارِ كقوله جَلَّ هُمَا في الْغَارِ)
(ولِلْحَقِيقَةِ يُجَا باللأمِ وَما كسُوق دُون مَا مَلاَمَ)
(للأوَّل الرَّجُلُ خيرٌ مِ الْمَرَهْ والثاني مَعْناهُ كمَعْنَى الْنكرَةْ)
(والاسْتغرَاقُ مِن مَّعَاني اللّامِ وهُوَ ضَرْبَان في ذَا الْكَلاَمِ)
(حقيقةٌ كَعَالم الْغَيْب فَلاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ مُسْجَلاَ)
(ومنه عُرفِيٌّ كَأَنْ يُشَاعَا انَّ الأميرَ جَمَعَ الصَّنَّاعَا)
(فالْجَمْعُ ذا يَخُصُّ أهْلَ بَلْدَتهْ ومَنْ يَكُن يَدْخُلُ تَحْتَ طَاعَته)
(وحُكْمُ الاسْتغْرَاقِ لا يُنَافي افرادَ الإسْمِ دُونَ مَا خِلاَفَ)
(وذَا لأنَّ حَرْفَ الاسْتغْرَاقِ يَجي لَهُ من غَيرْ مَا شقَاق)
(يَحْمِلُ مَا مَعْنَاهُ كلُّ فَرْدِ ولَيْسَ لِلْمَجْمُوعِ في الأسَدَّ)

ش : تعريف المسند إليه بالألف واللام : إمَّا للإشارة إلى معهود بينك وبين من تخاطب كما إذا قال لك قائل : جاءني رجل من بني فلان ، فتقول :

ما فعل الرجل، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن أم مريم عليها السلام ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ الآية من سورة آل عمران . أي ليس الذكر الذي طلبت ونذرت كالأنثى التي وهبت لها .

وإمَّا لإرادة نفس الحقيقة ، كقولك : الرجل خير من المرأة ، والدنيار خير من الدرهم، ومنه قول أبي العلاء المعري :

والخلُّ كالماء يُبْدي لي ضمائره ... مع الصفاء، ويُخْفِيها مع الكدَرِ

ثم ان المعرف بألْ قد يأتي لواحد باعتبار عهديته في الذهن كما تقدم المثال له ،وقد يأتي المعرف بالألف واللام لمعهود في الذهن ومعناه معنى النكرة لمطابقته الحقيقة، ومثاله قولك دخلت السوق والحال انك ليس بينك وبين من تخاطب سوقٌ معهود في الخارج، قالوا : وعليه قول الشاعر وهو عميرة بن جابر الحنفي :

ولقد أمر على اللئيم يسبني ... فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

ولما كان هذا معناه معنى النكرة فإنهم يعربون « يسبني » بأنه وصف للئيم لا حال منه، والله اعلم. ثم أنه من معاني الألف واللام الاستغراق، وذلك إذا امتنع حمله على غير الأفراد وعلى بعضها دون بعض كقوله تعالى : ﴿ ان الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا ﴾ من سورة العصر .

والاستغراق ضربان : منه حقيقي، كقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ من سورة الرعد ، أي عالم كل غيب وكل شهادة – ومنه عرفي ، كقولك : جمع الأمير الصاغة ، إذا جمع صاغة بلده أو صاغة أطراف مملكته فحسب، لا صاغة الدنيا بأسرها .

ومعلوم أنه لا تنافي بين الاستغراق وافراد اسم الجنس، لأن الحرف إنما

يدخل عليه مجرداً عن الدلالة على الوحدة والتعدد، لأنه بمعنى كل الإفراديّ لا بمعنى كل المجموعيّ، معناه أن قولنا : «الرجل» معناه كل فرد من أفراد الرجال، لا مجموع الرجال، يتحصل منه ان المراد باسم الجنس المعرف بالألف واللام، إما نفس الحقيقة، لاما يصدق عليه من الأفراد، وإما فرد معين وهو العهد الخارجي، ونحوه العلم الخاص كزيد مثلاً، وإما فرد غير معين وهو العهد الذهني ، ونحو النكرة كرجل – وإما كل الأفراد ، وهو الاستغراق ، ونحوه لفظ كل مضافا إلى النكرة ، كقولنا كل رجل :

نص :

(وإنْ يَكُنْ عُرِّفَ بالإضَافَةْ للإخْتِصَارِ إنَّ ذَا ظَرَافَةْ)

(حَيْثُ المَقَامُ في الْكَلامِ المتَّبَعْ مَقَامُهُ شَاهِدُهُ هَوايَ مَعْ)

(هذا وقد يضاف للتَّعَظِيم)

ش : يعني أن تعريف المسند إليه بالإضافة يكون لأحد أسباب : منها أن لا يكون لاحضاره في الذهن طريق اخصر من الاضافة وينبغي أن يفيد بما إذا كان المقام مقام اختصار كما صنع في المفتاح كقول جعفر بن عبلة حين حبس بمكة :

هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيبٌ، وجثماني بمكة موثق

ومن تلك الاسباب التعظيم لشأن المضاف إليه أو المضاف أو غيرهما، فالمضاف كقولك : عبد الخليفة قادم فاكرمه ، ومن تعظيم المضاف وان لم يكن مسندا إليه :

لا تدعُني إلا بيا عبدَها فإنه أشرف اسمائي

ومنه قوله تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ الآية ،

والمضاف إليه كقولك عبدي حضر كذا تريد تعظيم نفسك بأنك ذو عبيد .

ومن تلك الأسباب ان يراد بالإضافة التحقير كقولك عبد الحجام حضر .

ومن تلك الأسباب أيضاً اغناء الاضافة عن تفصيل متعذر أو مرجوح كقول القائل :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل

وقول الآخر :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

قال ابن السبكي : العجب من أهل هذا الفن كيف لم يذكروا أداة الاستغراق من أسباب الإضافة وهى من أدوات العموم كما أن أداة التعريف كذلك، بل عموم الإضافة أبلغ .

نص :

(بِوَصْفِهِ الْكَاشِفِ في الصميم)

(قَدْ يَصِفُوا لكَوْنه تَفْسيرا أوْ كَوْنه بِمَدْحه جَديرًا)
(حَقِّرْ بِهِ، خَصِّصْ كَزَيد التَّاجِرِ وأكِّدَنْ بِنَحْوِ أمْسِ الدَّابِرِ)

ش : يعني أن وصف المسند إليه قد يجاء به لكون الوصف تفسيراً له كاشفاً عن معناه كقولك : الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله، ومن ذلك قول أوس بن حجر :

الألمعي الذي يظن بك الظنّ كأن قد رأى وسمعا

وقد يوصف المسند اليه لكون ذلك الوصف مد حاله كقولنا : جاء زيد العالم ، أو لكونه ذماً لة ، كقولنا : ذهب زيد الفاسق ، أو لكونه مخصصاً له

نحو : زيد التاجر عندنا

وقد يجري وصف المسند إليه توكيدا له، كقولك : أمس الدابرُ كان يوماً عظيماً .

نص :

(وَإِنْ تُنَكَّرْهُ فَلِلْإِفْرَادِ أَوْ لِتَنَوُّعٍ لِذِي الأَفْرَاد)
(عَظِّمْ بِهِ، هَوِّلْ وَحَقِّرْ، كَثِّرِ نَعَمْ، وللتَّقْلِيلِ أَيْضاً نَكِّرِ)

ش : يعني أن تنكير المسند إليه قد يجيء للأفراد كقوله تعالى : ﴿وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى﴾ أي فرد واحد من أفراد الرجال ؛ ويجيء أيضاً منكراً للنوعية . كقوله تعالى : ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ الآية . وقد يجيء منكراً للتعظيم والتهويل والتحقير أي لارتفاع شأنه أو انحطاطه إلى حد لا يمكن معه أن يعرف – مثاله قول الشاعر :

له حاجبٌ عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

ويجيء المسند إليه منكراً أيضاً للتكثير كقولهم : ان له لإِ بلا وان له لغنما، يريدون الكثرة .

نص :

(وإن تُؤكِّدْهُ فَلِلتَّقْرِيرِ أَوْ دَفْعِ مُوهَمٍ لَدَى التَّحْرِير)
(مِنْ كَتَجُّوزٍ وَسَهْوٍ وعَدَمْ شُمُولِ لَفْظِه لِكُلِّ مَا أَلَمْ)
(إِنَّكَ لَوْ تَقُولُ جَاءَ الْقَوْمُ لَجَازَ عِنْدَ سَامِعٍ تَوَهُّمُ)
(أَنْ قَدْ تَخَلَّفَ مِنَ الأَفْرَاد بَعْضٌ ولكِنْ دُونَمَا اعْتَدَاد)
(بِعَكْسِ مَا لَوْ قَالَ جَاء الرَّهْطُ لِشَمَلَ الجَمِيعَ وَهْوَ ضَبْطُ)
(ورُبَّمَا يُجْمَعُ بَيْنَ كُلٍّ وأَجْمَعِينَ حَسَبَ المَحَلِّ)

(ومِنْ هُنَا يَزْدَادُ تَقْرِيعُ اللَّعِيْن   لأنَّهُ لَمْ يَكُ بَيْنَ السَّاجِدِينَ)

ش : وأما توكيد المسند إليه، فقد يرد للتقرير إذا اقتضى المقام ذلك، ومعنى تقريره جعله في ذهن السامع مقرراً وذلك حيث يخاف المتكلم أن يكون السامع غافلاً عن سماعه أولاً فيكرره ليسمعه ثانياً فيتقرر ويبلغ الحكم إلى السامع كما أريد، وقد يقع توكيده لدفع توهم التجوز بأن يكون المتكلم أكد لئلا يتوهم السامع ان المتكلم تجوز أي تكلم بالمجاز، كأن يقول قطع اللصَّ الأمير الأميرُ، أو الأمير نفسهُ لئلا يتوهم أن القاطع بعض غلمانه .

وقد يقع توكيده لدفع توهم السهو بأن يخشى المتكلم أن يعتقد السامع أنه إنما ذكر المسند إليه سهوا وان صاحب الحكم غيره فيقول جاءني زيدٌ زيدٌ أو زيد نفسه وقد يقع توكيده لدفع توهم عدم الشمول فيؤكد المسند إليه بكل واجمعين وما في معناهما لأن المؤكد ولو كان أصله الدلالة على العموم يجوز ان يراد به البعض مجازا مرسلاً من اطلاق الكل وارادة البعض، فيدفع ذلك التوهم ، مثاله أن تقول جاء القوم كلهم اجمعون، أو جاء القوم كلهم، أو جاء القوم اجمعون .

نص :

(وقد يجي بيانه للإيضاح   كنَحْوِ جَا خَلِيلك الطِّرِمَّاحْ)

ش : يعني أن بيان المسند إليه وتفسيره قد يجيء لإيضاحه باسم مختص به ، كقولك صديقك خالد، ونحو ذلك .

نص :

(وعَطْفُهُ لنُكْتَة التَّفْصِيل   أو رَدِّ سَامعٍ إلى السَّبِيل)
(أوْ صَرْفِهِ الحُكْمَ لآخَرَ بِبَلْ   وسَامِعاً شَكِّكْ بِهِ في ذا المحَلْ)

ش : يعني أن عطف المسند إليه يكون للتفصيل مع الاختصار ، نحو جاء زيد وعمرو،وخالد ، أو جاء زيد فعمرو فخالد ، أو ثُمَّ عمرو ، أو جاء القوم حتى خالد، قال في الإيضاح : ولابد في «حتّى» من تدريج كما يُفيده قول أبي نواس الحسن بن هانيء :

وكنت فتى من جند إبليس فارتمى   بي الحال حتى صار إبليس من جندي

وقد يعطف المسند إليه لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب كقولك جاءني زيد لا عمرو، لمن اعتقد أن عمرا جاءك دون زيد ، أو أنهما جاءاك معاً، وقولك ما جاءني زيد لكن عمرو، لمن اعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو، أو لصرف الحكم عن محكوم إلى آخر، نحو جاءني زيد بل عمرو، وما جاءني زيد بل عمرو – أو للتشكيك في الحكم، نحو جاءني زيد أو عمرو، أو إمَّا زيد وإمَّا عمرو، او إما زيد أو عمرو – وقد يجيء للإبهام ومنه قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إيَّاكم لعليى هديٍ أو في ضلال مبين﴾ من سورة سبأ إلي غير ذلك .

نص :

(وفَصْلُهُ بِمُسْنَدٍ خَصَّصَهُ   مثاله قولك إنَّ اللَّهَ هُو)

ش : يعني ان توسط الفصل بين المسند والمسند إليه فلتخصُّصه به مثاله قوله تعالى : ﴿إن الله هو الرزاق﴾ الآية .

نص :

(تَقْدِيمُهُ لأن ذكْرَهُ أهَمْ   وكَوْنُهُ الأصْلَ ولاداعِي ألَمْ)

(وقَدْ يَكُونُ لِتَمَكُّنِ الْخَبَرْ   مِنْ ذِهْنِ سَامِعٍ عَلَى الَّذي اسْتَقَرّ)

(وقد يَجي مُعَجِّلاً لِلْفَرَحِ   كَمَا يَجي مُعَجِّلاً للتَّرَحِ)

(كَالسَّعْدُ حلْفُك وقوله الأذى   في بَيْتَ جَارِكَ وقُلْ لاحَبَّذَا)

(وقد يَجيءُ مُوهِماً للسَّامِعِ   دَوَامَ ذِكْرِهِ بِبَالِ المدَّعِي)

((تخْـصيـصُـهُ بالخَبَـر الفـعْليِّ يُفـيـدُهُ التَـقْـديمُ بالْجَليِّ)
(بِشَـرْطِ أنْ يَليَ حَـرْفَ النَّفْي والنَّفْـيُ لاَ يَـصِحُّ بَعْـدَ النَّفْـي)

ش : يعني أن تقديم المسند إليه يقع لكون ذكره أهم، إما لأنه الأصل ولا داعي للعدول عنه ، وإمَّا ليتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدإ تشويقاً إليه، كقول المعري :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

وإما لتعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحاً للتفاؤل أو للتطير نحو قولهم سعد في دارك، والسفاح في دار صديقك - وإما لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر أو إنه يستلذ فهو إلى الذكر أقرب .

قال عبد القاهر : وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي كقولك ما أنا قلت هذا، أي لم أقله مع أنه مقول، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك، فلا تقول ذلك إلا في شئ ثبت أنه قيل وأنت تريد نفي كونك القائل له، ومنه قول المتنبي :

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

أحوال المسند

نص :

(يَجُوزُ حَذْفُ مُسْنَدٍ لِمَا سَبَقْ   في بَابِ مُسْنَدٍ إِلَيْهِ وَهْوَ حَقْ)
(وذِكْرُهُ كَذِكْرِه وقَدْ مَضَى   تَقْرِيرُ مَا كَانَ لِذَاكَ مُرْتَضَى)
(وَيُذْكَرُونَهُ لِكَوْنِه بَدَا   فِعْلاً يُفِيدُ حَدَثاً تَجَدُّدَا)
(إِنْ يَكُ غَيْرَ سَبَبِيٍّ لَمْ يُفِدْ   تَقْوِيَةَ الْحُكْمِ عَلَى الَّذي اعْتُمِدْ)

ش : يعني انه يجوز حذف المسند كما جاز حذف المسند إليه فيما سبق ذكره في بابه كاختبار تنبيه السامع عند قيام القرينة ، ومن تخييل العدول إلى أقوى الدليلين، ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، أما مع ضيق المقام كقول ضابئي بن الحارث البرجمي :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله   فإني وقيار بها لغريب

أي وقيارُ كذلك . وقول قيس بن الخطيم :

نحن بما عندنا وأنت بما   عندك راض، والرأيُ مختلف

أي نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض . وقول الشاعر :

قالت وقد رأت اصفراري : من به ؟   وتنهدت ، فأجبتُها المتنهّدُ

فان معناه : من فعل به ؟ فيكون التقدير : فعل به المتنهد .

واعلم أن الحذف لابد له من قرينة مثل وقوع الكلام جوابا عن سؤال إما محقق، كقوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله﴾ سورة لقمان ، وقوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من نَّزل من السماء ماء

فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولنَّ الله﴾ من سورة العنكبوت .

وإما مقدر نحو :

ليُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

وأمَّا ذكر المسند، فإما لنحو ما مر في باب المسند إليه من زيادة التقرير، والتعريض بغباوة السامع، والاستلذاذ، والتعظيم، والإهانة، وبسط الكلام، وإما لتعيين كونه اسما فيستفاد منه الثبوت، أو لكونه فعلاً فيستفاد منه التجدد، وإما لنحو ذلك .

وأمَّا إفراد المسند فلكونه غير سببي، مع عدم إفادة تقوِّي الحكم كقولك: زيد منطلق، وقام عمرو، والمراد بالسببي نحو : زيد أبوه منطلق .

تنبيه : اعلم أن أحوال المسند خمسة عشر هى : الترك ، والذكر ، والإفراد ، وكونه فعلاً ، وكونه اسما ، ومقيدا بمعمول أو شرط ، أو غير مقيد بهذا أو بذاك ، وكونه نكرة ، وكونه مخصصا بالإضافة ، أو بالوصف أو غير مخصص ، وكونه معروفة وجملة وتأخيره وتقديمه – والمسند هو المحكوم به وهو المحمول فعلاً كان أو اسماً .

وأرادوا بالترك الحذف ، والملاحظ أنهم عبروا في باب المسند إليه بالحذف وعبروا هنا بالترك، قال ابن السبكي : ولا يظهر معنى الاختصاص كل بلفظ إلاَّ ان يقال الحذف ترك الشئ ملتفتا إليه، والترك المطلق ليس بهذا القيد، قال : ولا شك ان المسند إليه إذا ترك لفظا فهو ملتفت إليه معنى لأنه لابد من تقديره لأنه لا يوجد في الكلام خبر لا مبتدأ له لا في اللفظ ولا في التقدير، بخلاف المسند فإنه قد يترك غير ملتفت إليه فإنه قد يوجد المبتدأ وليس له خبر لا في اللفظ ولا في التقدير كقوله : ضربي زيد قائما، وقولك اقائم الزيدان . أهـ .

نص :

(إفـــرادَه قـــدْ جَـــوَّزوا لَمنْ نَطَقْ   كـــقـــولِهِم زيْدٌ أبُوهُ قـــدَ صَـــدَقْ)

ش : يقول أنهم جوزوا افراد المسند لكونه غير سببي مع عدم إفادة تقوّي الحكم كـقـولك : زيد منطلق ، وقـام عـمـرو، قـال السكاكي : وأمـا الحـالة المقتضية لافراد المسند فهي إذا كان فعلياً ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقَوِّيَ الحكم، وأعني بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوماً به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه، كقولك : أبو زيد منطلق، وضرب أخو عمرو، ويشكرك بكر إن تعطه. والأردب من القمح بستين، قال في الإيضاح : وفيه نظر من وجهين انظرهما فيه .

نص :

(وكَـــونُهُ فـــعْـــلاً فَللتَّـــقْـــيـــد   بزَمنٍ مُـــبَـــيَّنِ التَّـــجْـــديد)

(وكـــونُهُ سَـــميً لِعَكْسٍ أعْلَمُـــوا   بـــأَنَّ ذَا الـــدَّوامُ مِـــنْـــهُ يُـــعْـــلَـــمُ)

ش : يعني أن كون المسند فعلاً فلتقييده بأحد الأزمنة الثلاثة : الماضي وهو الزمـان الذي قبل زمـانك الذي أنت فـيـه، والمسـتـقـبل وهو الزمـان الذي يتـرقب وجـوده بعـد هذا الزمـان والحـال وهو أجـزاء من أواخـر الماضي وأوائل المستقبل متـعاقبة من غير مهلة وتراخ . وهذا أمر عرفي وذلك لأن الفعل دال بصفـتـه على أحـد الأزمنة الثـلاثة من غـيـر احـتـيـاج إلى قرينة تدل على ذلك بخلاف الاسم فإنه يدل عليه بقرينة خارجية كقولنا زيد قائم الآن أو أمس أو غدا، ولذا كانت عبارة المصنف في الإيضاح : فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخص ما يمكن مع إفادة التجدد كقول طريف بن تميم :

أو كلمـــا وردت عـكاظ قـــبـــيلة   بعـــثـــوا إليَّ عـــريفـــهم يتـــوسم

وعكاظ سوق للعرب قرب مدينة الطائف كانت تقام في مستهل ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع فيها قبائل العرب يتفاخرون ويتناشدون، وكان فرسان العرب إذا وردوا عكاظ تقنعوا حتى لا يعرفوا، قالوا : وكان طريف من الشجعان وما كان يتقنع كما يفعلون، فاتفق أنه قتل شراحيل الشيباني ثم ورد عكاظ ووردها حصيصة بن شراحيل فصار يسأل عن طريف فأروه إياه فجعل حصيصة كلما مر به طريف تأمله ونظر إليه حتى فطن له طريف فقال له : ما لك تنظر إليّ مرة بعد مرة ؟ فقال أتوسمك لأعرفك فلله على أن لقيتك في حرب لأقتلنك أو لتقتلني فقال طريف عند ذلك :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة	**بعثوا إليّ عريفهم يتوسم**
فتوسموني إنني أنا ذلكم	**شاك السلاح في الحوادث معلم**
تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة	**زغف ترد السيف وهو مثلم**
حولي أسيد والهجيم ومازن	**وإذا حللت فحول بيتي خضم**

ومحل الشاهد من البيت قوله يتوسم فانه يدل على التجدد، واعلم أن الفعل يدل على التجدد ماضيا كان أم مضارعاً أم أمراً، غير أن التجدد الذي يدل على الماضي المراد به الحصول والمضارع يدل على التجدد بمعنى أن من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى – فقوله يتوسم هو محل الشاهد في البيت حيث أورد الفعل مسنداً للتقييد بأحد الأزمنة مع إفادة التجدد .

وأما كون المسند اسما فلإفادة عدم التقييد والتجدد، ومن البين في ذلك قول النضر بن جؤبة يفتخر بقومه :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا	**لكن يمر عليها وهو منطلق**

وقبل هذا البيت :

قـالت طريفـة مـا تبـقى دراهمنا وما بنا سـرف فـيـها ولا خـرق
إنا إذا اجـتـمـعت يومـا دراهمنا ظلت إلى طرق الخـيـرات تسـتـبق
لا يألف الدرهم ..... البـيـت .... وبعده
حـتى يصـيـر إلى نذل يخلدة يكاد من صـره إياه ينمـزق

ومحل الشاهد في البيت قوله : وهو منطلق، فإنه للإشعار بأن انطلاق الدرهم من الصرة أمر ثابت دائم لا يتجدد وان الدراهم ليس لها استقرار ما في الصرة ، وهذا مبالغة في المدح بالكرم . وفي قوله : لكن يمر عليها وهو منطلق ، تكميل حسن لأن قوله : لا يألف ..الخ . ربما يوهم أنه لا يحصل له جنس الدرهم، فأزال ذلك التوهم بهذا الاستدراك .

نص :

(والفِـعْلُ إن قـيـد بالمفـعـول ونحـوه تنمـو به في القـول)
(فـائدة التـركـيب لكن إن تُرِكْ فـإنما لعـلـة بـدون شَـكْ)

ش : يعني أن تقييد المسند وهو فعل بمفعول ونحوه، فإنما يقع لتربية الفائدة، كقولك ضربت ضرباً شديداً، وضربت زيداً، وضربت يوم الجمعة، وضربت أمامك، وضربت تأديباً، وضربت بالسوط، وجلست والسارية، وجاء زيد راكبا، وطاب زيد نفسا، وما ضرب إلا زيدا، وما ضربت إلا زيدا ؛ والمقيد في نحو « كان زيد قائما » هو « قائما » لا كان ، لان قائما هو نفس المسند وكان قيد له للدلالة على زمان النسبة كما إذا قلت زيد قائم في الزمان الماضي.

وأما ترك يقييد الفعل الكائن مسندا فلمانع من تربية الفائدة مثل خوف فوات الفرصة أو لإرادة أن لا يطلع الحاضرون على زمان الفعل أو مكانه أو

مفعوله، أو لعدم العلم بالمقيدات ونحو ذلك .

نص :

(وإنْ يَكُنْ بالشَّرْطِ جَا تَقْييدُهُ فَذَاكَ لاعْتبَارٍ قَدْ يُفيدُهُ)
(مَعْرِفَةُ الَّذي منَ التَّفْصيل بَيْنَ الْعَوَامِل بذا الْقَبِيل)
(مَرْجِعُهُ الْقَوَاعِدُ النَّحْوِيةْ فإنَّهَا أتَتْ بِهِ مَحْوِيَّهْ)

ش : يعني أن تقييد المسند الذي هو فعل بالشرط يقع لاعتبارات لا تعرف إلا بمعرفة ما بين أدوات الشرط من التفصيل ، وقد جاء ذلك مبيناً في علم النحو .

نص :

(لكنَّما الْبَلاَغيُّونَ قَدْ دَعَوْا لنَظَرٍ في إنْ، إذَا، أيضاً ولَوْ)
(إذَا ، وإنْ، لشَرْطِ الاسْتقْبَال أصْلُ إذَا جَزْمُ وقُوعِ الحَال)
(وعَدَمُ الجَزْمِ بإنْ، وذَا انْبَني أنَّ النُّدُورَ مَوْقعٌ لإنْ هُنَا)
(فَلاَزِمَ الماضِي إذا في اللَّفْظ وهَذه حَرِيَّةٌ بألْحفْظ)
(وَقَدْ يُجَاءُ في مَقَامِ الْقَطْعِ شَرْطًا بإنْ لنُكْتَةٍ تَسْتَدْعي)
(منْهَا التَّجاهُل ونَفْيُ جَزْمِ مُخَاطَبٍ لَمَا وَعَي منْ علْمِ)
(كَأنْ يَلُوحَ نُكْرُهُ لهَذا ثُمَّ يُجيبُ إنْ صَدَقْتَ، مَاذَا)
(نَزِّلْ به مَنْزِلَة الجَهُول منْ لَمْ يَكُنْ بمُقْتَضى الأصُول)
(عَمَلُه، كَقَوْلنَا لمَن رَدَعْ والدَهُ إنْ كَانَ وَالداً فَدَعْ)
(ويِّخ به وجيء به تَغْليبَا كَما به قَدْ هَدَّدُوا شُعَيْبَا)
(جُمْلَةُ ذَيْن قَدْ تجي فعْليَّهْ بمعنى الإسْتقْبَال بالكُلِّيَّةْ)
(وذا لكَوْنهَا لرَبْط أمْر بواحد لَمْ يَكُ بَعْدُ يَجْري)
(وَقَدْ تَجي خلاَفَ ذَا لنُكْتَهْ بَليغَةٍ في ذا المقَامِ بَتَّهْ)
(كَجَعْلِ غَيْرِ حَاصَلٍ كَحَاصِلِ لِقُوَّةِ الأسْبَابِ والتَّفَاؤلِ)

ش : يعني أنه على الرغم من معرفة ما بين أدوات الشرط من التفصيل مبينة في علم النحو، لابُدَّ من النظر ههنا في « إنْ » ، « إِذَا » و « لَوْ » .

أما « إنْ » و « إذا » فهما للشرط في الاستقبال، لكنهما يفترقان في شئ ، وهو أنَّ الأصل في « إنْ » أن لا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه. كما تقول لصاحبك مثلاً : إنْ تكرمني أكرمْك، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك .

والأصل في « إذا » أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه، كما تقول : إذا زالت الشمس أتيتك . ولهذا كان الحكم النادر موقعا لـ « إن » لأن النادر غير مقطوع به في غالب الأمر ؛ وغلب لفظ الماضي مع « إذا » لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظراً إلى اللفظ .

قال تعالى في سورة الاعراف : ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإنْ تصبْهُم سَيِّئَةٌ يطَّيّروا بموسى ومن معه) الآية ، ألا ترى أنه أتى في جانب الحسنة بلفظ « إذا » لأن المراد بالحسنة الحسنة المطلقة التي حصولها مقطوع به ، ولذلك عرفت تعريف الجنس ؛ وأتى في جانب السيئة بلفظ « إنْ » لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة، ولذلك نكرت .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الروم : ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها ، وإنْ تصيبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ الآية ، فقد أتى بـ « إذا » في جانب الرحمة، وأتى بـ « إنْ » في جانب السيئة .

وقد تستعمل « إنْ » في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة كالتجاهل لاستدعاء المقام اياه، وكعدم جزم المخاطب كقولك لمن يكذبك فيما تخبر به : إنْ صدقت فقل لي ماذا تفعل ؟

وكتنزيل منزلة الجاهل لعدم جريه على موجَب العلم كما تقول لمن يؤذي أباه : إن كان أباك فلا تؤذه .. وربما يؤتى بـ « إنْ » بقصد التوبيخ كقوله

تعالى في سورة الزخرف : ﴿أفنضربُ عنكم الذكر صفحا إنْ كنتم قوماً مسرفين﴾ فيمن قرأ إن بكسر الهمزة. فهى بقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الاسراف، وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب الإنتفاء، حقيق أن لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض .

وقد يجاء بـ «إنْ» لتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به، فقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبْدنا﴾ الآية ، يحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم فإنه كان فيهم من يعرف الحق، وإنما ينكر عنادا، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج : ﴿وإن كنتم في ريب من البعث﴾ الآية ، ومن التغليب قوله تعالى من سورة الاعراف : ﴿لنخرجنَّك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنَّ في ملتنا﴾ الآية ، فقد أدخل شعيب عليه الصلاة والسلام في «لتعودن في ملتنا» بحكم التغليب، إذ لم يكن شعيب في ملتهم أصلاً، ونحو ذلك .

واعلم أنه لما كانت هاتان الكلمتان لتعلق أمر بغيره، أعني لتعلق الجزاء بالشرط في الاستقبال امتنع في كل واحدة من جملتيهما الثوبت وفي أفعالهما المضي > أي امتنع أن تكون كلتا الجملتين أو إحداهما اسمية أو يكون فعلاهما أو أحدهما ماضياً، إلاَّ إذا كان ذلك لنكتة مثل إبراز غير الحاصل في صورة الحاصل إمَّا لقوة الأسباب المتآخذة في وقوعه كقولك : إن اشتريت كذا حال انعقاد الأسباب في ذلك، وإمَّا لأن ما هو للواقع كالواقع كقولك : إن مت كان كذا وكذا – وإما للتفاؤل، وإمَّا لإظهار الرغبة في وقوعه نحو قولك إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام، فإن الطالب إذا بالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إيَّاه، فربما يخيَّل إليه حاصلاً .

نص :

(وأمَّــا لَوْ فَــإنَّهَــا للشَّــرطِ فيمَا مَضَى مَعَ انْتِفَاء الشَّرْط)
(قَطْعَــاً، فَــهِي تُلاَزِمُ المُضِــيَّـا مَعْ عَــدَمِ الثُّــبُــوتِ أَوَّ لِيَّــا)
(ورُبَّمَــا تَجِي مَعَ المُضَــارِعِ بِقَــصْدِ الاسْتِـمْرارِ والتَّـتَـابُعِ)

ش : يعني أن «لو» للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء، مثاله قولك : «لو جئتني لأكرمتك» فالإكرام هنا منتف لانتفاء المجيء فهى إذاً لامتناع الشئ لامتناع غيره، أي أنها لتعلق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط فرضا.

وإذا تقرر أنها للشرط في الماضي لزم كون جملتيها فعليتين وكون الفعل فيهما ماضياً ويلزم عدم الثبوت في جملتيها أيضاً، لأن الثبوت ينافي التعليق والاستقبال ينافي المضي، وقد يعدل بجملتيها عن ذلك لكنتة بلاغية ، فقوله تعالى : ﴿لوْ يُطيعُكمْ في كثير من الأمر لعَنِتُّمْ﴾ من سورة الحجرات ، هو لنكتة قصد الاستمرار الفعلي فيما مضى وقتا فوقتا، يعني أن امتناع عنتكم بسبب امتناع استمراره على طاعتكم، فإن المضارع يفيد الاستمرار ودخول «لو» يفيد امتناع الاستمرار .

وقوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ولَوْ ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم﴾ وفي سورة سبأ : ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ لتنزيل الماضي منزلة المستقبل لصدور الخبر عمن لا خلاف في أخباره، فهذه الحالة إنما هي يوم القيامة لكنها جعلت بمعنى الماضي المتحقق فاستعمل فيها «لو» و «إذ» المختصان بالماضي لكن عدل عن لفظ الماضي ولم يقل لو رأيت إشارة إلى انه كلام من لا خلاف في أخباره والمستقبل عنده بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع، فكأنه قيل قد انقضى هذا الأمر، ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعاً .

وربما تكون النكتة هي استحضار صورة رؤية المجرمين ناكسي الرءوس قائلين تلك المقالات، وصورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم يتقاولون فيما بينهم تلك المقالات، كما هو الحال في قوله تعالى من سورة فاطر : ﴿والله أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ فقوله : ﴿فتثير سحاباً﴾ لنكتة استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب مسخراً بين السماء والأرض، تبدو في أول حالها كأنها قطع قطن مندوف، ثم تتضام متقلبة في أطوار حتى تكون ركاماً، فسبحان القادر على كل شئ... وهذا كما قال تأبط شراً :

ألا مَن مبلغ فتيان فهم	**بما لاقيت عند رحا بطانِ**
بأني قد رأيت الْغُولَ تهْوي	**بسهْبٍ كالصحيفة صحصحانِ**
فقلت لها كلانا نضْو أرض	**أخو سفر، فخليٍّ لي مكاني**
فشدَّت شدَّة نحوي، فأهْوَتْ	**لها كفيٍّ بمصقولٍ يماني**
فأضْرِبُهَا بلا دهش فخَرَّت	**صريعاً لليدين وللجران**

فقوله : فأضربها، ليصور لقومه الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيبا من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة – وكون «لو» تأتي مع المضارع للإشارة إلى انه كلام من لاخلاف في إخباره هو ما قصده الناظم بقوله :

نص :

(أوْ لينبِّهَ عَلى صِدْقٍ جَرى	**كَقَوْلِه سُبْحَانَهُ وَلَوْ تَرى)**

فقد علمت المراد به والحمد لله شكراً . نص :

(تَخْصِيصُهُ إضَافَةً أوْ وصْفاً	**فَليُرىَ مُفَادُ ذَاكَ أضْفَا)**
(وَتَرْكُهُ مِنْهُ كَتَرْكِ مُسْنَدِ	**إلَيْهِ، مَا في ذَاكَ مِنْ تَرَدُّدِ)**

ش : يعني أن تخصيص المسند بالإضافة أو بالوصف، كأن تقول : زيد غلام رجل ، أو زيد رجل عالم، فلتكون الفائدة أتمَّ لما مر من أن زيادة الخصوص توجب أتمية الفائدة، وأما ترك تخصيص المسند بالإضافة أو بالوصف فظاهر مما سبق في بيان السبب في ترك تقييد المسند من وجود مانع أو لعدم العلم بما يتخصص به من وصف أو إضافة أو لقصد الاخفاء عن السامعين ونحو ذلك .

نص :

(تَعْرِيفُهُ لأنْ تُفِيدَ سَامِعَا حُكْماً عَلى أمرٍ وكَانَ قَدْ وَعَى)
(أحَدَ شَيْئَيْنِ يُعَرِّفَانِ وَقَدْ جَرَى تَعريفُهُ بالثَّاني)
(كَمَنْ لَهُ علمٌ بزَيْدٍ مَثَلاً لكنَّهُ يَجْهَل كونَه جَلاَ)
(أخاً لَهُ، زَيْدٌ أخوك العَالمْ أوْ أنَّ مَن له الخطَابُ عَالمْ)
(أنَّ لهُ أخاً يُفِيدُهُ الذَّلِقْ مُخبِّراً : زيداً أخُوكَ المُنْطَلِقْ)

ش : يعني ان تعريف المسند يقع لافادة السامع، إمَّا حكما على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف، بأمر آخر له كذلك، وإما لازم حكم بيِّنَ بين أمرين كذلك ، قال في الإيضاح : وتفسير هذا انه قد يكون للشيء صفتان من صفات التعريف، ويكون السامع عالماً باتصافه بإحاهما دون الأخرى، فإذا أردت ان تخبره بأنه متصف بالأخرى، عمدت إلى اللفظ الدَّال على الأول وجعلته مبتدأ، وإلى اللفظ الدال على الثانية وجعلته خبراً، فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية كما إذا كان للسامع أخ يسمى زيدا، وهو يعرف عينه واسمه ولكنه لا يعرف انه أخوه، فإن أردت أن تعرِّفه أنه أخوه قلت : زيد أخوك، سواء في ذلك عرف أن له أخا ولم يعرف أن زيدا أخوه، أو لم يعرف أن له أخاً أصلاً .

فإذا عرف أن له اخا في الجملة، وأردت أن تعينه عنده قلت : أخوك زيد وأما إذا لم يعلم أن له أخا اصلاً، فلا يقال ذلك لامتناع الحكم بالتعيين على من لا يعرفه المخاطب أصلاً ، وبذلك يظهر الفرق بين قولهم : زيد أخوك، وأخوك زيد . أهـ . منه بتصرف قليل .

نص :

(وكَونُهُ بجُملَةٍ فَقَدْ يُفيدْ ... تَقْويةَ الْحُكْمِ الَّذي به يُشيدْ)

(وإنْ تُؤخِّرْهُ فَذاً كَمَا سَبَقْ ... منْ كَونْ ذكْرِ غَيْرِه أولاً أحَقْ)

(وإنْ تُقَدِّمْهُ فللتَّخْصيصِ ... بمُسْنَدٍ إلَيْه بالتَّنْصيصِ)

(وربَّمَا يَكُونُ للتَّنْبيه ... أو للتَّفَاؤل وللتَّنْويه)

ش : ان كونَ المسنَد جملة ، إمَّا لإرادة تَقوِّي الحكم بنفس التركيب كَمَا سبق، وإما لكونه سبباً ، وقد تقدم بيان ذلك . فإن كانت الجملة فعلية فلإفادة التجدد، وإن كانت اسمية فلافادة الثبوت والاستمرار، فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد كما تدل الاسمية على الاستمرار والثبوت .

واما تأخيره فلأن ذكر المسند إليه أهم كما مر في تقديم المسند إليه من انه يكون أهم لأصالته ولا مقتضى للعدول عنه أو لأن فيه تشويقاً للمسند والغرض تقريره في ذهن السامع كما تقدم المثال له أو لأن ذكره أولاً لتعجيل المسرة ونحو ذلك .

وأما تقديمه فإما لتخصيصه بالمسند إليه كقوله تعالى : ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ سورة الكافرون ، وإمَّا للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقول الشاعر : هو حسان بن ثابت رضي الله عنه :

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

ومحل الشاهد فيه قوله له همم ، ولم يقل همم له ، ولو فعل لتوهم أنه

صفة .

وقد يكون تقديمه للتفاؤل ، ومن ذلك قول الشاعر :

سـعـدت بغـرة وجـهك الأيام وتزينت ببـقـائك الأعـوام

وقد يكون تقديمه للتشويق إلى ذكر المسند إليه ، ومن ذلك قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

أحوال متعلقات الفعل

نص :

(إن يُسْنَد الْفِعْلُ إلى فَاعله كَذَاكَ إنْ يُسْنَدْ إلى مَفْعُوله)
(فَغَرَضُ الْقَائِل أن يُفِيدَا تَلَبُّساً بِهِ ولاَ تَقْيِيدَا)

ش : يعني أن حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل، فكما أنك إذا اسندت الفعل إلى الفاعل ، كان غرضك أن تفيد وقوعه منه، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط، كذلك إذا عديته إلى المفعول، كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط وإذاً، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من حيث وقوعه منه ، وعمل النصب في المفعول ليعلم التباسه به من حيث وقوعه عليه .

نص :

(فإنْ يَكُنْ مُجَرَّداً فَالْقَصْدُ بِالْحُكْمِ ، إيجَاباً وسَلْباً ، يَبْدُو)
(لِفَاعِلٍ، لا تَذْكُرِ المَفْعُولاَ وَنَزِّلَنْ كَلاَزِمٍ تَنْزِيلاَ)
(وَقَسَّمَنَّهُ إلى ضَرْبَيْنِ لذي الْبَلاَغَة بدُونَ مَيْنِ)
(أحْدَاهُمَا تَنْزِيلُ فِعْلٍ مُطْلَقَا كِنَايَةً عَنْهُ وقد تَعَلَّقَا)
(بِوَاقِعٍ عَلَيْه ذي خُصُوصِ بِلا قَرِينة ولاَ تَنْصِيصِ)
(كَقَوْله سُبْحَانَهُ هَلْ يَسْتَوِي وشِبْهِهِ مِمَّا كثيراً قَدْ رُوى)

ش : يعني أنه إذا أريد الإخبار بوقوع الفعل في نفسه من غير إرادة أن يعلم ممن وقع الفعل أو على من وقع، فالعبارة المناسبة لذلك أن تقول مثلاً :

كان الضرب أو وقع الضرب ، أو وجدَ أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد .

وإذا تقرر ذلك، فاعلم أن الفعل المتعدي إذا اسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول على ضربين :

الأول : أن يكون الغرض إثبات المعنى في نفسه للفاعل على الإطلاق، أو نفيه عنه كذلك. ومعنى قولنا «على الإطلاقِ» أي من غير اعتبار عمومه وخصوصه، ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه فيكون الفعل المتعدي حينئذ بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول، ولا يقدر أيضاً ، لأن المقدر في حكم المذكور، ومثلوا له بقولهم : فلان يعطي ويمنعُ، ،ويصلُ ويقطعُ – ،منه قول البحتري في مدح المعتز بالله :

شَجْوُ حُسَّادِهِ وغَيْظُ عداه ... أنْ يرى مُبْصِرٌ ويسمعَ وَاعِي

أي أن يكون ذو رؤية وذو سمع ، يعني أن مكارم الممدوح واثاره لم تخف على من له بصر لكثرتها واشتهارها ، فحساده وآعداؤه يتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها، لكي يخفى استحقاقه للإمامة، فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره، ومطلق السمع كناية عن سماع أخباره ،

نص :

(وَمِنْهُ أنْ تَنجي قَرِينَةٌ تدُلّْ ... على الَّذي حُذفَ حَيْثُمَا حَصَلْ)

(مَثَالُهُ قَولُ طُفَيْلِ الْغَنَوي ... لِرَهْط جَعْفَرِ الْكلابي الْمُحْتَوى)

(علَى مَديحٍ حَيْثُ قَالَ أدْفَأتْ ... مِنْ بَعْدِ ألْجَأوا إلى، لذَا ثَبَتَ)

(في ذِهْنِ سَامِعٍ مُرَادُ الشَّاعِرِ ... وَحَصَلَ الْمَقْصُودُ لِلْمُذاكِرِ)

ش : يعني أن من هذا القسم ما تجيء قرينة في الكلام تدل على المحذوف ليثبت بموجب ذلك مراد الشاعر في ذهن السامع واستشهد لذلك بقول طفيل الغنوي يمدح بني جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفرا حين أزْلقَتْ ... بنا نعلنا في الواطئين فزلَّت
أبوا أن يملُّونا. ولو أن أمَّنا ... تلاقي الذي لا قوه منا لملَّت
همُ خَلَطونا بالنفوس وألْجأوا ... إلى حُجُراتٍ أدْفَأتْ وأظلَّت

فإن الأصل : لملَّتْنَا ، وأدفأتْنا ، وأظلَّتْنَا ، إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية .

نص :

(وإنْ يَكُنْ تَعَلُّقُ الحُكْم به ... فيه غَرَابَةٌ ، لذا فانتبه)
(فجئْ بِمَفْعُولٍ لكي تحَصَّلاَ ... في الذِّهْن مَا تعنى بذاك أولا)
(وقَدْ يكونُ الحَذْفُ للْبَيَان ... مِنْ بَعْدِ إبْهَامٍ بِلاَ بُهْتَان)
(وادْفَعْ بِهِ تَوَهُّمَ الإرادَةْ ... بذا الْكَلاَمِ غَيْرَ مَا أفَادَهْ)
(كَحَزٍّ بالْقَطْعِ لِعَظْمِ الهَالِكْ ... إذْ قَدْ يَكُونُ الحَزُّ دُونَ ذَلكْ)

ش : يعني أنه إن يكن الغرض أفادة تعلقه بمفعول، فإن كان في تعلقه به غرابة ذكرت المفعول لتقرره في نفس السامع وتؤنسه به ، مثاله أن يقول الرجل يخبر عن عزه : لو شئت ان اردَّ على الأمير رددت ، وإن شئت أن ألقي الخليفة كل يوم لقيته ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولو شئت أن أبْكي دما لبكيته ... عليه، ولكن ساحة الصبر أوسع

وإنه قد يجاء به لدفع ان يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شئ غير المراد، كقول البحتري :

وكم ذدت عني من تحامل حادث ... وسورة أيام حَزَزْنَ إلى الْعَظْمِ

إذ لو قال : حزرن اللحم ، لتوهم أو كان له أن يتوهم أن الحزَّ كان في بعض اللحم دون العظم فترك ذكر اللحم ليبرئ السامع من هذا الوهم ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى إلى العظم .

نص :

(وثَانِياً يُذْكَرُ للْعنَايَةْ بوَصْفِه بذَاكَ والرِّعَايَهْ)
(وقَدْ يَجِي مُرَادُهُ التَّعْمِيمُ والاخْتِصَارُ مُوجِبٌ سَلِيمُ)
(مَعَ قرِينَةٍ كأصْغَيْتُ إلَيْكْ أوَ أنَّهُ مُسْتَهْجَنُ الذِّكْرِ لَدَيك)

ش : يعني أنه قد يرد ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهارا لكمال العناية بوقوعه عليه ، ومثله قول البحتري يخاطب أبا الصقر :

طلبنا فلم نجد لك في السؤ دد والمجد والمكارم مثلا

أي طلبنا لك مثلا في السؤدد والمجد والمكارم ، فحذف المثل، إذ كان غرضه أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل لا على ضميره . ويجوز ان يكون سبب حذف المفعول هنا قصد المبالغة في التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على أن وجود مثله ممكن، لأن العامل لا يتطلب إلا ما وجوده ممكن .

وقد عكس ذو الرمة هذا المعنى بعينه حيث يقول :

ولم أمدح لأرضه بشعري لئيماً أن يكون أصاب مالاً

فإنه اعمل الفعل الأول الذي « امدح » في صريح لفظ اللئيم، واعمل الفعل الثاني الذي هو « أرضى » في ضميره، إذ كان غرضه إيقاع الفعل على نفي مدح اللئيم صريحاً دون الإرضاء . – وقد يحذف المفعول به لقصد

التعميم فيه والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره، كقولك : قد صدر منك ما يؤلم، أي ما يؤلم كل أحد كل إنسان، ومنه قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ الآية أي يدعو كل أحد . — وقد يحذف للرعاية على الفاصلة كقوله سبحانه وتعالى في سورة الضحى : ﴿ والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودّعك ربك وما قلى ﴾ أي وما قلاك . — وقد يحذف لاستهجان ذكره ، ومنه الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما رأى مني ولا رأيت منه) تعني العورة . — وقد يحذف لغرض الاختصار كقولك لمن يحدثك : اصغيت اليك ، أي اذني .

نص :

(تَقْدِيمُ مَفْعُولٍ ونَحْوِه يُجا	بِهِ لِرَدِّ خَطَإٍ لاَ يُرْتَجَى)
(وذَاكَ في التَّعْيِينِ أنْ تقولا	زَيْداً أَرى لِمَن يَفُهْ سَهْيلا)
(وإن تؤكِّدْهُ فَتَنْفَي غَيْرَهَ	فَقُلْ كَذاَ : زيداً أرى لا غَيْرَهَ)
(في نَحْوِ زَيْداً زُرْتُهُ فَذَلِكْ	مُعْتَبَرٌ مُؤكَّداً كَذَلِكْ)

ش : يعني أن تقديم المفعول ونحوه على الفعل يكون لرد الخطإ في التعيين، كقولك : زيد اعرفت ، لمن اعتقد انك عرفت إنساناً وانه غير زيد ، وتقول لتقرير ذلك وتأكيده : زيداً عرفت لا غيره ، ولذلك لا يصح أن يقول أحد : ما زيد ضربت ولا احدا من الناس لتناقض دلالتي الأول والثاني .

وأما نحو قولك : زيداً عرفته، فإن قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب أي : عرفت زيداً عرفته، فهو من باب التوكيد، أعني تكرير اللفظ، وان قدر بعده أي زيدا عرفت عرفته، فهو من باب التخصيص ، كذا قال في الإيضاح .

نص :

(إن لم يجئ إلا بُعَيْدَ الْفِعْلِ	فَهُوَ تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْفِعْلِ)
(وَهْوَ يُفِيدُ مِن وَرَا التَّخْصِيصِ	عِنَايَةً بِالسَّابِقِ المَنصُوصِ)
(لِذَا يُقَدَّرُ في بسمِ اللّهِ	مُؤخَّرٌ لِجَلْبِ الانْتِبَاه)
(وَجِيء بِمَفْعُولٍ مُقَدَّمٍ عَلى	فَاعِله فِيمَا كَقَوْله عَلاَ)
(في نَفْسِه، مِن بَعْد أوجَسَ خُذَا	ومؤمن مَن آل فِرْعَوْنَ كَذَا)

ش : يعني أنه أي المفعول ان لم يذكر إلا بعد ذلك يفيد تخصيصه بالفعل .

ويفيد التقديم في جميع ذلك وراء التخصيص ، اهتماما بشأن المقدَّم ، ولذا قدَّر المحذوفُ في قوله : (بسم الله) مؤخرا، وأورد عليه قوله تعالى : ﴿ اقرأ بسم ربك ﴾ فإن الفعل فيه مقدم وأجيب بأن تقديم الفعل هناك أهم لأنها أول سورة نزلت .

وأما تقديم بعض معملاته على بعض، فهو إما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول، نحو ضرب زيد عمرا، وتقديم المفعول الأول على الثاني نحو : أعطيت زيداً درهما .

وأما لأن ذكره أهم والعناية به أتم، وأما لأن في التأخير إخلال ببيان المعنى، مثاله قوله تعالى في سورة المؤمن : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ الآية ، فإنه لو أخر ﴿ من آل فرعون ﴾ عن يكتم إيمانه ﴾ لتوهم ان ﴿ من ﴾ متعلقة بـ ﴿ يكتم إيمانه ﴾ فلم يفهم ان الرجل من آل فرعون .

وإما لأن في التأخير إخلالا بالتناسب كرعاية الفاصلة نحو قوله تعالى في سورة طه : ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ الآية ، وإما لاعتبار آخر مناسب .

القول في القصر

نص :

(هوَ لَدَى اصْطَلاَحِ ذِي البَيَان تَخْصِيصُكَ الشَّيْءَ بشَيْءٍ ثَان)

(مَعَ اعْتِمَادِ المَنْهَجِ المَعْهُودِ)

ش : القصر في اللغة الحبس ، ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ حُورٌ مقصورات في الخيام ﴾ أي محبوسة فيها ، وأما في الاصطلاح فقد عرفوه بأنه تخصيص شيء بشيء أي تخصيص موصوف بصفة ، أو صفة بموصوف بطريق مخصوص من الطرق الأربعة الآتية من النفي والاستثناء وغير ذلك وهو يجري بين الفعل والفاعل، وبين المبتدإ والخبر، وبين الفعل والظرف والحال وغيرهما .

نص : (وهُوَ نَوْعَانِ ذَوَا وُرُودِ)

حَقِيقَةُ تَخْصِيصُكَ الشَّيَّ بِشَيْ	حَقِيقَةً في نَفْسِ الأَمْرِ دُونَ غَيْ)
(مِثَالُهُ مَا زَيْدٌ إلاَّ كَاتِبْ	تُرِيدُ قَصْرَ وَصْفِهِ بالكَاتِبْ)
(وهذا قَصْرُ مَوْصُوفٍ على الصِّفَةْ	والثَّانِي قَصْرُهَا عَلَيْهِ عَرَّفَهْ)
(كَنَحْوِ مَا في الدَّارِ إلاَّ زَيْدُ	مُبَالِغاً ومَا بِذاكَ قَيْدُ)

ش : يعني أن القصر ينقسم إلى نوعين هما القصر الحقيقي والقصر غير الحقيقي، لأن تخصيص شئ بشئ إمَّا أن يكون بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلاً وهو الحقيقي وإما أن يكون بحسب الإضافة إلى شئ آخر بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشئ وان أمكن ان يتجاوزه إلى شئ آخر . وكل واحد منهما ضربان : قصر الموصوف على الصفة ، وقصر

الصفة على الموصوف ، والمراد الصفة المعنوية لا النعت، مثال القصر الحقيقي قولك مازيد إلا كاتب ، إذا اردت انه لا يتصف بصفة غير الكتابة، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام لأنه ما من متصور إلاَّ وتكون له صفات تتعذر الإحاطة أو من العسير الإحاطة بها – ومن أمثلته كذلك قولك : ما في الدار الا زيد ، وهذا النوع منه كثير ، والفرق بينه وبين الأول ظاهر ، وهو أن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة، وفي الثاني يمتنع أن يشاركه غيره فيها ، وقد يقصد به المبالغة، لعدم الإعتداد بغير المذكور، فينزل منزلة المعدوم .

نص :

(غَيْرُ حَقِيقيٌّ كَقَصْرِ أمْرِ	بِصِفَةٍ دُونَ سِوَاهَا فَادْرِ)
(ومِنْهُ وَصْفُهُ بِهَا مَكَانَهَا	وَمِنْهُ قَصْرُها عَلَيْهِ أنَّهَا)
(غَيْرُ مُشَارِكٍ فِيهَا أوَ أنَّهُ	وَصَفَ آخرِ بِهَا مَكَانَهُ)

ش : يعني ان من القصر غير الحقيقي تخصيص أمر بصفة دون أخرى أو مكان أخرى، ومنه تخصيص صفة بأمر دون آخر أو مكان آخر فكل واحد منهما ضربان .

نص :

(ثُمَّ المخاطَبُ لَدَى اعْتِقَادِ	مُشَارِكٍ فَالْقَصْرُ ذا إفرادي)
(وإنْ يَكُ اعْتِقَادُهُ بالْعَكْسِ	فَقَصْرُ قلْبٍ ذَاكَ دُونَ لَبْسِ)
(وإنْ تَسَاوىَ ظَنُّهُ بِذَينِ	فَقَصْرُ تَعْيِينٍ بِدُونِ مَيْنِ)

ش : يعني أن المخاطب بقولنا : ما زيد إلا كاتب مثلاً، وهو من يعتقد أن زيداً كاتب وشاعر، وبقولنا : ما شاعر إلا زيد، من يعتقد أن زيدا شاعر لكن

يدّعي أن عمرا أيضاً شاعر، وهذا يسمى قصر افراد لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف، أو بين الموصوف وغيره في الإتصاف بالصفة .

والمخاطب بقولنا : ما زيد إلا قائم ، هو من يعتقد أنه قاعد أو جالس أو نحو ذلك ، وبقولنا : ما شاعر إلا زيد من اعتقد أن الشاعر عمرو لا زيد، وهذا يسمى قصر قلب لقلب حكم المخاطب .

واما من تساوى الأمران عنده أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الأول، واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني ، يسمى القصر بالنسبة اليه قصر تعيين .

تنبيه : شرط قصر الموصوف على الصفة إفراداً عدمُ تنافي الصفتين حتى تكون المنفية في قولنا : ما زيد إلا شاعر، مثلاً كونه كاتباً ، أو منجما أو نحو ذلك ، لا لكونه مفحما لا يقول الشعر لِيَتَصَوَّرَ اعتقاد المخاطب اجتماعهما .

وشرط قصر الموصوف على الصفة قلباً تحقيق تنافي الصفتين حتى تكون المنفية في قولنا : ما زيد إلا قائم، كونه قاعدا، أو جالساً أو نحو ذلك، لا كونه أبيض أو أسود، ليكون اثباتها مشعراً بانتفاء غيرها .

وليس هناك شرط في قصر التعيين ، فكل ما يصلح أن يكون مثالاً لقصر الافراد أو قصر القلب ، يصلح أن يكون مثالاً لقصر التعيين، فهو أعم إذاً منهما.

نص :

(فالْعَطْفُ مِنْ طُرُقِهِ وإنَّمَا ... والنَّفيُ، الاسْتِثْنَا كذا إنْ قُدِّمَا)

(اقْصُرْ بِلاَ واقْصِرْ بِبَلْ في العَطْفِ ... في القَلْبِ والافْرادِ دُونَ خَلْفِ)

(كَذَاكَ في التَّعْيينِ لِلْمُسَاوىَ ... اسْتُرْ إلاَ هِيَ مِنِّى المَسَاوى)

ش : يعني أن طرق القصر منها العطف ، كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفرادا : « زيد شاعر لا كاتب » أو « ما زيد كاتباً بل شاعر » وقلبا : « زيد قائم لا قاعد » أو « ما زيد قاعداً بل قائم » وفي قصر الصفة على الموصوف إفرادا أو قلبا بحسب المقام : « زيد قائم لا عمرو » أو « ما عمرو قائماً بل زيد » .

ومنها النفي والاستثناء ، كقولك في قصر الموصوف على الصفة افرادا : « ما زيد إلا شاعر » وقلبا « ما زيد إلا قائم » وتعيينا كقوله تعالى : ﴿ وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم الا تكذبون ﴾ من سورة يس ، أي لستم في دعواكم الرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدَّعى، بل أنتم عندنا كاذبون فيها ، وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين : « ما قائم – أو ما من قائم – أو لا قائم – إلا زيد » .

وتحقيق وجه القصر في الأول أنه متى قيل « مازيد » ، توجه النفي إلى صفته لا ذاته ، لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها ، وإنما تنفي صفاتها كما بين ذلك في غير هذا العلم ، وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك، وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً، تناولهما النفي ، فإذا قيل : «إلا شاعر» جاء القصر .

وفي الثاني أنه متى قيل : « ما شاعر » فأدخل النفي على الوصف المسلَّم ثبوته، أعني الشعر لغير من الكلام فيهما، كزيد وعمرو مثلاً ، توجه النفي إليهما، فإذا قيل : « إلا زيد » جاء القصر . ومن طرق القصر « إنما » كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفرادا، « انما زيد كاتب » وقلبا « إنما زيد قائم » وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين : « إنما قائم زيد » .

والدليل على أنها تفيد القصر، كونها متضمنة معنى « ما » و « إلاَّ » لقول

المفسرين في قوله تعالى : ﴿ إنما حرَّم عليكم الميتة والدم ﴾ بالنصب ، معناه : ما حرم عليكم إلا الميتة .

ولقول النحاة « إنما » لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه، ولصحة انفصال الضمير معها، كقولك « إنما يضرب أنا » كما تقول « ما يضرب إلا أنا » – قال الفرزدق :

انا الذائد الحامي الذمار، وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

وقال عمرو بن معدي كرب :

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطَّر الفارس إلاَّ أنا

ومن طرق القصر : التقديمُ ، كقولك في قصر الموصوف على الصفة افرادا : « شاعر هو » لمن يعتقده شاعرا وكاتبا ، – وقلبا « قائم هو » لمن يعتقد قاعدا ، – وفي قصر الصفة على الموصوف إفراداً « انا كفيت مهمك » بمعنى وحدي ، لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتما مهمه ، وقلباً : « أنا كفيت مهمك » بمعنى لا غيري، لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم .

نص :

(دَلاَلَةُ الْقَصْرِ بِذَا فِي النَّصِّ عَلى الَّذِي نُفِي، بِذَاكَ أوصِي)

(وَهْوَ بـ« لاَ » يُغَايِرُ النَّفْيَ وَالاسْتِثْنَاءَ ، ذَاكَ قَدْ جَاءَتْ بِهِ أُسُسْ)

(شَرْطُ جَوَازِ نَفْيِ لا ، أن لاَّ يُرى مَا قَبْلَهَا مُنْتَفِياً كَمَا تَرَى)

(فَلاَ يَصِحُّ قَوْلُنَا مَا عَائِدْ إلاَّ تَرَاهُ قَائِماً لاَ قَاعِدْ)

ش : مراده ، أن دلالة طرق القصر الثلاث الأولى على القصر بالنص أي بالوضع لأن الواضع وضعها لمعان تفيد القصر، وهى إثبات المذكور ونفي ما سواه في كل من الثلاثة، وهذه المعاني تفيد القصر والاختصاص فحرف النفي

وضع للنفي وحرف الاستثناء وضع للإخراج من حكم النفي ويلزم من اجتماعهما القصر .

وشرط جواز النفي بلا العاطفة أن لا يكون ذلك النفي منفياً قبلها بغيرها من أودات النفي فإنها موضوعة لأن تنفي بها ما أوجبته للمتبوع، لا لأن تعيد بها النفي في شئ قد نفيته وهذا الشرط مفقود في النفي والاستثناء ، لإنك لو قلت : ما زيد إلا قائم فقد نفيت عنه كل صفة وقع فيها التنازع حتى كأنك قلت ليس هو بقاعد ولا نائم ولا مضطجع ونحو ذلك، فإذا قلت لا قاعد، فقد نفيت بلا العاطفة شيئاً هو منفي قبلها بما النافية .

نص :

(إلاَّ اصْلُهَــا لِلنُّكْرِ إذْ يُبْــدِيهِ مُــخَــاطبٌ ومَــا يَشُكُّ فِــيــهِ)
(أوْ مَـــا لَهُ منزِلَةُ الإنْـكَار تأخيــرُ مَـقْـصُورٍ عَلَيْـه جَـارِ)
(وإنَّمَـا مِنْ أدوَاتِ الْقَـصْـرِ وهْـيَ لِمَـعْـلُومٍ بِـدُونِ نُـكْـرِ)
(وقَـدْ ينزَّلُ بهَـا الْمجْـهُـولْ مَنْزِلَةَ المَعْلُومِ والمَعْـقُـولْ)

ش : يعني أن أصل النفي والاثبات ان يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب وينكره ، كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحاً من بعيد : « ما هو إلا زيد » إذا وجدته يعتقده غير زيد ، ويصر على الإنكار، وعليه جرى قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وما من إله إلاَّ الله ﴾ الآية ، ويكون المقصور عليه بالنفي أو الاستثناء دائماً بعد أداة الاستثناء – واصل إنما أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ولا ينكره فهى على العكس من النفي والاثبات، كقولك : إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لمن يقر بذلك ويعلمه ، تريد أن ترقه عليه وتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب . قال في

الإيضاح : وعليه قول أبي الطيب :

إنما أنت والد ، والأب القا ... طع أحني من واصل الأولاد

فهو ليس قصده أن يعلم كافورا أنه بمنزلة الوالد ، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الاعلام، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم، ليبني عليه استدعاء ما يوجبه .

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادّعاء المتكلم ظهوره، فتستعمل له « إنما » نحو قوله تعالى في سورة البقرة حكاية عن المنافقين : ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ فقد ادعوا بذلك ان كونهم مصلحين ظاهرً جليٌّ، ولذلك جاء الرد عليهم مؤكدا غاية اتأكيد، فقال تعالى : ﴿ ألا إنَّهم هم المفسدون ﴾ جعل جملة الرد عليهم اسمية، وعرَّف الخبر بالألف واللام ، ووسط ضمير الفصل ، وصدَّر بحرف التنبيه ،أكد بـ « إنَّ » - قال في الإيضاح : ومنه قول عبد الله بن قيس الرقبان في مدح مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من اللّه ... تجلت عن وجهه الظلماء

فقد ادَّعَى ان كون مصعب كذلك معلوم جليٌّ لكل أحد، وذلك على عادة الشعراء إذا مدحوا ان يدَّعوا في كل ما يصفون به ممدوحهم الجلاء . وأنهم شهروا به حتى إنه لا يدفعه أحد ، وكما قال الحطيئة :

وتَعْذِلُنِي أفناءُ سَعْدٍ عَلِيهم ... وما قُلْتُ إلاَّ بالتي علمتْ سَعْدُ

وقال البحتري :

لا أدَّعي لأبي العلاء فضيلة ... حتَّى يُسلِّمها إليه عِداهُ

تنبيه : لطريق القصر بإنما مزية على طريق العطف، هي أنه يعقل من طريق إنّما إثبات الفعل بشئ ونفيه عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف،

وإذا استقريت وجدتها أحسن ما يكون موقعا إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضي الكلام بعدها . كما في قوله تعالى في سورة الرعد : ﴿إِنَّما يتذكر أولوا الألباب﴾ الآية ، فإنه تعريض بليغ بذم الكفار، وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل، فأنتم في طمعكم منهم النظر والتفكر كمن طمع في ذلك ممن ليس عنده عقل، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة النازعات : ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ الآية ، وقوله تعالى في سورة فاطر : ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربَّهم بالغيب﴾ الآية ، المعنى أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع ولا قلب يعقل، فالأنذار معه وعدمه سواء .

تنبيه : قد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له النفي والاثبات وعليه قوله تعالى : ﴿وما محمد إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية من آ عمران ، أي انه ﷺ مقصور على الوصف بالرسالة لا يتعداها إلى البراءة من الهلاك، فقد نزل استعظامهم موته منزلة انكارهم أنه يمكن أن يموت، فالمخاطبون وهم الصحابة رضي الله عنهم كانوا عالمين بكونه مقصوراً على الرسالة غير جامع بين الرسالة والتبري من الموت لكنهم لما كانوا يعدون موته أمراً عظيماً نزل استعظامهم ذلك منزلة انكارهم إياه فاستعمل له النفي والاستثناء، والاعتبار المناسب لذلك هو الإشعار بعظم هذا الأمر في نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه، بأبي وأمٍّ هو ، بين أظهرهم .

ومثله قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿وما أنت بمسمعٍ من في القبور إنْ أنت إلاَّ نذير﴾ الآية، فإنه ﷺ كان لشدة حرصه على هداية الناس ، يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان، ولا يرجع عنها، فكان في معرض من يظن أنه يملك، مع صفة الإنذار، إيجاد الشئ فيما يمتنع قبوله اياه ، فخوطب بأنه

مقصور على الوصف بالإندار لا يتعداه إلى إيجاد القبول فيمن لا يريد الله منه ذلك :

نص :

(مَـدْلُولُهَـا أحْـسَنُهُ التَّـعْـرِيضُ وَبَعْـدَهُ الْقَـصْـرُ وَذَا عَـرِيضُ)

ش : قد تقدم آنفاً المراد بهذا البيت في التنبيه قبل الأخير ، والحمد لله .

نص :

(يَقَعُ بَيْنَ الْمُـبْـتَـدا والْخَـبَـر والفِـعْلِ والْفَـاعِلِ في الَّذي دُري)
(مِنْ أدوَاتِ قَـصْـرِكَ التّـقْـدِيمُ دلَّ عَلى الْقَـصْـرِ بِهِ الْمَـفْـهُـومُ)

ش : يعني أن القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر كما مر، يقع بين الفعل والفاعل وغيرهما، ففي طريق النفي والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء كقولك في قصر الفاعل على المفعول افرادا أو قلبا بحسب المقام : ما ضرب زيدٌ إلاّ عمرا ، ومن القلب قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ما قلت لهم إلاّ ما امرتني به ان اعبدوا الله ربِّي وربَّكم﴾ الآية ، لأنه ليس معناه : اني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً، إذ ليس الكلام في أنه زاد شيئا على ذلك أو نقص منه، ولكن المعنى : إني لم أترك ما أمرتني به ان أقول لهم إلى خلافة، لأن الجواب لمقام اشتمل على مامعناه : انك دعوتهم إلى ان يعبدوا غيري وقد امرتك أن تدعو الناس إلى افرادي بالعبادة، أتركت ما امرتك بقوله إلى ما لم آمرك ان تقول، ذلك ان الآية جواب لقوله تعالى قبل هذا بقليل : ﴿وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمِّي إلَهين من دون الله﴾ الآية

ومن قصر المفعول على الفاعل : ما ضرب عمراً زيد ، وفي قصر المفعول

الأول على الثاني في نحـو « كـسوت وظننت » ما كـسوت زيداً إلا جبة ، وما ظننت زيدا إلا منطلقاً، وفي قصر الثاني على الأول : ما كسوت جبة إلا زيداً ، وما ظننت منطلقاً إلا زيداً ، وفي قصر ذي الحال على الحال : ما جاء زيد إلا راكبا ، وفي قصر الحال على ذي الحال : ما جاء راكبا إلا زيد .

وقـوله : من أدوات البـيـت . يريد بـه ان التـقـديم من أدوات القـصـر وقـد تقدم مثاله بل امثلته وإنما اعاد ذكره ليرتب على ذلك أن دلالته على القصر إنما هى بالمفهوم لا بالمنطوق .

الإنشـــاء

نص :

(مَـالَمْ تَكُنْ نِسْبـتُـهُ في الْخَـارِجْ مَـــوْجُـــودَةً، مِنَ الْكَلاَمِ الدَّارِجْ)
(يُسَـــمَّى إنْشَـــاءً ، كَـذَاكَ يُطْلَقُ عَلى كَـــلاَمٍ ذِي الْكَلاَمِ يَنْطِقُ)
(بِطَلَبٍ وَذَا هُوَ المَقْـــصُـــودُ وَغَـيْـرهُ مِـمَّـا هُوَ المَعْـهُـودُ)
(كَـقَـسَمٍ وصِـيَغِ العُـقُـودِ فَـــهْـــوَ هُنَا لَيْسَ بِذِي ورُودِ)

ش : يعني ان الإنشاء يطلق على نفس الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، وان الإنشاء يطلق أيضاً على ما هو فعل المتكلم أعني إلقاء مثل هذا الكلام، والأظهر ان المراد ههنا هو الثاني بقرينة تقسيمه إلى طلبي وغير طلبي – وان الطلبي منه هو ما استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، لامتناع طلب الحاصل، وهذا هو المقصود بالبحث هنا، وقال إن غير الطلبي كأفعال المدح والذم كنعم وبئس وكصيغ العقود كبعت لإنشاء البيع وأنكحت لإنشاء التزويج، وكجملة القسم كأقسم بالله لإنشاء القسم، ونحو ذلك مثل إظهار الفرح والحزن، فإنه ليس بذي ورود هنا، لأن المقصود هنا بالبحث هو الإنشاء الطلبي .

نص :

(وَذُو الْكَلاَمِ إنْ يَكُنْ قَـدْ طَلَبَـا أمْـراً ولَيْسَ حَـاصِـلاً إذْ طُلِبَـا)
(أنواعُـهُ في الفَنِّ ذَا كَـثِـيـرةْ مَـعْلُومَـةٌ مَـعْـهُـودَةٌ شَـهِـيَـرَةْ)
(مِنْهَـا التَّـمَنِّي أدَةٌ بَلَيْـتَـا لاَ شَـرْطَ في إمْكانـه هُدِيتَـا)
(مِـثَـالُهُ لَيْتَ شَـبَـابَنَا يَعُـودْ وَلَيْسَ في إمْكَانِ ذاك مِنْ وُجُـودْ)

(يَجِي بِهَلْ وذا كـهَل لِّي مِنْ شَـفِـيعْ   إذَا يَـكن بِـعلمِـــهِ أن لا شَــفِـــيعْ)
(ثُمَّ بـلَوْ جَـــازَ لَكَ الـتَّــــمَـنِيٌّ   كلَوْ سَـــمَـــحْـتَ فَـعَـفَــوْتَ عَنِّي)

ش : يعني أن المتكلم إذا طلب امرا غير حاصل ورقت الطلب سمى ذلك إنشاء كما تقدم، وان أنواع هذا الإنشاء كثيرة ، منها التمني وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، واللفظ الموضوع له ليت، ولا يشترط إمكان المتمني بخلاف الترجي، فتقول ليت الشباب يعود، ولا تقول لعله يعود، ولكن إذا كان المتمني ممكنا يجب أن لا يكون لك توقع وطماعية في وقوعه وإلا صار ترجيا . وقد يتمنى بهَلْ نحو : هل لي من شفيع حيث يعلم أن لا شفيع ، لأنه حينئذ يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه ، والنكتة في التمني بهل والعدول عن ليت هو إبراز المتمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه وقد يتمنى بلَوْ نحو : لو تأتيني فتحدثني بالنصب ، على تقدير فأن تحدثني فإن النصب قرينة على أن لو ليست على أصلها إذ لا ينصب المضارع بعدها بإضمار أن، وإنما يضمر بعد الأشياء الستة ، والمناسب هنا هو التمني . والمراد بالأشياء الستة : الاستفهام والتمني والعرض ودخل فيه التحضيض لقربه منه ، والأمر، والنهي ، والنفي . انظر حاشية الدسوقي على السعد وقال السكاكي : كأن حروف التنديم والتحضيض وهي هلاَّ والاَّ بقلب الهاء همزة ولولا، ولو ما ، كأنها مأخوذة من هل ولو اللتين للتمني حال كونهما مركبتين مع لا وما المزيدتين لتضمنهما معنى التمني ليتولد منه، ومثال ذلك في الماضي : هلا أكرمت زيداً ، ولو ما اكرمته ، على معنى ليتك اكرمته قصدا إلى جعله نادماً على ترك اكرامه - ومثاله في المضارع : هلا تقوم ، ولو ما تقوم، على معنى ليتك تقوم قصدا إلى حثه على القيام .

وقد يتمنى بلعَلَّ وتعطي حكم ليت وينصب في جوابها المضارع على إضمار أن نحو : لعلي احج فأزورَك بالنصب لبعد المرجو عن الحصول، وبهذا يشبه المحالات والممكنات التي لا طمع فيها فيتولد منه معنى التمني .

نص :

(ثم سُؤالُ طَالِبِ التَّصْديقِ	أوِ التَّصَورِ عَلى التَّحْقيق)
(فَطَالِبُ التَّصْديقَ مَنْ تَردَّدَا	في نِسْبَةِ نَفْيَاً ثُبوتاً ورَدَا)
(بِعَكْسِ الاسْتِفْهَامِ عَن تَصَورُ	فَعَنْ تَرَدُّدٍ في عَينِ مَا دُري)
(صيغَةُ الْهَمْزَةُ هَلْ ومَا وَمَنْ	أيٌّ، مَتَى، وكَيْفَ، ايَّان اعْلَمَنْ)
(أنَّي، وأيْنَ جَاءَ الاسْتِفْهَامُ	تَأْدِيَةً بِهَا ولاَ مَلاَمُ)
(فَهَلْ تَخُصُّ طَلَبَ التَّصْديق	ثُمْ التَّصَوُرُ عَلى التَّحْقيق)
(اسْمَاءُ الاسْتِفْهامِ كُلُّهَا بِهِ	تَخْتَصُّ دُونَ غيره فانْتَبِه)
(تَجِي لِذَيْنَ هَمْزَةُ اسْتِفْهَامِ	أجْلَ التَّأصُّلِ بالإسْتِفْهَامِ)
(لِذَا يَجُوزُ أنْ يجِي مِنْ بَعْدِ أمْ	جَميعُ مَا مِنْ شَأنِه قَدْ يُتَّسَمْ)
(بِأنَّهُ آيَةُ الاسْتِفْهَامِ	فيما عدى هَمْزَتِه اسْتِفْهَامِ)
(وَحُكْمُ ما عَنْهُ بِهَا اسْتِفْهَامُ	أنْ يَلِيَ الْهَمْزَةَ والسَّلاَمُ)
(كأضَرَبْتَ مَعْمَراً أأنْتَا	ضَرَبْتَهُ أمَعْمَراً ضَرَبْتَا ؟)

ش : يعني أن من أنواع الانشاء الطلبي الاستفهام وهو طلب حصول صورة الشئ في الذهن فإن كانت وقوع نسبة بين أمرين في الخارج، أو عدم وقوعها، فحصولها هو التصديق معناه أن التصديق هو إدراك النسبة، ويمتنع ذكر المعادل معه، وان التصور هو إدراك المفرد، فالحاصل ان التصديق هو إدراك

مطابقة النسبة الكلامية للواقع أو عدم مطابقتها، وان التصور هو إدراك الموضوع أو المحمول أو النسبة أو اثنين من هذه الثلاثة او إدراك الثلاثة .

والألفاظ الموضوعة للاستفهام هى : الهمزة ، وهَلْ، ومَنْ ، وما ، وأيٌّ، وكم، وكيف، وأيْنَ، وأنَّى، ومَتى، وأيَّانَ .

فالهمزة لطلب التصديق ، كقولك : أقام زيد ؟ أزيد قائم؟ وتأتي الهمزة أيضاً لطلب التصوير كقولك : أدبْسٌ في الإناء أم عسلٌ؟ أفي الخابية دبسُك أم في الزِّقِّ؟ .

والمسئول عنه بالهمزة هو ما يليها مباشرة، فتقول : أضربت زيداً؟ إذا كان الشك في الفعل نفسه، وأردت بالإستفهام أن تعلم وجوده، وتقول : أأنت ضربت زيداً؟ رذا كان الشك في الفاعل من هو ؟ وتقول : أزيدا ضربت؟ إذا كان الشك في المفعول به من هو؟ .

تنبيه : ضوابط ما يتميز به حقيقة الاستفهام عن التصديق وحقيقة الاستفهام عن التصور ما بين لفظي ومعنوي، فمن ذلك ان الاستفهام عن التصديق حقه أن يؤتي بعده بأم المنقطعة دون المتصلة، وان الاستفهام عن التصور هو ما صلح أن يؤتى بعده بأم المتصلة دون المنقطعة .

ومن ذلك أن الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن بين ثبوتها وانتفائها، والاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد شيئين فبالاستفهام يعلم أنه أحاط العلم بأحدهما لا بعينه مسندين أم مسندا إليهما أم من متعلقات الإسناد. وهذا الضابط هو أيضاً ضابط الفرق بين أم المتصلة والمنفصلة .

نص :

(وَهَلْ تُخَصِّصُ بالاسْتِقْبَال ... فِعْلَ الْمُضَارِعِ مِنَ الأفْعَال)
(فَائْتِ بِهَا عَوْضُ مَعَ الْفِعْلِ وإنْ ... وَلِيَهَا الاسْمُ قدره كَمَنْ)

ش : يعني ان هل لطلب التصديق بحسب قولك : هل قام زيدٌ ؟ وهل عمروٌ قاعد؟ ولهذا امتنع ان تقول : هل زيدُ قام أمْ عمروٌ ؟ وقَبُحَ : هل زيدا ضربت ؟ لما سبق تقريره من أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل، ويستدعي الشك فيما قدم عليه. واعلم أن هل تخصص الفعل المضارع للإستقبال، فلا يصح قولك : «هل تَضّرِبُ زيدا وهو أخوك؟» كما يصح أن تقول : «أتَضْرِبُ زيداً وهو أخوك» .

ثم إنه لها أي لهل مزيد اختصاص بما كونه زمانيا أظهر كالفعل، وذلك لاختصاصها بالتصديق ، ولتخصيصها المضارع بالاستقبال .

أما تخصيصها المضارع بالاستقبال فظاهر، وأما اختصاصها بالتصديق، فلأن الفعل لا يكون إلا صفة، والتصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء ، والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات لا الذوات، ولهذا كان قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ فهل أنتم شاكرون ﴾ أدلَّ على طلب الشكر من قولنا : فهل تشكرون؟ ومن قولنا : فهل أنتم تشكرون؟ لأن إبراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدلُّ على كمال العناية بحصوله من ابقائه على أصله، وكذلك لفظ الآية المتقدمة أدل على طلب الشكر من قولنا : أفأنتم شاكرون؟ وإن كانت صيغته للثبوت لأن هل أدعى للفعل من الهمزة، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله. — ثم ان الألفاظ الباقية جميعها لطلب التصور فقط .

نص :

(وَسَلْ بِمَا عَنَ جِنْسِ ذي الأَشْيَاء وعَنْ صِفَاتِ الذَّمِّ والثَّنَاء)
(إنْ قِيلَ مَا عِنْدَكَ؟ قُلْ : كِتَابُ أوْ قِيلَ مَا زَيْدٌ ؟ فَقُلْ أوَّابُ)

ش : يعني أن « ما » يطلب بها شرح الاسم كقولك ما العنقاء ؟ ويطلب بها ما هية المسمى. كقولك : ما الحركة ، ويسأل بها عن صفات الذم والمدح كقولك : ما زيد؟ فجوابه كريم أو فاضل ونحو ذلك، فسؤال فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ وما ربُّ العالمين﴾ من سورة الشعراء، قيل هو عن الجنس، كأنه قال : أي أجناس الاجسام هو ؟ فأجابه موسى بالوصف للتنبيه على النظر المؤدي إلى معرفته تعالى فقال : ﴿ ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين﴾ ولما لم يطابق الجواب السؤال عند فرعون عجب الجهلة من حوله من قول موسى بقوله ﴿ ألا تسمتمعون﴾ ثم لما أصر موسى على الجواب بالوصف، استهزأ به وجننه بقوله الذي حكاه عنه تعالى بقوله : ﴿إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون﴾ من سورة الشعراء .

قلت : قد تلقيت عن شيخنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار رحمه الله، أن نفوس العقلاء جبلت على الإقرار بأفعال الله تعالى ونسبتها إليه تعالى، وقال ان سؤال فرعون هذا لموسى ﴿ وما رب العالمين﴾ هو تجاهل منه وسؤال عما هو به خبير، قال : وذلك لدليلين من كتاب الله : الأول : رد موسى عليه الصلاة والسلام عليه بقوله : ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر﴾ الآية، والثاني : قوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستقنَها أنفسهم ظلماً وعلوا﴾ الآية .

نص :

(وَسَلْ بِمَنْ عن جَنْسِ أهْلِ العِلْمِ   وَفي الأخِيرِ نَظَرٌ إذْ تَنْمى)

ش : يعني ان مَنْ يسأل بها عن الجنس من ذوي العلم كقولك مثلاً : مَنْ جبريل ؟ فكأنك تسأل أملك هو أم بشر، وهذا رأي السكاكي وهو غير مسلَّم، إذ لا نسلم أنه للسؤال عن الجنس لأنه يصح أن يقال في جواب مَنْ جبريل ؟ هو ملك يأتي بالوحي من عند الله إلى من اصطفاه الله بوحيه، واذاً فإن مَنْ يؤتي بلفظها للسؤال عن العارض المشخص لذي العلم، لأنه إذا قيل : مَنْ فلانٌ؟ فالجواب : زيدٌ ونحوه مما يفيد التشخيص، ولا نسلم صحة الجواب بنحو بشرٍ أو جنيُ كما زعم السكاكي .

نص :

(مَيِّزْ بأيٍّ أحَدَ القِسْمَيْنِ   مُسْتَفْهِماً كَأيُّكُمْ يَأتِيني)

ش : يعني أن « أي » للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما كأن يقول قائل عندي ثياب، فتقول : أيُّ الثياب هى؟ فقد طلبت منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية – قال تعالى في سورة مريم : ﴿ أيُّ الفريقين خير مقاما﴾ الآية ، أي أنحن أم أصحاب محمد ﷺ، فإن المؤمنين والكافرين اشتركوا في الفريقية فكان السؤال عما يميز أحدهما عن الآخر.

نص :

(وكَمْ تَجي لِعَدَدِ الأشْيَاءِ   وكَيْفَ لِلْحَالِ بِلاَ امْتراءِ)

ش : يعني « كم » تأتي للسؤال عن العدد، فإذا قلت : كم درهما لك ؟ فكأنك قلت أعشرون أم ثلاثون أم كذا أو كذا، وتقول : كم أريتك ؟ أي كم مرة ، وتقول : كم سرت ؟ أي كم فرسخا، قال تعالى في سورة الكهف :

﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ أي كم يوماً ، وقال تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ وقال جل وعلا في سورة البقرة : ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ .

ومنه قول الفرزدق :

كم عـمـةً لك ياجرير وخالةً ... فدعاءَ قد حلبت عليَّ عشار

وذلك على رواية نصب عمة وخالة ، وأما على رواية الرفع فإنَّ « كم » يحتمل الاستفهام والخبر .

وأما « كيف » فإنها للسؤال عن الحال ، فلو قيل لك : كيف زيد؟ فجوابه ان تقول : صحيحٌ أو سقيم ، أو مشغول ، ونحو ذلك .

نص :

(واسْتَفْهَمُوا بأيْنَ عن مَّكَانِ ... وبِمَتَى يُسْألُ عَن زَمَانِ)

ش : يعني أن « أين » يسأل بها عن المكان، فإذا قيل : أين زيد؟ فجوابه : زيد في الدار أو في المسجد، أو في السوق، ونحو ذلك – وان « متى » يسأل بها عن الزمان ، فإذا قيل : متى جئت؟ قيل : يوم الخميس مثلاً أو يوم الجمعة، أو في شهر كذا .

نص :

(وَسَلْ بأيَّانَ عَنِ الزمان ... مُسْتَقْبَلاً لَدَى ذَوي الْعرفَان)
(وقيلَ للتَّفْخِيمِ تأتي آيَةْ ... مِثَالُه أيَّانَ يَوْمَ الآيَهْ)

ش : يعني أن « أيان » يسأل بها عن الزمان، ورأي القزويني في تلخيص المفتاح انها مقصورة على المستقبل ، ولكنه قال في الإيضاح إنه تسأل بها عن الزمان مطلقا، وذلك رأي السكاكي وقد مثلا للسؤال بها بقولك مثلاً : أيان

جئت؟ فهو صريح في أنها تستعمل للماضي، قال ابن السبكي وهو الصواب، وهو الذي جزم به ابن مالك والشيخ أبو حيان ولم يذكرا فيه خلافا .

وقال في الإيضاح : وعن علي بن عيسى الربعي أن «أيان» تستعمل في مواضع التفخيم كقوله تعالى في سورة القيامة : ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ وفي سورة الذاريات : ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ .

نص :

(وَقَدْ يَرى كَكَيْفَ أنِّي مَنْ حَكَمْ ... كَقَوله جَلَّ فَآتُوا حَرْثَكُمْ)

(وَتَارةً كأيْنَ تأتِي مَعْنَى ... أرجوكَ ربِّي رَحْمَةً ومَنَّا)

ش : يعني أن «أنَّى» تأتي تارة بمعنى كيف، ومن ذلك الاستعمال قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿فأتوا حَرثكم أنَّى شِئتم﴾ أي كيف شئتم. - وتارة تستعمل أنَّى بمعنى من أين ومن ذلك الاستعمال قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿يامريم أنَّى لكِ هذا﴾ أي من أين لكِ هذا الرزق الآتي كل يوم .

نص :

(واسْتَعْمَلُوا في غير الاسْتِفْهَامِ ... أسْمَاءَهُ في نَسَقِ الْكَلاَمِ)

(فاسْتَبْطَأوا، تَعَجَّبُوا كما ترى ... في كَمْ دَعَوْتُ وكَمَالِي لاَ أرَى)

(نَبِّهْ به أهْلَ الضَّلاَلِ والمجُونْ ... كَقوله جَلَّ فأيْنَ تَذْهَبُون)

(قَرِّرْ به ، وأنْكَرنَّ فَادْرِ ... كَقَوْله: أفَعَصَيْتَ أمْرِي)

(وبِّخْ بذَا ، كَذِّبْ، تَهكَّمْ، حَقِّرْ ... وَهوِّ لَنْ، واسْتَبْعِدَنْ لمَا ذُكِرْ)

ش : يعني ان أسماء الاستفهام هذه كثيراً ما تستعملَ في مَعان غَير معنى الاستفهام وذلك بحسب ما يناسب المقام، من ذلك الاستبطاء كقولك مثلاً : كم دعوتك فلم تجبني ، ومن ذلك الاستعمال قوله تعالى : ﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) من سورة البقرة

ومن ذلك أنها قد تأتي للتعجب، كقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ مالي لا أرى الهدهد ﴾ الآية . - ومن ذلك التنبيه لأهل الضلال، ومنه قوله تعالى في سورة التكوير : ﴿ فأين تذْهبون ﴾ .

ومن تلك المعاني التي يأتي لها اسم الاستفهام التقرير، ويشترط في الهمزة أن يليها المقرر به كقولك : أفعلت ؟ إذا أردت ان تقرره بأن الفعل وقع منه، وكقولك أأنت فعلت؟ إذا أردت ان تقرره بأنه الفاعل، وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكي إلى ان قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم ﴾ من هذا الاستعمال . كذا في الإيضاح . - وقد يستعمل الاستفهام للإنكار، إمَّا للتوبيخ ، بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، نحو قولك : أعصيت ربك ؟ وكقولك : أتنسي معروف فلان؟ أتخرج في هذا الوقت ؟ أتسلك هذا الطريق؟ وكل هذا الغرض منه التنبيه حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ما هم به .

وإمَّا للتكذيب بمعنى لم يكن، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الاسراء : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا ﴾ ومنه قوله تعالى في سورة الصافات : ﴿ أصطفى البنات على البنين ﴾ ، وبمعنى لا يكون نحو قوله تعالى في سورة هود : ﴿ أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾، قالوا: ومن ذلك قول امرئي القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة رزق كأنياب أغوال

وقول عمارة بن عقيل بن جرير في خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني :

أأترك إن قلّت دراهم خالد زيارته إنّى إذاً للئيمُ

والإنكار كالتقرير، يجب ان يلي المنكر الهمزة، كقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ أغير الله أتخذ وليا ﴾ وقوله تعالى في سورة القمر : ﴿ أبشرا منا

واحدا نتبعه ﴾ وكقوله تعالى في سورة الزخرف : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ الآية ، قالوا ومن مجيئ الهمزة للإنكار قوله تعالى في سورة الزمر : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾، ومنه قول جرير بن عطية بن الخطفي يمدح عبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح

فتقرير معنى آية الزمر : الله كاف عبده، وتقرير معنى البيت : انتم خير من ركب المطايا ، لأن نفي النفي إثبات، وهذا مراد من قال ان الهمزة فيه للتقرير بما دخله النفي، لا للتقرير بالانتفاء - انظر الإيضاح هنا .

وقد يستعمل الاستفهام يراد به التهكم، ومن ذلك ما حكاه جل وعلا عن قوم شعيب في سورة هود : ﴿ أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ الآية ، ذلك أن شعيباً عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة، وكان قومه إذا رأوه يُصلي تضاحكوا منه فقصدوا بقولهم : أصلواتك تأمرك ، الهزؤ والسخرية لا حقيقة الاستفهام .

وقد يستعمل الاستفهام يراد به التحقير كقولك : مَنْ فلان ؟ إستحقاراً له وتقليلاً لشأنه ، ونحو ذلك .

وقد يستعمل الاستفهام يراد به التهويل ، قالوا : ومن ذلك الاستعمال قراءة ابن عباس رضي الله عنهما للآية من سورة الدخان : ﴿ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين، مَنْ فرعونُ إنه كان عاليا من المسرفين ﴾ بفتح الميم من مَنْ ورفع فرعونُ على أنه مبتدأ ومَنْ الاستفهامية خبره أو بالعكس ، فإنه لا معنى لحقيقة الاستفهام هنا بل المراد انه لما وصف الله العذاب بالشدة والفظاعة، زادهم تهويلاً بقوله مَنْ فرعونُ أي أتعرفون من هو في فرط عتوه وتجبره وشدة شكيمته، فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله، ثم عرف حاله بقوله :

﴿إنه كان عاليا من المسرفين﴾ زيادة لتعريف حاله وتهويل عذابه .

وقد يستعمل الاستفهام يراد به الاستبعاد، ومن ذلك الاستعمال قوله تعالى في سورة الدخان : ﴿أنَّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾، فإنه لا يمكن حمل الاستفهام هنا على حقيقته بل المراد استبعاد أن تكون لهم الذكرى ، أي كيف يتعظون ويوفون بما اعطوه من وعد بالإيمان عندما يكشف عنهم العذاب؟ وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الانكار من كشف الدخان، وهو ما ظهر على يدي رسول الله ﷺ من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغير ذلك فلم يذكروا وأعرضوا عنه .

نص :

(وَالأَمْــرُ مِنْهُ، وهْوَ مَــا دَلَّ عَلَى طَلَب فِــعْلٍ مِنْ مُــخَـاطَب جَـلاَ)
(إِنْ يَكُ مِنْ عَــالٍ فَــالاسْــتِـعْــلاَءُ وَالْأَمْــرُ بِالْعَكْسِ هُوَ الدُّعَــاءُ)
(وَالإِلْتِــمَــاسُ أَمْــرُكَ المُسَــاوِي وَاللَّهَ نَرْجُــو السَّــتْرَ لِلْمَسَــاوِي)
(وَأَصْلُهُ الْوُجُــوبُ لَكِنْ قَــدْ يَجِي قَــصْــدَ الإِبَاحَــةِ بِدُونِ حَــرَجَ)

ش : يعني ان مَن الإنشـاء الطلبي الأمـر وهو طلب الفـعَلَ علَى وجـه الاستعلاء ، وله صيغ هى فعل الأمر، والفعل المضارع المقترن بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر. وقوله : والأمر بالعكس الخ. يريد به انه ان صدرت هذه الصيغة من الأدون إلى من هو أعلى منه سمى عند أهل البلاغة دعاء، وانه إن صدر من أحد لمساويه كان ذلك يدعى التماساً .

وأصل الأمران صيغته إنما وضعت للوجوب إلا إذا صرفها صارف إلى معنى آخر اعني بذلك صيغة افعل فالتحقيق أنها للوجوب ، وقد يصرفها صارف إلى الاباحة – والأمر هو طلب فعل غير كف، قال في الإيضاح : والأظهران صيغتة : من المقترنة باللام نحو : ليحضر زيدٌ، وغيرها نحو : اكرم عمرا، ورويد بكراً،

موضوعة لطلب الفعل استعلاء، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك ، وتوقف ما سواه إلى القرينة – قال : ثم انها قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام كالإباحة في قولك في مقام الاذن : جالس الحسن أو ابن سيرين، ومن احسن ما جاء في ذلك قول كثير :

أسيئي بنا أو أحسني، لا ملومةً لدينا ولا مقليةً إن تَقَلَّتِ

أي لا أنت ملومةٌ ولا مقليةٌ، قال : ووجه حسنه إظهار الرِّضا بوقوع داخل تحت لفظ حتى كأنه مطلوب، فكأنه قال : مهما اخترت في حقي من الإساءة والاحسان فأنا راض به غاية الرِّضا، فعامليني بهما وانظري هل تتفاوت حالي معك في الحالين .

نص :

(سوِّيه، عَجِّزْ، تَمَنَّ، هَدِّدِ أهِنْ، وسَخِّرْ، دُونَ رَيْبٍ تُفِدِ)

ش : يعني أن الأمر ترد صيغته مرادا بها التسوية كقوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ أنفقوا طوعاً أو كرهاً لَّن يتقبَل منكم ﴾ الآية ، وكقوله تعالى في سورة الطور : ﴿ اصبروا أو لا تصبروا ﴾ وقد يأتي الأمر للتعجيز كقولك لمن يدَّعى امرا تعتقد أنه ليس في وسعه : افعله ، ومن ذلك الاستعمال قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ .

وقد تأتي صيغة الأمر مرادا بها التمني، ومن ذلك قول امرئ القيس :

الا أيها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وترد صيغة الأمر مراداً بها التهديد أي التخويف وهو اعم من الإنذار لأنه ابلاغ مع التخويف، وفي الصحاح : الانذار تخويف مع دعوة، ومثل له في الإيضاح بقوله كقولك لعبد شتم مولاه وقد ادَّبه : اشتم مولاك، قال ومنه قوله

تعالى في سورة فصلت : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ الآية . لظهور أن ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا .

وقد ترد صيغة الأمر مراداً بها الإهانة، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الدخان : ﴿ ذق انك أنت العزيز الكريم ﴾ .

وقد تأتي صيغة الأمر مراداً بها التسخير، ومنه قوله تعالى في سورة الاعراف : ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ ، وقد تأتي صيغة الأمر مراداً بها الاحتقار، قالوا : ومن ذلك قوله تعالى في سورة يونس والشعراء : ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ .

نص :

(والنَّهْيُ، أدَّهِ بِلاَ النَّاهِيَّةْ | جَازِمَةً، كَلاَ تضَيِّعْ شَيَّهْ}
وهُوَ كالأمْرِ في الاسْتِعْلاَءِ | ثُمَّ بِهِ هَدِّدْ عَلى السَّوَاءِ}

ش : يعني ان الانشاء الطلبي منه النهي، فقوله والنهي بالرفع مبتدأ خبره محذوف تقديره منه أي من الإنشاء، وهو طلب الكف عن الفعل استعلاء وله حرف واحد وهو لا الناهية الجازمة للمضارع نحو قولك لا تفعل، وصيغته حقيقة في التحريم مالم يصرفها صارف عن ذلك .

وقد تستعمل صيغة لا تفعل في غير حقيقتها، ومن ذلك التهديد كقولك لمن لا يمتثل أمرك : لا تمتثل أمري، ومنها بيان العاقبة كقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يفعل الظالمون ﴾ الآية ، ومنها الدعاء كقوله تعالى : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ ومنها اليأس، ومنه قوله تعالى : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ﴾ ومنها الإرشاد ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولا يأب كاتب ان

يكتب كما علمه الله﴾ ومنها الإهانة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ إلى غير ذلك انظر عروس الافراح لابن السبكي .

نص :

(وَهَذه أرْبَعَـــــةٌ يَجُـــوزُ مِنْ بَعْــدهَا الشَّـرْطُ وذَا عَــزيزُ)
(تَقُــولُ لَيْتَ لِي كَـذَا أفْـعَلْ به وأيْـنَ بَيْـــتُكَ أزُرْكَ فَــادْره)
(بَجِّلْ أخِي تَجِـدْ مَـصُــونَ بِرِّهِ لاَ تَشْــتُمْ المَرْأ تَبُــؤْ بِشَــرِّهِ)

ش : يعني ان التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي تشترك في كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها، مثاله قولك : ليت لي مالاً أنفقْه في سبيل الله، أي إن ارْزَقْهُ – وقولك : أينَ بيتُك أزُرْك، أي إن عرفتنيه، وقولك : أكرمني أُكرمْكَ . أي إن تُكْرِمني ، وكقولك: لا تشتمْ يكنْ خيراً لك ، أي إنْ لا تشتمْ .

نص :

(ثُمَّ النِّدَا نَوْعٌ مِنَ الإنْشَــاءِ وَرُبَّمَــا جَــاءَ لَكَا لإغْــرَاءِ)
(والاسْــتـغَــاثَة وللتَّــعَــجُّبَ وَغَـيْـر ذا لفُـصَحَـاءِ العَـرَبِ)
(وَقَـدْ يَجِي الْخَـبَـرُ كـالإنْشَـاءِ لنُكْتَــةَ الحِــرْصِ عَلَى الأدَاءِ)
(وَلِلتَّــفَــاؤُلِ وَغَــيْــرِ ذَلِكْ أَجَــارَنَا اللَّهُ مِنَ المَهَــالِكْ)

ش : يعني أن الانشاء منه النداء، وقد يستعمل في غير معناه، كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم : يامظلوم، ويستعمل للإختصاص كقولهم : أنا أفعل كذا أيها الرجل ، ونحن نفعل كذا أيها القوم، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة، أي متخصصا من بين الرجال ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب .

وحقيقة النداء هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة وأحكامه معلومة في النحو .

ثم أن الخبر قد يقع موقع الإنشاء، إما للتفاؤل ، أو لإظهار الحرص في وقوعه كما مرَّ، والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين، أو للإحتراز عن صورة الأمر، كقول العبد لمولاه إذا حول عنه وجهه، ينظر المولى إلَّى ساعة، أو لحمل المخاطب على المطلوب، بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذَّب الطالب، أو نحو ذلك .

الفَصْلُ والوَصْلُ

نص :

(تَعَاطُفُ الْجُمَلِ هُوَ الْوَصْلُ ... وعَكْسُهُ الْقَطْعُ وَذَاكَ الْفَصْلُ)
(فَائِدَةُ الْعَطْف لِمُفْرَدٍ عَلى ... صَاحِبِه، التَّشْرِيكُ في حُكْمٍ جَلاَ)
(مُفِيدُهُ الْوَاوُ، لَهُ تَمَحَّضَا ... وَالْفَاءُ، مَعْ تَرْتِيب فَوْرٍ عرِضَا)
(تُفِيدُهُ ثُمَّ مَعَ التَّرَاخِي ... شَكٌّكْ بأَوْ، شَرِكْ بِلاَ تَرَاخِي)

ش : هذا باب من أعظم أبواب هذا العلم لعظم خطره وصعوبته في مسلكه ودقة مأخذه، ولذلك قصر بعض علماء البلاغة في هذا الفن على معرفة الفصل والوصل، ولقد كان ذلك منه مبالغة حاول بها التنبيه على غموض مسائل هذا الباب ، وأن أحد ا لا يعد كاملا في مسائله قبل أن يكمل في سائر فنون البلاغة، ولهذا وجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان، فإن تمييز موضع الفصل من الوصل على ما تقتضيه البلاغة صعب المسلك، دقيق المأخذ، لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علماً بكنهه إلاَّ من أوتي فهم كلام العرب، وذاق أسرار اللغة العربية ذوقاً صحيحاً .

فالوصل هو عطف بعض الجمل على بعض بالواو، والفصل ترك ذلك العطف ، وفائدة العطف بالواو التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم أو الإعراب ، سواء كان عطفاً بين مفردين نحو جاء زيد وعمرو، أو بين جملتين نحو : زيد قائم وعمرو جالس ، ولاتفيد الواو الترتيب، وتفيده الفاء أي تفيد العطف لكن مع الترتيب الفوري نحو : جاء زيد فعمرو وثم تفيد العطف مع التراخي، وتفيد «أوْ» العطف مع التشكيك .

نص :

(وَجُمْلَة، إنْ كانَ للْمَعْطُوف مَوْضِعُ اعْراب منَ المعْرُوف)
(فَعَطْفُهَا حُكْماً كَعَطْفِ مُفْرَدِ لِكَوْنِهَا واقعَةً كالمُفْرَدِ)

ش : يعني أنه إذا اتيت بجملة بعد أخرى، فالأولى منهما اما أن يكون لها محل من الإعراب أو لا، فإن كانت الأولى لها محل من الاعراب، وأردت تشريك الثانية معها في حكمها، عطفتها عليها كعطفك مفردا على مفرد، لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، ومعلوم أن المفرد إذا قصد تشريكه لمفرد قبله في حكم اعرابه من كونه فاعلا أو مفعولاً أو نحو ذلك، وجب عطفه عليه في الاستعمال الأغلب والمواقع الكثيرة، وإنما قيل في الاستعمال الأغلب لأنهم جوزوا ترك العطف في الأخبار والصفات المتعددة مطلقاً بل هو الأحسن فيها ما لم يكن فيها إيهام التضاد، وذلك كقوله تعالى : ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ فهو مثال لترك العطف عند عدم إيهام التضاد، ومثال الثاني في قوله تعالى : ﴿هو الأول والآخر والظاهو والباطن﴾ الآية، وإنما استحسن العطف عند إيهام التضاد كما في المثال الثاني ليفهم الجمع وعدم التضاد.

وهذا في المفردات ، وأما في الجمل فمتى قصد التشريك وجب العطف ، والفرق بينهما هو كون الصفات المفردة كالشئ الواحد في الموصوف لعدم استقلالها، بخلاف الجمل، وقيل الفرق بينهما وجود الأعراب في المفردات فيدل على حكم هو مفاد عطفها، ورد بأن المفردات قد لا يظهر إعرابها ، وقد تكون مبنية .

نص :

(شَرْطُ قَبُولِ عَطْفِنا بالْواوِ بِجَامِعٍ لِلْجُمْلَتَيْنِ حَاوِي)

(لِلْمُـقْـتَـضِي الْعَـقْلِيِّ إذْ قَـدْ كَـانَا ... بَيْنَهُـمَـا تَصَـوُّرٌ قَـدْ بَانَا)
(جَـامِـعُـهُ مِـثْلَ اتِّحَـادٍ فِي الْخَـبَـرْ ... أوْ مُـخْـبَرٍ عَنْهُ عَلى الَّذِي اسْتَـقَـرْ)

ش : يعني أنهم اشترطوا لقبول عطف الثانية على الأولى بالواو، أو عطف مفرد على آخر لأن الحكم فيهما واحد، ونحو الواو مما يقتضي التشريك في الحكم مثل الفاء وثم، انهم اشترطوا لقبول ذلك أن يكون بين المتعاطفين جهة جامعة أي وصف له خصوص يجمعها في العقل والوهم ، نحو زيد يكتب ويشعر، لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر ، أو زيد يعطي ويمنع، لما بين الاعطاء والمنع من التضاد، بخلاف ما لو قال : زيد يكتب ويمنع، أو زيد يعطي ويشعر، لأن الجمع بين هذه كالجمع بين الضب والنون. ومثل في الإيضاح لوجود الجهة الجامعة بقوله تعالى في سورة الحديد وفي سورة سبأ : ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ وقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ ، قال : ولعدم وجود الجامع عيب على أبي تمام قوله يمدح أبا الحسين محمد بن الهيثم :

أسقي طلولهمُ أجش هزيم ... وغدت عليهم نضرة ونعيمُ
جادت معاهدهم بعهد سحابة ... ما عهدها عند الديار ذميمُ
سفه الفراق عليك يوم تحملوا ... وبما أراه وهو عنك حليمُ
ظلمتك ظالمة البريء ظلوم ... والظلم من ذي قدرة مذمومُ
زعمت هواك عفا الغداة كما عفا ... عنها طلال باللوي ورسومُ
لا والذي هو عالم ان النوى ... صبرٌ وأن أبا الحسين كريمُ
مازلت عن سنن الوداد ولا غدت ... نفسي على إلْفٍ سواك تَحومُ

ومحل الشاهد قوله : لا والذي هو عالم ... البيت . لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، فهذا العطف غير مقبول سواء جعلته عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موقع مفعولي علم، لأن وجود الجامع شرط في الصورتين .

نص :

(وَالْمُقْتَضِي الوَهْمِي مُسَوِّغٌ كَذَا بأَنْ يُرَى شِبْهُ تَمَاثُلٍ خُذَا)
(بَيْنَهُمَا تَصَوُّراً كأَنْ تَرا هُ مُخْبِراً عَنْ أبْيَضٍ وأَصْفَرَا)
(فَالْوَهْمُ قَدْ يَحْتَالُ مِنْ هَذَيْنِ تَظَاهُراً في مَعْرَضِ الْمِثْلَيْنِ)

ش : يعني أنه من مقتضيات الوصل ما يدعونه بالجامع الوهمي، وهو أن يكون بين تصور المعطوف والمعطوف عليه شبهُ تَمَاثُل، كلون بياض ولون صفرة، فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة في قول محمد بن وهيب الحميري يمدح الخليفة العباسي المعتصم بن هارون الرشيد :

ثلاثة تشرقُ الدنيا ببهجتها شمس الضحى، وأبو اسحاق، والقمرُ

فإن الوهم هنا يجعل أن الثلاثة من نوع واحد وإنما اختلفت بالعوارض ، والعقل يعرف أنَّها أمور متباينة

أو أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه تضاد كالسواد والبياض، والهمس والجهر، والحلاوة والحموضة، والتحرك والسكون، والقيام والقعود ونحو ذلك .

أو كان بينهما شبه تضاد كالسماء والأرض، والسهل والجبل ، والأول والثاني، فإن الوهم يُنزِّل المتضادَّين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين ، فيجمع

بينهما في الذهن، ولذلك ترى الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد .

نص :

(ثُمَّ الْخَيالُ مُقْتَضِي لِلْوَصْلِ وَذَا تَصَوُّرٌ تَقَارُنٍ جَلِي)

(في كالْخَيال سَابِقٍ لِسَبَبِ أدَّى إلى ذَلِكَ دُونَ نَصَبِ)

(مِثَالُهُ في آخِرِ الغَاشِيَّةِ حَثًّا عَلى النَّظَرِ في الْمَاشِيَّةِ)

ش : يعني أن من مقتضيات الوصل ما يدعونه الجامع الخيالي وهو أن يكون بين تصور المعطوف والمعطوف عليه تقارن يتصوره السامع في الخيال، سابق وأسبابه مختلفة ، ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبا ووضوحا، ولصاحب علم المعاني فضل احتياج إلى التنبيه إلى أنواع الجامع المقتضي للوصل وبالأخص الجامع الخيالي فإنه يكون على مجرى الإِلْف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب، تأمل قوله تعالى في سورة الغاشية : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ فإن الخطاب به لأهل الوبر أهل البادية الذين جل إنتفاعهم في معاشهم من الإبل فكانت عنايتهم مصروفة إليها ولا يمكن إنتفاعهم إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر، فيكثر لذلك تقلب وجوههم في السماء، ثم لابد لهم من مأوى يؤويهم، وحصن يتحصنون به، ولا شئ أشد تحصينا لهم من الجبل، ولا غنىً لهم عن الترحال أو التنقل في الأرض لطلب المرعى، فإذا فتش البدوي خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور، فسوغ الخيال عطف بعضها على بعض بالواو للجامع الخيالي .

لطيفةٌ تتناسب مع الموضوع : يحكى أن صاحب سلاح ملكي ، وصائغاً، وراعي بقر، ومعلم أطفال ، ترافقوا في سفر وواصلوا سير الليل

بالنهار، فبينما هم في وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال، طلع البدر بنوره في الأفق، فجعل كل منهم يشبهه بأفضل ما في خزانة تصوره، فقال صاحب السلاح الملكي : فكأنه ترس مذهب يرفع بين يدي الملك ، وقال الصائغ : وكأنه سبيكة ابريز تفتر عن وجهها البوتقة، وقال راعي البقر : بل كأنه جبنة بيضاء تخرج طرية من قالبها، وقال معلم الأطفال : كأنه رغيف أحمر يصل إلينا من بيت ذي مروءة .

نص :

(ثُمَّ اتِّفَاقُ الْجُمْلَتَيْنِ مَعْنَى ... ولَفْظاً الْعَطْفُ لَهُ قَدْ عَنَّا)

(كَذَا اتِّفَاقُ الْجُمْلَتَيْنِ خَبراً ... مَعَ اتِّفَاقِ اللَّفْظِ فِيمَا ذُكِرَا)

(فَقَوْلُهُ جَلَّ «كُلُوا» من ذَا اعْلَمَنْ ... وقَوْلُهُ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنْ)

ش : يعني ان اتفاق الجملتين خبرا أو انشاء، أو لفظاً ومعنىً كقوله تعالى في سورة الانفطار : ﴿إن الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم﴾ وكقوله تعالى في سورة الروم : ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ ، وكقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ وكقوله تعالى في سورة الاعراف : ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ ، كل ذلك مسوغٌ للعطف.

وكذا إن اتفقتا معنىً لا لفظاً كما هو الشأن في قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وإذا اخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله، وبالوالدين إحسانا ، وذي القربى واليتامى والمساكين وقولا للناس حسنا﴾ الآية ، فعطف قولوا على لا تعبدون مع اختلافهما لفظا لكونهما انشائيتين معنىً لأن قوله لا تعبدون اخبار في معنى الانشاء أي لا تعبدوا، وقوله : ﴿وبالوالدين احسانا﴾ لابد له من فعل فإمَّا أن يقدر خبرا في معنى الطلب أي وتحسنون بمعنى

احسنوا، فتكون الجملتان خبرا لفظاً إنشاء معنىً، أو يقدر من الأمر صريح الطلب على ما هو الظاهر أي : وأحسنوا بالوالدين احسانا، فتكونان انشائيتين معنىً، إذ لفظ الأولى أخبار ولفظ الثانية إنشاء .

نص :

(وَجِهَةُ الْوَصْلِ إن لم تَكُونَا ذاكَ مَحَلُّ الْفَصْلِ أن يَكُونَا)
(وإنْ يَكُنْ تَمَامُ الإنْقطاعِ دُونَ تَوَهُّمٍ لَدَى السَّمَاعِ)
(فَذَاكَ مِنْ مُسَوِّغَاتِ الفَصْلِ

ش : يعني أن الجملة الأولى ان لم يكن لها حكم كما سبق، وكان بين الجملتين كمال الانقطاع، وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود كما سيأتي، أو كان بينهما كمال الإتصال، أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة من الأولى، أو بمنزلة المتصلة بها، يتعين الفصل أما عدم عطف الجملة على أخرى بينها وبينها كمال الانقطاع، فلأن الواو للجمع ، والجمع يكون بين الشيئين توجد مناسبة بينهما، وأما عدم عطف جملة على أخرى بينها وبينها كمال الاتصال، فلأن العطف فيها بمنزلة عطف الشئ على نفسه، ومعلوم أن العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه .

نص :

(منْهُ التَّخَالُفُ بدُون هَزْلِ
(لَفْظاً ومَعْنىً وكذا إنْشَاءَا والمعْنَى وحْدَهُ به قَدْ جَاءَا)
(مِثالُهُ مَاتَ عُبَيْدُ اللّهِ عَلَيْهِ رَحْمَةً من الإله)

ش : يعني أن كمال الانقطاع يكون لأمر يرجع إلى الاسناد، أو إلى طرفيه، اما من حيث رجوعه إلى الإسناد فكأن تختلف الجملتان خبراً أو

إنشاءً، لفظاً ومعنىً، كأن تقول : لا تدن من الأسد يأكلك؛ أو تقول : هل تصلح لي هذا أدفعُ إليك الأجرةَ، بالرفع في يأكلك وأدفعُ .

واما اختلافهما معنىً لا لفظاً، فكقولك : مات عبيد الله رحمه الله تعالى ، فإن الجملة الأولى خبرية والثانية إنشائية ولا يوجد إيهام خلاف المقصود .

نص :

(ثُمَّ تَنَبَّـــهْ أنَّهُ قَـــدْ يُطْلَبُ   في ذا الْمَحَلِّ الوَصْلُ وهْوَ مُـوجَبُ)
(بأنَّـهُ أوْهَمَ مَـــالَمْ يُقْـــصَـــدِ   كَلاَّ، رُحِـمْتَ من لَدُن ذا الصَّـمَـدِ)
(في مِـثْلِ ذَا قَـدْ طَلَبُـوا المسْـئُولاَ   إبْـرازَ واوٍ لَـفْظُهُ مِنْ بَعْـــدِ لاَ)

ش : يعني أنه ينبغي ان يتنبه طالب العلم إلى انه توجد حالة فيها كمال الانقطاع بين الجملة والتي قبلها والمقام موجب عطفها عليها بالواو وبسبب انه ان لم يأت بتلك الواو العاطفة تخيل السائل ان المتكلم يدعو عليه ، ومثال ذلك قولك لمن سألك : أخرج فلان من المستشفى؟ فتقول مجيباً : لا، ويرحمك الله، أو تقول : لا . وعافاك الله. فإن هاتين الجملتين في المثالين بينهما كمال الانقطاع لأن الأولى منهما خبرية محضة لأنها تفيد : لا، ما خرج من المستشفى ، والثانية إنشائية محضة لأنها تفيد الدعاء للسائل بالرحمة في المثال الأول أو بالعافية في الثانية، ومع ذلك فقد وجب العطف دفعا لإيهام خلاف المقصود من الخطاب كما رأيت، ومن ذلك الحديث المتفق عليه « لا، ويرحمك الله، هو ابنها » في قصة المرأتين المتخاصمتين على غلام ولا بينة لأي منهما، فأختبر سليمان عليه الصلاة والسلام شفقتهما على الولد فأخذ سكيناً فسألتاه ماذا تريد بها ؟ فقال : لأقسمه بينكما، فوافقت الكبيرة وقالت الصغيرة : « لا، ويرحمك الله، هو ابنها » فقضى له بها .

نص :

(وَإنْ يَجِي كَـمَـالُ الاتِّصَـالِ فَـالْفَـصْلُ حُكْمُ ذَلِك المَجَـالِ)
(مِنْ ذَاكَ أنْ تَجئَ للتَّـوكـيـد جُـمْلَتُـهُ الأخْـرى بِلاَ تَرْدِيدِ)
(والْحَـالُ انَّ مُـقْـتَـضِى التَّـوكِـيدِ دَفْعُ التَّـجَـوُّز أو التَّـقْـيِـيدِ)
(مِـثَـالُهُ لاَ رَيْبَ فِـيـهِ الْآيَةْ وقـولُهُ فـي يُوسُفٍ حِكَايَةْ)
(عَن لأئمَـاتِ امـرأة العـزيز لَدَى شُـخُـوصِ يُوسف العَـزِيزِ)

ش : يعني انه إذا وقع بين الجملتين كمال الاتصال وجب الفصل بينهما ، وذلك يكون لأمور ثلاثة : منها، أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى توكيدا معنوياً مفيدا للتقرير مع الاختلاف في المعنى كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾فان الثانية منهما مؤكدة للأولى توكيداً معنوياً لدفع توهم تجوز أو غلط ، فإنه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدأ «ذلك» الدال على كمال العناية بتمييزه، وبجعل الخبر معرفاً باللام الدال على الحصر ، فمعنى ذلك الكتاب انه الكتاب الكامل الذي يستحق ان يسمى كتابا وكأن ماعداه من الكتب في مقابلته ناقص بل ليس بكتاب، فجاز بسبب هذه المبالغة المذكورة ان يتوهم السامع قبل التأمل أنه مما يرمي به جزافا، فأتبع ذلك بقوله ﴿ لا ريب فيه ﴾ نفياً لذلك التوهم، فوزان قوله تعالى ﴿ لا ريب فيه ﴾ مع قوله تعالى ﴿ ذلك الكتاب ﴾ وزان نفسه من قولك جاءني زيد نفسه .

وقد يجعل قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ ما هذا بسرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾ الآية، فقد يقال عن الجملة الثانية هنا أنها مؤكدة للتي قبلها لأنه ان كان ملكا لم يكن بشرا ولأنه إذا قيل في العرف لإنسان ما هذا بشراً، حال

تعظيم له، وتعجب مما يشاهده منه، من حسن الخُلُق والخَلْق كان الغرض انه ملك بطريق الكناية .

نص :

(وَمِنْهُ أنْ يَجِيءَ لِلإبْدَالِ جُمْلَتُهُ الأخْرَى في الاسْتِعْمَالِ)

(وأنْ يَكُون مُقْتَضَى الإبْدَالِ كَونَ ألأَهُ لا تَفِي بالْحَالِ)

(والْحَالُ أنَّهَا بالإعْتِنَاءِ حَرِيَةٌ لَدَى ذَوِي الأدَاءِ)

ش : يعني ان كمال الاتصال أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى، والحال ان المقتضى للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية ، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة ككونه مطلوبا في نفسه، أو فظيعا، أو عجيبا، أو لطيفا، ثم ذلك ضربان : الأول : ان تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه نحو قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ فان المراد من هذا الخطاب التنبيه على نعم الله تعالى على المخاطبين، والمقام يقتضي اعتناء واهتماما بشأن ذلك التنبيه لكونه مطلوبا في نفسه لأنه تذكير بالنعم لتشكر، وقوله تعالى : ﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ أوفى بتأديته مما قبله لدلالته على ذلك بالتفصيل من غير إحالة إلى علمهم مع كونهم معاندين، وهو أي الأمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الأمداد بما يعلمون ومن ذلك ان تكون الجملة الثانية تتنزل من الأولى منزلة بدل الإشتمال من متبوعه وذلك مثل قوله تعالى في سورة يس : ﴿اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسئلكم اجراً وهم مهتدون﴾ فإن المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل، وقوله تعالى ﴿ابتعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون﴾ أوفى بتأدية ذلك لان معناه لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة.

وقد أشار النظم إلى بدل البعض من الكل وبدل الاشتمال بقوله :

نص :

(مِنْهُ يُرَى كَبَدَلِ الْبَعْضِ أَلَمْ   كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ أَمَدَّكُمْ)

(ومِنْهُ مَا كَبَدَلِ اشْتِمَالِ   أَجَارَنَا اللَّهُ مِنَ الضَّلاَلِ)

ثم ذكر صورة كمال الإتصال الثالثة وهى أن تكون الجملة الثانية بيانا للأولى وذلك تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، والحال أن في الأولى نوع خفاء مع أن المقام يقتضى إزالة ذلك الخفاء، مثال ذلك قوله تعالى في سورة طه : ﴿ فوسوس اليه الشيطان قال يأدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ الآية فقد فصل جملة ﴿ قال ﴾ عما قبلها لكونها تفسيراً وبياناً لها، فقال في النظم :

نص :

(ومِنْهُ أَنْ تَجِئَ لِلْبَيَانِ   جُمْلَتُهُ الأُخْرَى بِلاَ بُهْتَانِ)

(والْمُقْتَضَى نَوْعٌ مِنَ الْخَفَاءِ   يُرى زَوَالُهُ بالإقْتِضَاءِ)

(مِثَالُهُ حِوَارُ ذا اللَّعِين   مَعَ أبي الْبَشَرِ باليَقِينِ)

ثم ذكر النظم شبه كمال الإنقطاع وشبه كمال الإتصال أو الاستئناف فقال :

نص :

(مِنْ مُوجِبَاتِ الْفَصْلِ الاسْتِئنَافُ   وهْوَ ثَلاَثَةٌ ولاَ خِلاَفُ)

(كَأَنْ تَضَمَّنَ الأولى سُؤَالاَ   عَنْ سَبَبِ الْحُكْمِ الَّذي قَدْ قَالاَ)

(وَصَدْرُ الاسْتِئْنَافِ رُبَّما حُذِفْ   مَعَ قَرِينَةٍ عَلَى الَّذي حُذِفْ)

(وَنَاسَبَ الْمَقَامُ ذِكْرَ الْحَالِ لِمَا تُؤَدِّي جُمْلَة فِي الْحَالِ)
(أَنْ قَدْ تَجِي مَفْصُولَة لِلرَّاوِي وَقَدْ تَجِي مَوْصُولَةً بِالْوَاوِ)

ش : يعني أن الجملة الثانية قد تكون بمنزلة المنقطعة عن الأولى، إمَّا لكون عطفها عليها موهما لعطفها على غيرها ويسمى الفصل لذلك قطعا، ومثاله قول الشاعر :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا، أراها في الضلال تهيم

فإن الشاعر لم يعطف «أراها» على قوله «تظن» لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على «أبغي» لقربه منه، مع انه ليس بمراد، وكأن هذا الكلام ضمن سؤالا هو : أصدقت في ظنها ؟ فأجاب بقوله : أراها في الضلال تهيم، ولذلك فإنه أي البيت المذكور يحتمل الاستئناف وإمَّا لكون الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الأولى فتنزل منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال ويسمى الفصل لذلك استئنافا وهو ثلاثة أضرب لأن السؤال إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً، مثاله :

كيف أنت ؟ قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

أي ما سبب علتك – واما عن سبب خاص لهذا الحكم نحو قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿وما ابرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ فكأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء؟ فقيل ﴿ان النفس لأمارة بالسوء﴾ بقرينة التأكيد، فالتأكيد دليل على أن السؤال عن السبب الخاص، لأن الجواب عن منطلق السبب لا يؤكد كما هو معلوم بمحله .

وإما ان يكون السؤال عن غير السبب الخاص والسبب المطلق نحو قوله تعالى في سورة هود : ﴿قالوا سلاما قال سلام﴾ الآية أي فماذا قال إبراهيم

في جواب سلامهم فقيل قال سلام أي حياهم بتحية أحسن لكونها بالجملة الاسمية .

وقد يحذف صدر الإستئناف لقيام قرينة كقوله تعالى في سورة النور : ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ﴾ الآية ، على قراءة من قرأ يُسَبَّحُ بالبناء بالمفعول، فكأنه قيل من يسبحه فقيل رجالٌ أي يسبحه رجال .

ومما يتصل بهذا الباب القول في الجملة إذا وقعت حالاً منتقلة فإنها تجئ تارة بالواو وتارة بغير واو، فإن أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه :

منها : ان اعرابها ليس بتبع وما ليس إعرابه بتبع لا يدخله الواو، وهذه الواو وإن كانت تسمى واو الحال، فإن أصلها العطف .

ومنها : أن الحال في المعنى حكم على صاحب الحال كالخبر بالنسبة إلى المبتدإ، إلا أن الفرق بينهما أن الحكم به يحصل بالأصالة لا في ضمن شئ آخر، والحكم بالحال إنما يحصل في ضمن غيرها، فقولنا مثلاً : جاء زيد راكبا ، محكوم به على زيد لكن لا بالأصالة بل بالتبعية بأن وصل بالمجئ وجعل قيدا له بخلافه في قولنا : زيد راكب .

ومنها : أنها في الحقيقة وصف لصاحبه فلا يدخلها الواو كالنعت، فثبت أن اصلها ان تكون بغير واو لكن خولف الأصل فيها إذا كانت جملة ، لأنها بالنظر إليها من حيث هي جملة مستقلة بالإفادة ، فتحتاج إلى ما يربطها بما جعلت حالاً عنه، وكل واحد من الواو، والضمير صالح للربط، والأصل الضمير بدليل الاقتصار عليه في الحال المفردة ، والخبر، والنعت، وإذا تقرر ذلك فقد قال النظم :

نص :

(وحَيْثُما تَكُنْ مِنَ الضَّمير خالية أوْصِلْ لَدَى التَّعْبير)

(مالَمْ تُصَدَّرْ بالمُضارِعِ اعْلَمَنْ في حَالِ إثْبَاتٍ لَدَى مَنْ قدْ فَطِنْ)

ش : يعني ان الجملة التي تقع حالاً قد تكون خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه، وقد تكون غير خالية، فإن كانت الجملة خالية من ضمير ما يجوز ان ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالاً عنه إذا كانت مع الواو، إلا المصدرة بالضمارع المثبت، كقولك : جاء زيد ويتكلم عمرو، على ان يكون «ويتكلم عمرو» حالا عن زيد، لما سيأتي ان ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده وإن كانت الجملة غير خالية من ضمير ما يجوز ان ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالاً عنه، فتارة يجب أن تكون بالواو ، وتارة يمتنع ذلك، وتارة يترجح أحد الأمرين، وتارة يستوي الأمران .

فإن كانت الجملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو، مثاله قوله تعالى في سورة المدثر : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ وكقوله تعالى في سورة الليل : ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ لأن أصل الحال المفردة ان تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما جعلت قيدا له، والمضارع المثبت كذلك، أما دلالته على صفة غير ثابتة، فلأنه فعل مثبت، والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت كما مر .

واما دلالته على المقارنة فلكونه مضارعاً، فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة، ولهذا امتنع : جاء زيد ويتكلم عمرو ، كما مر .

وأما ما سمع من قولهم : قمت وأصك عَينه أو وجهه ، وما سمع من قول عبد الله بن همام السلولي :

فلما خشيت أظافرهم نجوتُ، وأرهنهم مالكا

فقيل فيه هو على حذف المبتدأ : أي : وأنا اصك وجهه، وأنا ارهتهم مالكا .

وقيل الأول شاذ، يسمع ولا يقاس عليه، والثاني لضرورة الشعر . وان كان الفعل مضارعاً منفياً جاز فيه الأمران من غير ترجيح، لدلالته على المقارنة لكونه مضارعاً، وعدم دلالته على الحصول لكونه منفياً، أما مجيئه بالواو فمنه قول مسكين الدارمي :

أكسبَتْهُ الورقُ البيض أبا ولقد كان ولا يدعى لأب

ومنه قول مالك بن رفيع، وقد طلبه مصعب بن الزبير بجناية :

بغاني مصعب وبنو ابيه فأين أحيد عنهم لا أحيد

أقادوا من دمي ، وتوعَّدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد

وأما مجيئة بغير واو ، فمنه قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ .

وقول خالد بن يزيد بن معاوية :

لو أن قوماً لارتفاع قبيلة دخلوا السماء، دخلتها، لا احجبُ

وان كان ماضيا لفظا أو معنى فكذلك يجوز الأمران من غير ترجيح :

أما مجيئه بالواو فكقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿أنّى يكون لي غلامٌ وقد بلغني الكبر﴾ الآية ، وفي سورة مريم : ﴿أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا﴾ ومنه قول امرئ القيس :

ايقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

وإما مجيئه بلا واو، فكقوله تعالى في سورة النساء : ﴿أو جاءوكم

حصرت صدورهم﴾ .

وقول أبي صخر الهذلي :

وإني لتعروني لذكراك هزة　　　كما انتفض العصفور بلله القطر

والسبب في جواز الأمرين إذا كان مثبتاً دلالته على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً ، وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضياً، ولهذا اشترط أن يكون مع «قدْ» ظاهرة أو مقدرة حتى تقربه إلى الحال فيصح وقوعه حالاً وإلى هذا البحث أشار النظم بقوله :

(وإن نُفِي الفِعْلُ فللتَّخْيير　　　قَرِّرْ بلا زَيْفٍ ولاَ تَزوير)

(وإن يَكُ المضِيُّ في الصَّداره　　　فخيِّرَنْ كَذَاكَ في الْعِبَارةْ)

(لكنَّما تَعْبِيرُهُمْ بالوَصْلِ　　　أكثَرُ مِنْ تَعْبيرهمْ بالْفَصْلِ)

(والْجُمْلَةُ الإسْمِيَّةُ الأمْرَانَ　　　كالوصل والْفَصَل بها سيان)

(والْوَصْلُ أوْلَى مِنْ سِواهُ فاسْمَعُونْ　　　كقَوْله جَلَّ وانْتُمْ عَاكِفُونْ)

ش : أشار بالبيتين الأخيرين إلى أن الجملة الاسمية المشهور فيها أنه يجوز الأمران : مجيئ الواو فيها وعدمه ، مثال مجئ الحال فيها مقترنة بالواو، قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ وقوله تعالى : ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ وقول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي　　　ومسنونة زرقٌ كأنياب أغوال

وقوله أيضاً :

ليالي يدعوني الهوى وأجيبه　　　وأعينُ من أهوى إلَى رواني

ومثال مجيئها خالية من الواو ما رواه سيبويه :

((كلمته فوه إلى فيَّ))　　　((ورجع عوده على بدئْه))

وما أنشده أبو علي الفارسي في الاغفال :

لولا جنان الليل مـا آب عـامـر إلى جـعـفـر سـرباله لم يمزق

واما جواز ربطها بالواو فإنه لعدم دلالة الاسمية على الثبوت، مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة، فحَسُنَ زيادة رابط ليتأكد الربط .

وقال الشيخ عبد القاهر : إن كان المبتدأ ضمير ذي الحال، وجب الواو ، كقولك : جاء زيد وهو يسرع، أو وهو مسرع، ولعل السبب فيه ان أصل الفائدة كان يصل دون هذا الضمير بأن يقال : جاء زيد يسرع ، أو مسرعاً ، فيكون الإتيان به مشعراً بقصد الاستئناف المنافي للاستصال، فتجب الواو .

وفي مثل قولنا : جاء زيد على كتفه سيف، بتقديم الظرف وجعله حالا عنه، يكثر في مثله عدم مجيء الواو وكقول بشار :

إن انكرتني بلدة أو نكرتهـا خـرجت مع البـازي، علّى سـواد

يعني عليَّ بقية من الليل . وكقول أمية بن أبي الصلت يمدح سيف بن ذي يزن :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعًا في رأس غمدان دار امنك محلالا

قال الشيخ عبد القادر : والوجه ان يقدر الاسم في الأمثلة مرتفعا بالظرف، فإنه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبي الحسن، يعني باتفاق من سيبويه والكسائي، وذلك لاعتماده على ما قبله . انظر بقية المبحث في الإيضاح .

القول في الإيجاز والإطناب والمساواة

نص :

(الإيجَازُ تَعْبِيرٌ عَنِ الْمقْصُود بلَفْظَةٍ أقَلَّ مِ الْمَعْهُودِ)

(وَعَكْسُهُ الإطْنَاب وَهْوَ يُعْتَبَر بِحَسَبِ الجُمَلِ ولِحُروفِ قَرْ)

(وانْ تَسَاوَى الَّلفْظُ والمُرادُ فَذَا المُسَاوِي مِنْهُ يُسْتَفَادُ)

ش : يعني أنهم عرفوا الإيجاز بأنه أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات المتعارف عليه الأوسط وعرفوا الاطناب بأنه اداؤه بأكثر من عبارته، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل، فإن المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له، أو ناقص عنه لكنة واف بالمقصود، أو زائد عليه لفائدة .

فالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد، لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره، ولا زائدا عليه بنحو تكرير ، أو تتميم، أو اعتراض أو نحو ذلك، مثال ذلك قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ وقوله تعالى في سورة الانعام : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ .

وقول نابغة ذبيان زياد بن معاوية :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت ان المنتأى عنك واسعُ

نص :

(الايجازُ قِسْمَانِ يَجِي بالْقَصْرِ مِثَالُهُ قَولُ الإلَه الْبَرِّ)

(مُنَوِّهاً بِحِكْمَةِ الْقِصَاصِ وَبِكمَالِ رَدْعِهَا للعَاصِي)

ش : يعني الإيجاز ضربان : أحدهما هو إيجاز القصر، وهو مَا ليس بحذف ومثاله قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب ﴾ فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ، إذ المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِلَ، كان ذلك له داعيا قويا إلى أن لا يقدم على القتل، فارتفع بذلك كثير من قتل الناس بعضهم بعضاً، فكان في ارتفاع القتل بسبب حكمة القصاص حياة لهم، فإذا قارنت ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ مع ما كان العرب يعتبروه أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم « القتل أنفى للقتل » وجدت أن حروف العبارة الجاهلية أربعة عشر حرفاً، وحروف عبارة الوحي في التلفظ عشرة فقط، ووجدت التصريح بالحياة في عبارة الوحي فيكون ذلك أوجز من القتل بغير حق، ووجدت في تنكير « حياة » ما يفيد التعظيم، ووجدت في عبارة الوحي من الاطراد مالا يوجد في عبارة الجاهلية، فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص خاصة، ووجدت في عبارة الوحي السلامة من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف عبارة الجاهلية فإنها غير سليمة منه ، ووجدت أن عبارة الوحي سالمة من تقدير محذوف بخلاف عبارة الجاهلية فإنه لابد فيها من تقدير القتل انفى للقتل من تركه، ووجدت ان عبارة الوحي فيها الطباق من فن البديع لأن القصاص ضد الحياة، فالجمع بينهما طباق كما ستعلم في محله، ووجدت ان عبارة الوحي جعلت القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال « في » عليه- إلى غير ذلك من الفوارق ومن أمثلة قصر الإيجاز قوله تعالى في سورة الاعراف : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق لأن قوله تعالى ﴿ خذ العفو ﴾ أمر باصلاح قوة الشهوة، فإن العفو ضد الجهل، وقوله تعالى ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ أمر باصلاح قوة الغضب، أي اعرض عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم، هذا ما يرجع إليه هو منها،

وأما ما يرجع إلى أمته ﷺ فدلَّ عليه بقوله تعالى : ﴿ وأمر بالعرف ﴾ أي بالمعروف والجميل من الأفعال، وقد روى عن جعفر الصادق رحمه الله : أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لها من هذه الآية .

ومن قصر الإيجاز ما كتبه عمرو بن مسعدة على لسان المأمون إلى بعض العمال، مع رجل يوصيه به، ونصه : « كتابي إليك كتاب واثق ممَّن كتب إليه، مَعنىًّ بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله » .

نص :

(ثانيهمَا إيجَازُ حَذْفٍ جَاءَا	كَجُزْءِ جُمْلَةٍ مِمَّا تَراءَا)
(من ذاكَ حَذْفُ صِفَةٍ ومَا وصِفْ	كَذَاكَ منْهُ حَذْفُكَ الَّذي أُضِيفْ)
(وَحَذْفُكَ الجَوابَ لِلشَّرْطِ كذَا	ولَوْ ترىَ إذْ وقفُوا ، مثَالُ ذَا)
(وَرُبَّمَا حُذفَ زائدٌ عَلى	مُطْلَقِ جُمْلَةٍ كَقَوْله عَلاَ)
(في سُورة النَّمْلِ تَولَّ عَنْهُمُ	فانْظُر، إلى أنْ قَرأتَهُ لَهُمُ)

ش : يعني أن الضرب الأخر من الإيجاز هو إيجاز الحذف، وهو ما يكون بحذف، وذلك المحذوف إما جزء جملة، وإما جملة كاملة، وقد يكون أكثر من جملة .

أما حذف جزء الجملة ، فمنه حذف المضاف ، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهلها، وبقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ أي تناولها لأن الحكم الشرعي إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام .

وإما بحذف الموصوف كقول سحيم بن وثيل الرياحي :

أنا ابن جلا وطلاَّعُ الثنايا — متى أضع العمامة تعرفوني

أي أنا ابن رجل جلا .

وقد يكون المحذوف صفة ، نحو قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ أي : كل سفينة صحيحة، أو صالحة أو نحو ذلك . وثبت عن ابن عباس انه كان يقرأ « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا » .

وقد يكون المحذوف جواب الشرط للإختصار البحت ، ولا يكون ذلك إلا اعتمادا على دليل يدل على المحذوف، فمنه قوله تعالى في سورة يس : ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون﴾ أي اعرضوا، وذلك بدليل قوله تعالى بعده : ﴿وما تأتيهم من آية من ايات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ .

ومنه قوله تعالى في سورة الرعد : ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ أي لكان هذا .

ومنه قوله تعالى في سورة الاحقاف : ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ أي ألستم ظالمين، بدليل قوله تعالى بعده : ﴿إن الله لا يهدي القوم الظامين﴾ .

وقد يكون المحذوف للدلالة على أنه شئ لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا أو مكروها الا

يُجوِّزُ ان يكون الأمر أعظم منه ، من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾، وقوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند وبهم ﴾ فهو شرط حذف جوابه اظهارا لكونه لا يحيط به وصف، وتقديره : لرأيت امرا فظيعاً .

قال السكاكي : ولهذا المعنى حذفت الصلة من قولهم : جاء بعد اللُّتيّا والليتى : أي المشار اليه بهما ، يعني بعد المحنة والشدائد التي بلغت من المحنة والفظاعة حدا يعجز الوصف عنه .

وربما يكون المحذوف أكثر من جملة ، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ أنا ابنئكم بتأويله فأرسلون ،يوسف ﴾ الآية أي فأرسلوني إلى يوسف فأرسلوه إليه فأتاه وقال يوسف أيها الصديق . ومنه قوله تعالى في سورة النمل : ﴿ اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون ، قالت يأيها الملأ ﴾ الآية : أي ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته، ثم كأن سائلاً سأل : فماذا قالت ؟ قيل قالت يأيها الملأ .

وأدلة الحذف كثيرة، منها : أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كما في قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ الآية ، فان العقل يدل على الحذف لما مر، والمقصود الأظهر يدل ويرشد إلى أن التقدير حرم عليكم تناول الميتة ، وقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ حرمت عليكم امهاتكم ﴾ فان العقل يدل على الحذف والمقصود الأظهر يرشد إلى ان المقصود حرم عليكم نكاح امهاتكم .

ومنها : ان يدل العقل على الحذف والعاده على التعيين كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز في سورة يوسف : ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ فقد دل العقل هنا على الحذف ، لأن الإنسان انما يلام على كسبه، فاحتمل الكلام اذاً : الذي لمتنني في حبه، لقوله تعالى : ﴿قد شعفها حبا﴾ واحتمل أن يكون في مراودتي له، لقوله تعالى : ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾ ويحتمل ان يكون : لمتني في شأنه وأمره، فيشمل الحب والمراودة معاً، ولكن العادة دلت على تعيين المراودة، لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلبته إيَّاه، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يستطيع ان يدفعها عن نفسه .

ومنها : ان تدل العادة على الحذف والتعيين، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ فإنهم كانوا من أعظم خبراء القتال والحرب، فكيف يقولون انهم لا يعلمون الحرب، فلابد اذاً هنا من محذوف قدره مجاهد رحمه الله أي مكان قتال، أي انكم تقاتلون في مكان لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ، ويدل لذلك انهم أشاروا عليه ﷺ ان لا يخرج من المدينة وان الحزم البقاء فيها .

ومن أدلة الحذف الشروع كأن تقول في شروعك في القراءة بسم الله الرحمن الرحيم فإنه يفيد ان المراد بسم الله أقرأ .

ومنه الاقتران أي اقتران الكلام بالفعل كأن تقول بالرفاء والبنين لحديث عهد بعرس ، فإنه يفيد : بالرفاء والبنين اعرست .

نص :

(الأطْنَابُ قـدْ يَجِى بُعَيْـدِ مُبْـهَمِ لِقَـصْـدِ إيضَـاحِ الْكَلاَمِ الْمُبْـهَمِ)
(أوْ هُوَ لِلتَّـهْـويلِ مِـثْلَ قَـوْلِـه ذَلِكَ الأمْـرَ شَـارِحـاً لِهَـوْلِهِ)

ش : يعني الاطناب هو إما لإيضاح بعد إبهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن المعنى في النفس أفضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان الشعور به أتم .

وقد يكون لتهويل الأمر وتعظيمه كقوله تعالى في سورة الحجر : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر، أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ فإن ابهامه أولاً وتفسيره ثانياً تفخيم للأمر وتعظيم له .

نص :

(ويُذْكَـرُ الخُـصُـرصُ في مَـقُـوله بَعْـدَ الْعُـمُـومِ مُـؤْذِناً بِفَـضْله)
(مِـثَـالُهُ إجْـمَـالُهُ الملائِكْ وذِكْـرُهُ جِـبْـرِيلَ بَعْـدَ ذَلِكْ)

ش : يعني أن من مسائل الاطناب ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، مثاله قوله تعالى في سورة البقرة " ﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل ﴾ وقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وقوله تعالى في

سورة البقرة : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ .

نص :

(ومِنْهُ تَوْشِيعً ضَمِيرُ اثنين   مُفَسَّراً بِمُتَعَاطِفَيْن)
(مِثَالُهُ يَشِبُّ مِنْهُ خَصْلَتَانْ   بآخر الحديث ذَلِكَ اسْتَبَانْ)

ش : يعني ان الاطناب منه ما يعرف بالتوشيع وهو ان يؤتي في آخر الكلام بمثنًّى مفسر باسمين احدهما معطوف على الآخر كما جاء في الحديث المتفق عليه : « يهرم ابن آدمَ وتَشُبُّ مِنْهُ خصلتان : الحرص على الدنيا والحرص على العمر » أو كما قال ﷺ .

ومن التوشيع قول عبد الله بن المعتز :

سَقتنىَ في ليل شبيه بشعرها   شبيهة خديها بغير رقيب
فمازلت في ليلين شعر وظلمة   وشمسين من خمر ووجه حبيب

ومنه قول البحتري :

لما مشين بذي الأراك تشابهت   اعطافُ قضبان به وقدود
فيَ حُلَّتي حبَر وروضٍ فالْتقى   وشيان وشى رُبىً ووشيُ برودِ
وسَفَرْنَ فامتلأتْ عيونُ راقها   وَرْدانِ ورْدُجنىً وورد خدود

ومن أمثلة التوشيع أيضاً قول الشاعر، انشده الدسوقي وعزاه انشاده للسيوطي :

أمْسِي وأصْبِحُ من تذكاركم وصباً   يرثى لي المشفقان الأهل والولدُ

قـد خـدَّد الدمع خـدِّي من تذكـركم	واعـتـادني المضنيان الوجد والكمدُ
وغـاب عن مـقلتي نومي لغـيبـتكم	وخـانني المسـعـدان الصـبـر والجلدُ
لا غَــرْوَ للدمع ان تجـري غـواربه	وتحـتـه الطافـيـان القلب والكبـدُ
كـأنما مـهـجـتي شلوٌ بمسـبـعـة	ينتـابهـا الضـاريان الذئب والأسـد
لم يبق غـير خفي الروح في جسدي	فِـداكُمُ البـاقِـيـان الروح والجـسـدُ

نص :

(يُسَـــوِّغُ التَكْرَارَ لِلَّفْظِ لِقَــا	تَعْــدَادَ مَـــا يُرىَ بِهِ تَعَلُّقَـــا)
(كَــفَــبِــأيِّ جَــاءَ بِالتَّكْرَارِ	لِقَـــاءَ ذِكْـــرِ نِعَمِ الْجَــيَّـــارِ)
(وقـــدْ تَكُونُ نُكْتَــــةُ التَّكْرَارِ	لِتَـــسْـــتَـــبِينَ شِـــدَّةُ الإنْذَارِ)

ش : يعني أن من أنواع الاطناب التكرار، وانه يسوغ ذلك التكرار تعدد المتعلق ، كما جاء في سورة الرحمن من تكرار قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ لأنه تعالى ذكر هذه النعم نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى .

فإن قيل : قد جاء هذا القول عقيب قوله تعالى : ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ فأين النعمة في هذا ، فالجواب : ان ذكر ارسال الشواظ وذكر جهنم إنما وقع للإنذار والزجر عن المعصية الموقعة فيهما فكان ذكرهما نعمة من حيث الإنذار جار بهما ولذلك عقبهما بقوله :

﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ لان من انذره الله فقد انعم عليه، والمقام يقتضي التنبيه على كل نعمة ليقام بشكرها بخصوصها .

وقد يكون التكرار لنكتة تأكيد الإنذار، مثاله قوله تعالى في التكاثر : ﴿ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ﴾ وفي ثم دلالة على أن الانذار الثاني أبلغ وأشد .

نص :

(الايغَالُ مِنْهُ، أن يَكُونَ خَتْمُ بَيْت بِنُكْتَةٍ وقَدْ يَتمُّ)
(مَعْنَاهُ دُونَهَا كَإنَّ صَخْرا لآخِرِ الْبَيْتِ الشَّهِيرِ ذِكْرَا)
(وقِيلَ لاَ يخْتَصُّ بِالنَّظْمِ ...)

ش : يعني أن الاطناب منه الإيغال، واختلف في معناه ، فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، ومثلوا له بزيادة المبالغة في قول الخنساء رضي الله عنها :

وانَّ صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فإنها لم تقتصر على تشبيهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى بالغت فجعلت في رأسه ناراً . وهذا البيت من قصيدة ترثي بها رضي الله عنها أخاها ضخرا ابن عمرو بن الشريد السلمي مات في الجاهلية، ومطلعها :

قذىً بعينك أم بالعينين عوارُ ؟ أو اذرفت إذ خلت من أهلها الدار؟
كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيضٌ يسيل على الخدين مدرارُ

تبكي خناس على صخر وحق لها إذْ رابها الدهر إن الدهر ضرارُ
فإن صخراً لوالينا وسيدُنا وإن صخراً إذا نشتو لنحارُ

وإن صخراً لتأتم ..... البيت وبعده

لم تره جارةً يمشي لساحتها لريبة حين يُخْلِي بيته الْجَارُ
ولا تراهُ وما في البيت يأكلهُ لكنه بارز بالصخر مهمارُ
طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر ضخم الدسيعة بالخيرات امَّارُ

وقيل لا يختص الإيغال بالشعر ومثلوا له بقوله تعالى : ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون﴾ فقوله وهم مهتدون مما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد لا محالة إلا أن فيه زيادة حث على الاتباع والترغيب في الرسل .

نص :

(.... .... ومن مسائل الاطناب تذييلٌ حسن)
(وهو تعقيب بجملة على أخْرىَ بِمَعْنَاهَا لِتَوكيدٍ جَلاً)
(وقَسَّمُوا لِذَا إلى ضَرْبَيْن ضَرْبٌ تَوَقَّفَ إلى تَبْيينْ)
(مَا قَبْلَهُ الَّذي يفيدُ عَنْهُ لِكَيْ يُفِيدَ مَا أريدَ مِنْهُ)
(مِثَالُهُ وَهَلْ يُجَازَى إلاَّ أنْت بِهَا مِن قَبْلِ ذَاكَ كُلاًّ)

ش : يعني أن من مسائل الاطناب ضرباً يدعونه التذييل ، وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها لنكتة التوكيد ، وهو ضربان :

ضرب لا يخرج مخرج المثل، لعدم استقلاله بإفادة المراد، ولتوقفه على ما قبله، ومثاله قوله تعالى في سورة سبأ : ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا، وهل

يجازى[1] إلا الكفـور﴾ على وجـه وهو أن يكون المراد : وهل يجـازى ذلك الجزاء المخصوص إلا الكفور، فيتعلق بما قبله .

وأما على المعنى : وهل يعاقب إلا الكفور بناء على ان المجازاة هى المكافأة إن خيراً وإن شراً ، فيكون هذا المثال من الضرب الثاني .

ومن ا لضرب الأول قول ربيعة بن مفروم الضبي :

فـــدعـــوا نَزالِ فكنت أول نازلٍ وعـــلامَ أركـــبُـــه إذا لم أنزل

وقول أبي الطيب :

وما حاجة الأظعان حولكِ في الدُّجى إلى قـمـر؟ مـاواجـدٌ لكِ عَـادِمُـه

وقصده هنا ان إشراق وجهها يغني السفر عن القمر، وأنه لا يعدم القمر من يجدها .

ومن التذييل ضرب يخرج مخرج المثل ، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الاسراء : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا﴾ .

ومنه قول النابغة الزبياني :

ولست بمســتــبق أخــا لا تلمــه على شـعث، أيُّ الرجـال المهـذب

ومنه قول الحطيئة :

تزور فـتى يعطي على الحـمـد مـاله ومن يُعْطِ أثْمـان المكارم يُحْـمَـدِ

وقد يجتمع الضربان في آن واحد كما جاء في قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد، أفإن مت فهم الخالدون، كل

---

(١) بقراءة أهل المدينة .

نفس زائقة الموت ﴾ فإن قوله ﴿ أفإن مت فهم الخالدون ﴾ من الأول، وما بعده من الثاني، وكل منهما تذييل على ما قبله .

ثم أن التذييل قد يكون إمَّا لتأكيد منطوق الكلام كقوله تعالى : ﴿ وقُلْ جَاءَ الحق ﴾ . وإمَّا لتأكيد مفهوم الكلام كبيت نابغة ذبيان المتقدم فان صدره دلَّ بمفهومه على نفي الكمال من الرجال، وحقق ذلك وقرره بعجزه، وقد أشار في النظم للضرب الثاني بقوله :

نص :

(وثَانِيَ الضَّرْبَيْنِ مَاقَدْ خَرَجَا ... مِثْلَ الَّذي يَكُونُ عَنْهُ خَرَجَا)

(مِثَالُهُ للشَّاعِرِ الذُّبْيَآني ... مُعْتَذِرا به لَدَىَ النُّعْمَانِ)

وناسب قول الناظم معتذرا به لدى النعمان أن نذكر القطعة التي فيها البيت المستشهد به وهى قوله :

أتاني أبيت اللَّعنَ انَّك لُمتني ... وتلك اللتي أهتم منها وأنْصبُ

فبت كأن العائدات فرشنني ... هراسا به يُعلى فراشي ويقشب

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنْتَ قد بُغلِّت عني خيانة ... لُمبْلِغك الْواشِي أغَشُّ وأكْذَبُ

ولكنني كنتُ امراً لي جانبٌ ... من الأرضِ فيه متراد ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما اتيتهم ... أحَكَّمُ في أموالهم وأقَرَّبُ

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في شكر ذلك أذْنبوا

ألم تر ان الله اعطاك سوة ... ترى كل ملك دونها يتذبذبُ

لأنك شمس والملوك كواكبُ إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فلا تتركني بالوعيد كأنّني إلى الناس مطليٌّ به الْقارُ اجرَبُ

ولست بمستبقٍ اخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب؟

فإن أكُ مظلوماً فعبد ظلمته وإن تكُ ذا عتبى فمثلك يعتب . أهـ

نص :

(ومِنْهُ مَا يُسَمَّى بالتَّكْمِيلِ والاحْتِرَاسِ في مَجَالِ القِيلِ)

(وَهُوَ أنْ يُجَاءَ في الكَلاَمِ يُوهِمُ خُلْفَ الْقَصْدِ بِالتَّمَامِ)

(بِمَا يُفِيدُ الدَّفْعَ للتَّوَهُّمِ وَهُوَ ضَرْبانِ لَدَى التَّكَلُّمِ)

(ضَرْبٌ يَجِي وَسْطَ الْكَلام، ذَلِكْ مِثَالُهُ كَفَسَقَى دِيَّارَكْ)

(وَجَاءَ ضَرْبٌ آخِرَ الْكَلامِ دَفْعاً لِمَا يَرِد مِنْ إيهَامِ)

(ألا تَرىَ : «فَسَوْفَ يأتي اللَّهُ» لآخِرِ الآيَةِ إذْ تَرآهُ)

(أتَى بِقَوله «أعِزَّة» عَلاَ دَفْعَ تَوَهُّمٍ لِضَعْفٍ قَدْ جَلا)

ش : يعني ان الإطناب منه ما يسمى التكميل والاحتراس وهو ان يؤتى في كلام بما يتوهم به خلاف المقصود ، فيؤتى بما يدفع ذلك التوهم، وهو ضربان :

ضَرّبٌ يتوسط الكلام ومنه قول طرفة :

فسقى دياك، غير مفسدها صوبُ الربيع وديمة تهمى

ومنه قول كثير بن عبد الرحمن :

لو أن عزّة خاصمت شمسَ الضُّحى في الحسن، عند موفق، لقضى لها

إذ التقدير عند حاكم موفق، فقوله : «موفق» تكميل .

ومنه قول ابن المعتز :

صببنا عليه، ظالمين، سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٍ وأرْجُلِ

ومن التكميل والاحتراس ضرب يقع في آخر الكلام، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبُّونه، أذلة على المؤمنين، أعزَّةٍ على الكافرين﴾ فإن الآية لو اقتصرت على وصفهم بالذلة على المؤمنين، لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل ﴿أعزَّةٍ على الكافرين﴾ علم أنها منهم تواضعً لهم، ولذا عدِّيً الذلُّ بعلى لتضمينه معنى العطف ، فكأن المعنى : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع .

ويجوز بأن تكون التعدية بـ «على» لأن المعنى : انهم مع شرفهم، وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين، خافضون لهم اجنحتهم .

ومنه قول كعب بن سعد الغنوي :

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدوِّ مهيبُ

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم، لأوهم ان حلمه عن عجز، فلم يكن صفة مدح فقال «إذا ما الحلم زين أهله» فأزال هذا الوهم، وأما بقية البيت فتأكيد للازم ما يفهم من قوله «إذا ما الحلم زين أهله» من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم زينا لأهله، فإن من لا يكون حليما حين لا يحسن الحلم لأهله، يكون مهيبا في عين العدو لا محالة ، فعلم أن بقية البيت ليس تكميلا كما زعم بعض الناس .

نص :

(وَمِنْهُ مَـا عُـرِفَ بالتَّـتْـمِـيـمِ   وَهُـوَ إتْيَـانُكَ فـي الكـلِـيمِ)
(بِفَـضْلَةٍ تُفِـيـدُ في الْكَلامِ   مِـثْلَ المُبَـالِغَـةِ في الإطْعَـامِ)

ش : يعني أن من الاطناب ما يدعونه بالتتميم، وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة، كالمبالغة مثلاً، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الإنسان :﴿ ويطهمون الطعام على حبه ﴾ أي مع حبه والضمير في حبه للطعام – ومنه قول الشاعر :

إنّي على مـا ترين من كـبـرى   أعْـرِفُ من أيـن تؤكـل الْكَتـفُ

نص :

(ومِنْهُ الأعْـتِـراضُ وَهْوَ أنْ يَجِي   بَـيْنَ كَـلاَمَـيْنِ بِقَـولٍ مُـدْرَجِ)
(يَتَّـصِـلاَنِ دُونَه في المَعْـنَىَ   لكِنَّهُ هُوَ يُفِـيـدُ مَـعْنَى)
(غَـيْـرَ الَّذي ذُكِـرَ في الْكَلِيمِ   وَذَاك كـالـتنزيه والتَّـعْظِيمِ)
(وتَـارَةً تَـرَاهُ لِـلـدُّعَـاءِ   ولِـلتَّـنَبُّـهِ عَلى السَّـوَاءِ)

ش : يعني ان الاطناب من مسائة الإعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنىً بجملة أو أكثر، لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل أي لنكتة سوى دفع الإيهام، ومثلوا له بالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ ويجعلون لله البنات ، سبحانه ، ولهم ما يشتهون ﴾. ومثلوا له أيضاً بقول أبي الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرِّب   يرى كل ما فيها – وحاشاك – فانيا

وقول عوف بن محلم الشيباني :

ان الثمانين ، وبُلِّغْتَّها — قد احوجت سمعي إلى ترجمان

نص :

(وَقَدْ يُخَصِّصُ لِبَعْضِ مَا ذُكِرْ — مُؤكِّداً جَانِبَهُ فيما سُطِرْ)

(مِنْ ذاك ذِكْرُ الْحَمْلِ والْفِصَالِ — مِنْ قَوْلِ ذى الكَمالِ والجَلاَلِ)

(وَصِيَّةً بِوَالِدَى الاَنْسَانِ — أنْ يُكَرِمَا بِالشُّكرِ والاحْسانِ)

(ثُمَّ اعْتِراضٌ في اْعْتِراضٍ قَدْ يَجِي — ومَثَّلوا لَهُ بِدُونَ حَرَجٍ)

(بِقَولِ مَنْ قَدَّسَهُ الْمُقَدِّسُونْ — وإنَّهُ لَقَسَمٌ لوْ تَعْلَمُونْ)

ش : يعنى أن الاعتراض منه ما يجي لنكتة تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر متعلق بهما، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ ووصين الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله في عامين، ان اشكر لي ولوالديك ﴾ .

وقد يجي اعتراض في اعتراض، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الواقعة : ﴿ فلا اقسم بمواقع النجوم، وانه لقسم ، لو تعلمون ، عظيم، انه لقرآن كرين ﴾ فإن قوله تعالى ﴿ لو تعلمون ﴾ اعتراض لأنه بين الموصوف والصفة، واعترض بقوله تعالى : ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ بين القسم والمقسم عليه . والله الموفق .

عِلْمُ الْبَيَانِ

نص :

(عِلْمٌ بِهِ إيرَادُ مَعْنىً وَاحِدْ مَعَ اخْتِلافِ طُرُقِ الْمَوَارِدْ)

(وَمَعْ وُضُوحٍ فِي الدَّلالَةِ اعْلَمِنْ هُوَ الْبَيَانُ عِنْدَ كُلِّ مَنْ فَطِنْ)

لقد قدمنا علم المعاني على علم البيان لأن مفاد علم المعاني من مفاد علم البيان بمنزلة المركب من المفرد، وإن شئت قلت هو بالنسبة إليه ككيفية مع المكيف وكخاص بعد العام .

إن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة الذي هو مرجع علم البيان، إنما يعتبر بعد رعاية مطابقة مقتضى الحال التي هى مرجع علم المعاني، وتوقف المراد من البيان على المراد من المعاني كتوقف الكل على الجزء، وفيه نظر .

وقدم البيان على البديع للاحتياج إليه في نفس البلاغة ولتعلق البديع بالتوابع ومعنى الاحتياج إلى البيان في نفس البلاغة، لأنه يحترز به عن التعقيد المعنوي ، وهو شرط في الفصاحة وهى شرط في البلاغة .

ش : يعني أن علم البيان هو علم أي ملكة يقتدر بها على إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، بطرق وتراكيب مختلفة مع وضوح في الدلالة على ذلك المعنى، بأن يكون بعض الطرق واضح الدالاة عليه وبعضها أوضح .

نص :

(واللَّفْظُ إمَّــــا للَّذي لَهُ وضِعْ دَلَّ وَبالْعَكْسِ لَدَى مَنْ يَسْــتَمِعْ)

(والثَّــانِي إمَّــا داخِلٌ في الْقَــوْلِ أوْ خَــارِجٌ عِنْدَ ذَوِي الْعُــقُــولِ)

(كالبَيْتِ في للسَّقْفِ وكالإنْسَانِ إذْ هُوَ نـاطِقٌ مِنَ الحَــيْــوانِ)

(دلاَلَةِ الأوَّلِ قُلْ وَضْــعِــيَّــةْ والأُخْــرَيَيْنِ سَــمِّــهَ عَــقْلِيَّــةْ)

(فَــأوَّلٌ تَطَابُقٌ والثَّــانِي تَضَـــمُّنٌ، والإلْتِــزَامُ ثَانِي)

(بعــد التَّــضَــمُّنِ وَذَا الْلُزُومُ في الذِّهْنِ هُوَ شَــرْطُهُ المَعْلُومُ)

(كـالْحَيْطِ والسَّقْفِ من الْبُنيَـانِ والضُّحْك بالنِّسْبَـةِ للإنسَـانِ)

(وَخُــصِّصَ الْبَـيَـانُ بالْعَـقْلِيَّـةْ إذْ لاَ تَعَــدُّدَ لَدَى الْوَضْــعِــيَّــةْ)

(أقْسَـامُـهُ الْمَجَـازُ والتَّشْبِيـهُ ثُمَّ الكِنَايَةُ بِهِ تَتِــيــهُ)

ش : يعني أن اللفظ إما أن يدل على ما وضع له وإما أن يدل على غير ما وضع له، فإذا دل على غير ما وضع له، فلابد أن يكون داخلاً مادل عليه في اللفظ الذي وقع به النطق دخول السقف في مفهوم البيت أو دخول الحيوان في مفهوم الإنسان أي بأن يدل اللفظ على ما وضع له اللفظ، فإن مجموع الحيوان الناطق مثلاً وضع لفظ الإنسان لمجموع الجزأين منه أعني الحيوان الناطق، أو يدل اللفظ على جزء ما وضع له كدلالة الإنسان على الناطق فقط أو على الحيوان فقط فإن كلا منهما جزء من الموضوع، أو يدل دلالة على معنى خارج عن تمام ما وضع له اللفظ كدلالة لفظ الإنسان على معنى الضاحك فإنها دلالة على معنى خارج عن مسمى الذي هو الحيوان الناطق إذ هو لازم لهذا اللفظ لا

جزء منه، فتسمى الأولى من هذه الأقسام الثلاثة وهى الدلالة على تمام ما وضع له اللفظ دلالة وضعية لأن السبب في حصولها بشرط سماع اللفظ أو تذكره هو معرفة الوضع فقط دون حاجة لشئ آخر وراء الوضع ، وتسمى كل من الأخريين دلالة عقلية ، وهما دلالة على الجزء والدلالة على اللازم، لان حصولهما إنما هو من جهة العقل لأن العقل حاكم بأن حصول الكل أو الملزوم يستلزم حصول الجزء أو اللازم ، ويخصون العقلية بما يقابل الوضعية والطبيعية كدلالة الدخان على النار، فالدلالة الأولى تعرف بدلالة المطابقة لتطابق اللفظ والمعنى ، وتسمى الثانية بدلالة التضمن لكون الجزء في ضمن المعنى الموضوع له ، وتسمى الثالثة بدلالة الإلتزام لكون الخارج لازما للموضوع .

ويشترط في دلالة اللزوم اللزوم الذهني أعني أن يكون حصول ما وضع اللفظ له في الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر، ولا يشترط في هذا اللزوم أن يوكون مما يثبته العقل، بل يكفي أن يكون مما يثبته اعتقاد المخاطب اما لعرف أو لغيره لإمكان الإنتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الخارجي .

وقول الناظم : وخصص البيان بالعقلية آلخ . يعني أن إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة لا يتأتى بالدلالة الوضعية وإنما يتأتى بالدلالة العقلية لجواز ان يكون للشئ الواحد لوازم بعضها أوضح لزوما من بعض، ولذلك فإن البيان منحصر في الدلالات العقلية ، وتلك إما أن يكون المراد منها لازم ما وضعت له، ان قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع، فهو المجاز، وان لم تقم قرينة مانعة من إيراده المعنى الأصلي فهو الكناية فانحصر المقصود من البيان في

التشبيه لان من المجاز الاستعارة وهي مبنية على التشبيه فتعين التعرض له، فيكون فن البيان إذاً ينقسم إلى ثلاثة أقسام هى :

المجاز ، والكناية ، والتشبيه ، ولأن الاستعارة من المجاز مبنية على التشبيه فقد قدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا ، وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل . وبالله تعالى التوفيق .

القـول في التشبيـه

نص :

(هُوَ الدِّلالَةُ على الشِّـرِكَـةِ في ‌ ‌ ‌ ‌ مَعْنىً لأمْرَيْنِ فأكْثَرَ، قُفِي)
(أركـــانُهُ أرْبَعَـــةٌ أثْبَـــاتُ ‌ ‌ ‌ ‌ الطَّرَفَـــانِ، الْوَجْـــهُ والأداةُ)

ش : يعني أن التشبيه هو بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو في معنى أو أكثر، والمراد بالتشبيه هنا، هو مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا على وجه الاستعارة بالكناية ولا التجريد .

واعلم أن التشبيه له أربعة اركان هى : المشبه والمشبه به ويقال لهما الطرفان، ووجه الشبه ، وأداة التشبيه . وهو مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة، وان تعقيب المعاني به، لاسيما التمثيل منه، يكسب النفس إنفعلالاً تتحرك بموجبه إلى المقصود مدحاً كان أو فخراً أو غير ذلك، تأمل إن شئت قول البحتري حين يصف ممدوحه بقوله :

دان إلى أيدي العـفـاة وشـاسع ‌ ‌ ‌ ‌ عن كل ندٍّ في النَّدى وضـريب
كـالبـدر أفـرط في العلوِّ، وضـوءه ‌ ‌ ‌ ‌ للعـصـبـة السـارين جـدٌّ قـريب

فهو يمثل ممدوحه في علوه عن أقرانه وأمثاله وفي قربه، مع ذلك، من كل ذي حاجة ضعيف بالبدر الذي افرط في الإرتفاع وهو في نفس الوقت يعم نفعه بالإضاءة كل الناس .

وانظر إلى قول ابن لنكك البصري في هجاء آخر :

إذا أخو الحسن أضحى فعله سَمِجاً ... رأيت صورته من أقبح الصور

وَهَبْهُ كالشمس في حسن، ألَمْ ترنا ... نَفرٌ منها إذا مالت إلى الضرر

فهو يشبه الحسن في صورته القبيح في فعله بالشمس عند اشتداد حرها في فرار الناس منها وعدم الراحة لها على الرغم من إنها مضرب الأمثال في الحسن والجمال .

وانظر إلى قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيبُ عَرْفِ العودِ

ما أجمل هذه العبارة حيث تُشَبِّهُ اشتعال نار الحسد في مآثر الحسود لتنتبه الناس إليها باشتعال النار بالعود لتهب منه رائحته الطيبة ليعم طيبه ما حوله .

ومن أسباب بلاغة التشبيه ما يحصل للنفس به من الأنس باخراجها من خفيّ إلى جليّ كالإنتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته مثل قول أبي تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

نص

(مَراتِبُ التَّشْبِيهِ للتَّعْرِيفِ ... بِحَسَب القُوَّةِ والتَّضْعِيفِ)

(مَـحْـصُـورَةً في رُتَبٍ ثمَـانِ	أضعَفُهَا مَا جَاءَ بالأركانِ)
(جَمِيعهَا كزيْدٍ في شجاعَتهْ	كأسَدٍ ، ضَعِّفْهُ في بَلاَغتهْ)
(يَليه مَا مُشَبَّهٌ منْهُ حُذفْ	وَهْوَ ضَعيفٌ مثْلُ ماقَبْلُ ضَعُفْ)
(ثَالثُهَا تَرْكُ أداةِ الشَّبَه	وبَعْضُ قُوَّةٍ لذا فانْتَبِه)
(رَابِعُهَا التَّرْكُ لِمَا قَدْ شُبِّهَا	مَعَ الأداةِ كاللَّتي مِنْ قَبْلَهَا)
(خَامِسُهَا في تَرْكِ وَجْهِ الشَّبَه	سَادسُهَا في قُوَّةٍ أتَوا بِه)
(كتَرْكِ بَعْضِ شَبَهٍ، وتَركُهُ	مَعَ الأداةِ سَابعُ الأقسَامِ هُو)
(ثُمَّتَ ذِكْرُ مَا بِهِ كانَ الشَّبَهْ	فَرْداً وَذَا ثَامِنُهَا فَلْتَنْتَبِهْ)

ش : يعني أن مراتب التشبيه في القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها ، هي ثمان :

أقلها قوة ذكر أركانه الأربعة كقولك : زيد كالأسد في شجاعته ، ولا قوة لها .

والثانية : ترك المشبه. كقولك كالأسد في شجاعته ، أي زيد ، وهي لا قوة لها كالأولى .

والثالثة : ترك كلمة التشبيه أي ترك الأداة كقولك : زيد أسد في شجاعته، وفيها نوع قوة .

والرابعة : ترك المشبه وأداة التشبيه، كقولك : أسد في الشجاعة، أي زيد، وهي كالثالثة في القوة.

والخامسة : ترك وجه الشبه كقولك : زيد كالأسد ، وفيها نوع قوة

لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر .

والسادسة : ترك الشبه ووجه التشبيه، كقولك : كالأسد، أي زيد، وهى كالخامسة .

والسابعة : ترك أداة التشبيه ووجه الشبه، كقولك : زيد أسد ، وهى أقوى الجميع .

والثامنة : افراد المشبه به بالذكر ، كقولك : أسدٌ، أي زيد، وهى كالسابعة .

تنبيه : قد ينتزع التشبيه من التضاد لاشتراك الضدين فيه ثم ينزل منزلة التناسب بواسطة تلميح أو تهكم، كأن يقال للجبان : ما أشبهه بالأسد، أو يقال للبخيل : هو حاتم .

نص :

(مُرْسَلُهُ هُوَ الّذي قَدْ ذُكِرَتْ   فِيهِ الأداةُ، ثُمَّ ذي إنْ سُتِرَتْ)

(فَهُوَ المُؤكَّدُ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ   يُحْذَفُ في المُجْمَلِ، لكِنْ جِئْ بِهِ)

(لَدَى المُفَصَّلِ، وفي البَلِيغَ دَعْ   لِذَاكَ مَعْ أداتِهِ في المُتَّبَعْ)

ش : يعني أن التشبيه المرسل هو ما ذكرت فيه الأداة، والتشبيه المؤكد هو ما حذفت منه الأداة، والتشبيه المجمل هو ما حذف منه وجه الشبه، والتشبيه المفصل هو ما ذكر فيه وجه الشبه، والتشبيه البليغ هو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه .

مثال التشبيه المرسل : قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾ وقوله تعالى في سورة الحديد : ﴿عرضها كعرض السماء والأرض﴾ وقول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنَّه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

ومثال التشبيه المؤكد قوله تعالى في سورة النمل : ﴿وهى تمر مر السحاب﴾وقوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ياأيها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ ومنه قول زياد بن حمل :

هم البحور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقى بهمْ بُهُمُ

والتشبيه المجمل الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، منه ما هو ظاهر يفهمه كل احد حتى العامة كقولنا : زيد أسد ، لأنه لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها . ومنه ما هو خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة، كقول الأنمارية في وصف بنيها : هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها ، أي لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب اجزائها لا يستطاع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا .. ومن هذا النوع ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المسبه به كالمثال المتقدم ، ومنه ما يذكر فيه وصف المشبه وحده كقول زياد بن الأنجم :

وإنا وما تلقى لنا ان هجوتنا لكالبحر، مهما تُلْق في البحر يغرق

ومنه ما يذكر فيه وصف كل واحد منهما كقول أبي تمام :

صدفْتُ عنه ولم تصدف مواهبه عنِّي، وعاوده ظنِّي فلم يخب
كالغيث ان جئته وافاك ريِّقُه وإن تَرَحَّلْت عنه لجَّ في الطَّلب

والتشبيه المفصل الذي يذكر فيه وجه الشبه مثاله قول ابن الرومي :

ياشبيه البدر في الحسن وفي بُعْد المنال
جُدْ، فقد تَنْفَجرُ الصَّخْرة بالماء الزلال

وقول أبي بكر الخالدي :

ياشبيهة البدر حُسْناً وضياءً ومنالاً
وشبيهة الغُصْن ليناً وقَواماً واعْتِدالاً
أنْت مثلُ الورد لوْناً ونَسيماً ومَلالاً
زَارنَا حتَّى إذا ما سَرَّنَا بالقُرْبِ زالا

وأما التشبيه البليغ فمثاله قول المتنبي لسيف الدولة وقد ازمع سفرا :

أين ازمعت أيها الهمام نَحْنُ نبت الرُّبا وأنت الغَمَامُ

ومنه قول المرقش :

النشر مسك والوجوه دنا نيرٌ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَمْ

نص :

(مَا كَانَ وَجْهُ الشَّبْهِ فِيهِ قَدْ يُرى مِنْ مُتَعَدِّدٍ فَتَمْثِيلٍ جَرَى)

ش : يعني أن تشبيه التمثيل هو ما وجه الشبه فيه وصف منتزع من

متعدد من أمرين فأكثر مثاله قرل ابن المعتز :

اصـبـر على مـضض الحسـو ... دِ فـإن صـبـرك قـاتِلُهْ
فـالنار تأكل نفـسـهـا ... إن لم تجـد مـا تـأكُلُهْ

فـان تشبيه الحسود المتروك مقاولته مع تطلبه إياها لينال بها نفثة مصدور، بالنار التي لا تمد بالحطب، في أمر حقيقي منتزع من متعدد، وهو سرعة الفناء لانقطاع ما هو موجب البقاء - ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ فإن تشبيه هذه الآية حال المنافقين بحال الموصوف بالصلة في أمر حقيقي منتزع من متعدد، وهو الطمع في حصول المطلوب ، لمباشرة اسبابه، مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأساب .

نص :

(ضـمنيـة لَدَى ذَوي التَّنْبِيـهِ ... مَـا لَمْ يُجَـا بالطرفين فـيـه)
(في صُورَةٍ مِن صُوَرِ التَّشْبِيـهِ ... بَلْ يُلْمَحَـانِ عِنْدَمَـا تُبْـدِيهِ)

ش : يعني أن التشبيه الضمني هو تشبيه لا يوضع فيه المُشَبَّهُ والمشَبَّهُ به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب، وهذا النوع من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن، مثاله قول المتنبي :

وأصبح شعري منهما في مكانه ... وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

وقوله :

كَرَمٌ تبين من كلامِكَ ماثلاً ... ويبين عِتْقُ الخيل من أصواتها

ومنه قول البحتري :

ضحوك إلى الابطال وهو يروعهم ... وللسَّيْفِ حدٌّ حين يبدو ورونَقُ

نص :

(أغْرَاضُهُ كَثِيرَةٌ أوَّلُهَا ... بَيَانُ إمْكَانِ الَّذي قَدْ شُبِّهَا)

(لِكَيْ تَزُولَ آيَةُ الْغَرَابَةْ ... بِذِكْرِهِ الشَّبِيهَ في الْغَرَابَةْ)

(ثُمَّ بَيَانُ حَالِه ، وذاكَ في ... حَالَةِ جَهْلِ مُشْبَهٍ فَلْتَعْرِفِ)

(ثَالِثُهَا بَيَانُ قَدْرِ حَالِه ... مِنَ الَّذي عُرِفَ في إجْمَالِه)

(رابِعُهَا تَقْرِيرُ حَالِ الْمُشْبَهِ ... لِقَصْدِ الإيضَاحِ بِذِكْرِ الشَّبَه)

(خَامِسُهَا التَزْيِينِ والتَقْبِيحُ ... لِحَالِ مُشْبَهٍ وذَا صَحِيحُ)

ش : يعني ان اغراض التشبيه كثيرة، وهى تعود في الأغلب إلى المشبه، وقد تعود إلى المشبه به، أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة منها : بيان أن وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويُدَّعى امتناعه، كما هو في بيت أبي الطيب المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإنَّ المسك بعض دم الغزال

فإنه أراد به أن ممدوحه فاق الأنام في الأوصاف الحميدة إلى حد بطل معه اعتباره واحداً منهم، بل صار لذلك نوعاً آخر أشرف من الإنسان .

ومعلوم أن وقوع تناهي بعض الأفراد في الفضائل حتى يفوق نوعه ويعبر

كأنه ليس منه، أمر غريب يفتقر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده في الجملة، حتى يتأتى إثبات وجوده في الممدوح، فأتى لذلك بقوله : «فإن المسك بعض دم الغزال» أي لا يعتبر من الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا يوجد شيء منها في الدم، فأبان بذلك أنَّ لما ادَّعاه اصلاً في الوجود على الجملة .

ومن أغراض التشبيه بيان حال المشبه ومن ذلك قول نابغة ذبيان للنعمان :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فقد شبهه بالشمس وشبه الملوك غيره بالكواكب لان سطوة ممدوحه تغض من شطوة كل ملك كما تخفي الشمس الكواكب، فهو يريد بذلك أن يبين حال ممدوحه وحال غيره من الملوك .

ومن أغراض التشبيه بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف والزيادة والنقصان ، ومثاله قول ابي تمام أو غيره :

مدادٌ مثلُ خافية الغراب وقرطاس كرقراق السحاب

ومنه قول الأخر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانَتْهُ فروجُ الأصابع

أي بلغت في خيبة سعيي في الوصول إليها وأن أُمَتَّعَ بها، أقصى الغايات ، ولم ابلغ منها ذلك ولم احظ منها بقليل أو كثير .

ومن أغراض التشبيه تقرير حال المشبه في نفس السامع، ومثلوا لذلك بقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على طائل : هو كمن يرقم على الماء . . . قالوا ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلةٌ ﴾ فإنه شبه ما لم تجربه به العادة بما جرت العادة .

وهذه الوجوه تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتمَّ وأشهر، ولذلك ضعفوا قول البحتري :

على باب قِنَّسْرين والليلُ لاطخ ... جوانبه من ظُلْمةٍ بِمدَادِ

لأن الليل أحق بشدة السواد وأحرى من المداد، فإنه رب مداد فاقد اللون، ولهذا قال ابن الرومي :

حبرُ أبي حفص لُعَابُ اللَّيْل ... يَسِيلُ لِلإخْوانِ أيَّ سَيْل

فقد بالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه نظر إلى قول العامة في الشئ الأسود : هو كالنَّقْسِ .

ومن أغراض التشبيه تزيين المشبه للترغيب فيه، ومنها تشويهه للتنفير فيه كما في تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها الدِّيكة .

وقد جمع الأمرين ابن الرومي بقوله :

تقولُ هذا مُجاجُ النحل تمدَحُه ... وإنْ تَعِبْ قُلْتَ ذَا قيء الزَّنَابيرِ

ومن أغراض التشبيه استطراف المشبه كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد، ببحر من المسك موجه الذهب، لإبرازه في صورة الممتنع عادة .

وللإستطراف وجه آخر، وهو أن يكون المشبه به نادر الوجود إما مطلقا، وإما عند حضور المشبه كما في قول ابن الرومي :

ولازوردية تزهو بزرقـتـهـا　　بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها　　أوائل النار في أطراف كبريت

فإن صورة النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج، فإذا أُحْضِرَ مع صحة الشبه، استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى نارهما .

يحكى أن جريراً ذكر أن عدي بن الرقاع أنشده قصيدته التي مطلعها :

عرف الديار توهما فاعتادها　　من بعد ما شمل البلى ابلادَها

قال جرير : فلما بلغ منها قوله : « تزجى أغنّ كأن ربرة روقه » — رحمته وقلت قد وقع، ما عساه يقول وهو اعرابي جِلْفٌ ؟ فلما قال : قلم أصاب من الدواة مدادها استحالت الرحمة مني له حسدا، لإتيانه في تشبيهه بأقرب صفة من أبعد موصوف .

نص :

(والشَّبَهُ الْمقْلُوبُ هُوَ أنْ يَجي　　مُشَبَّهً بِهِ بِدُونِ حَرَج)
(مَكَانَ مُشْبَهٍ وَذَا بِدَعْوَى　　كَينُونَةِ الوَجْهِ بِذَاكَ أقْوَى)

ش : يعني ان التشبيه المقلوب هو جعل المشبه باسم المفعول مشبَّها به بدَعوى أن وجه الشبه أقوى وأظهر في المشبه، منه في المشبه به ، ومنه قول محمد بن وهب الحميري يمدح المأمون :

وبدا الصباح كأن غرته　　وجه الخليفة حين يمتدح

فإنه قصد به أن وجه الخليفة أتم من الصباح والضياء :

نص :

(وباعـتـبـار الطرفين شَـبِّـه فَـرْداً بمُـفْـرَدٍ بـلا تـأوُّه)
(وشَـبِّـهَنْ بِمُـفْـرَدٍ مُـرَكَّـبَا والْعَكْسُ جَائزٌ لَدَى من صَوَّبَا)
(وقَـدْ يَجِي التَّشْبِيـهُ لِلْمُـرَكَّب بِمِـثْله، وذَاك قَطْعـاً مَـا أُبِي)
(وقَـدْ يَجِي التَّشْبِيـهُ ملفُوفاً وقدْ يَكُونُ مَـفْـرُوقـاً وذَاكَ مُـعْـتَـمَـدْ)
(إنْ يَتَـعَـدَّدْ أوَّلُ التَّـشْـبِيـه فَـسَـمِّـه تَسْـوِيَّةَ التَّـشْـبِيـه)
(وحَـيْـثُـمَـا تَعَـدَّدَ الأخِـيـرُ فـانْسُـبْـهُ لِلْجَـمْعِ حَبَـاك الْخَيـرُ)

ش : يعنى أن التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه أربعة أقسام :

الأول : تشبيه مفرد بمفرد، وهو ما طرفاه مفردان، إمَّا غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد ونحو ذلك ومثلوا له بقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿هُنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾، فإن قيل ما هو وجه الشبه في الآية ؟ فالجواب : ان الزمخشري جعله حسياً، فقال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشمل كل واحد منهما في عناقهما على صاحبه، شبه باللباس المشتمل عليه، قال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنَّتْ فكانت عليه لباسا

وقيل : شبه كل واحد منهما باللباس للأخر، لأنه يصونه من الوقوع في فضيحة الفاحشة، فكان كاللباس الساتر للعورة .

وإما أن يكون المفردان مقيدين كقولهم فيمن لا يحصل على شئ من سعيه : هو كالقابض على الماء، أو كالراقم على الماء، فإن المشبه هو الساعي مقيداً بكون سعيه لا يحصل منه شئ والمشبه القابض مقيداً بكونه قابضاً على

على الماء – أو هو الراقم مقيداً بكون رقمه على الماء لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة. فالقيد في هاتين الصورتين هو الجار والمجرور.

وإما أن يكون الطرفان مختلفين في القيد وعدمه، ومثلوا له بقول الراجز:

«والشَّمسُ كالمرآة في كف الأشَلْ»

فإن المشبه كالشمس على الإطلاق، والمشبه به المرآة لكن بقيد كونها في كف الأشل، وقد يقع العكس فتكون المرآة المشبه بكن بقيد كونها في كف الأشل، والمشبه به الشمس على الإطلاق.

والثاني: تشبيه مركب بمركب، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان، كما في قول البحتري:

ترى احجاله يصعدون فيه ... صعود البرق في الغيم الجَهَامِ

فإنه لا يريد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد بالبرق، بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة في مخالطة أحد اللونين بالآخر.

الثالث: تشبيه المفرد بالمركب كقول الشاعر:

كأن مُحْمَرَّ الشقيق ... إذا تصوَّبَ أو تصعَّدْ
اعلام ياقوت نُشِرْ ... نَ على رِمَاحِ مِنْ زَبَرْجَدْ

والرابع: تشبيه المركب بالمفرد، ومثاله قول أبي تمام:

ياصاحبّي تقصَّيا نظريكما ... تَريا وجوه الأرض كيف تصوَّرُ
تريا نهَاراً مُشْمِساً قد شابَهُ ... زهر الرُّبى فكأنَّما هو مُقْمِرُ

يعني أن النبات مع شدة خضرته ومع كثرته، قد صار لونه إلى الأسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

ثم أن التنبيه المتعدد الطرفين قد يكون ملفوفا وقد يكون مفروقاً.

فالملفوف منه ما أُتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما، وشاهده قول امرئ القيس :

كـأن قلوب الطيـر رطبـا ويابسـاً لدى وكرها، العنَّابُ والحشفُ البالي

وأما غير الملفوف فهو بخلاف ذلك ومن شواهده قول المرقِّش الأكبر :

النشـر مـسكٌ، والوجـوه دنا نيـرٌ، وأطراف الأكف عَـنَمْ

ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

بدت قـمـراً، ومـاست خـوطَ بان وفـاحتْ عنبـراً، ورنتْ غـزالا

وأما تشبيه التسوية، فهو الذي يتعدد طرفه الأول، أعني المشبه، دون الثاني ، ومن شواهده قول الشاعر :

صـدغ الحـبيب وحـالي كـلاهمـا كـا اليـالي

وثغـره في صـفـاء وأدمـعي كـاللآلي

واما تشبيه الجمع فهو ان تعدد طرفه الثاني، اعني المشبه به، دون الأول، ومن شواهده قول البحتري :

كـأنما يبـسم عن لؤلؤ منضـدٍ، أو بردٍ، أو أقـاحْ

وقول امرى القيس بن حجر :

كـأن المُدامَ وصَـوْبَ الغـمـام وريحَ الخُـزامى ونَشْـرَ القُطُرْ

يُعَلُّ به، بَرْدُ أنْيَـابِهَـا إذا طرَّبَ الطَّائر المسْـتَحِـرْ

وأما تقسيم التشبيه باعتبار وجهه، فهو تقسيم إلى تمثيل، ومجمل، ومفصل، ومؤكد، ومرسل، وقد تقدم تعريف كل ذلك فأغنى عن اعادته والله الموفق .

نص :

(وباعتبار الْغَرضِ الْقَبُولُ صِفَةُ بِهِ، إنْ كانَ ذَاكَ الْقَولُ)
(وَافٍ بِمَا أرِيدَ مِنْ إفادَةَ إلاَّ، فَمَرْدُودٌ، ولاَ زِيَّادَهْ)

ش : يعني أن التشبيه، باعتبار غرضه، ينقسم إلى مقبول ومردود، ولا ثالث لهما فالمقبول هو الوافي بإفادة الغرض ، فمثلاً : إذا كان الغرض بيان حالة المشبه أو بيان مقداره، فالتشبيه المقبول، أن يكون المشبه به اعرف شيء بوجه الشبه، وإذا كان الغرض بالتشبيه بيان إمكان الوجود، كان المقبول أن يكون المشبه به مُسَلَّمَ الحكم معروفه عند المخاطب في وجه الشبه .

والتشبيه المردود هو ما كان بخلاف ذلك أي هو القاصر عن إفادة الغرض.

القـول في الحقيقـة والمجـاز

نص :

(إعْـمَـالُكَ اللَّفْظَ لِمـا لَهُ وضِعْ حَـقـيـقَـةٌ في الإصْطَلاحِ المتَّـبَعْ)

(والْـوَضْعُ تَـعْـيِينٌ لِلَفْظٍ عَنَّا دَلَّ بِنَفْسِهِ لِذَاكَ المَعْنَى)

ش : يعني أن الحقيقة يطلقها أهل الفن على الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب ؛ فقولنا : «المستعملة» احتراز عما لم يستعمل، فإن الكلمة قبل الإستعمال لا تسمى حقيقة، وقولنا : «فيما وضعت له» احتراز عن شيئين :

أحدهما : ما استعمل في غير ما وضع له غلطا، كمثل ما إذا أردت أن تقول لصاحبك : خذ هذا الكتاب، فقلت غلطا ؛ خذا الفرس .

والثاني : ما استعمل فيما لم يكن موضوعا له أصلاً كلفظة «الأسد» إذا استعملت في الرجل الشجاع .

والوضع هو تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه، وقولنا «بنفسه» أحتراز من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة، فان ذلك التعيين لا يسمى مجازاً، ولكنه المجاز .

ودخل المشترك في هذا الحد، لأن عدم دلالته على أحد معنييه أو معانيه بلا قرينة لعارض الاشتراك، لا ينافي تعيينه للدلالة عليه بنفسه .

وذهب السكاكي إلى ان المشترك كالقرء ، معناه الحقيقي هو مالا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض، غير مجموع بينهما، قال : فهذا يدل عليه بنفسه

مادام منتسباً إلى الوضعين أمَّا إذا خصصته بواحد، اما صريحاً ، كأن تقول المقرء بمعنى الطهر، واما استلزاما كأن تقول : «القرء لا بمعنى الحيص» فإنه حينئذ ينتصب دليلاً دالاً على الطهر بالتعيين، كما كان الواضع عينه بإزائه بنفسه. أهـ. من الإيضاح .

والحقيقة في اللغة هى إمَّا فعيل بمعنى مفعول من قولك حققت الأمر أحُقُّه إذا اثبته بنفسك، أو هى فعيل بمعنى فاعل من قولك : حقَّ الشئ يحق إذا ثبت أي المثبتة أو الثابتة في موضعها الأصلي؛ والتاء فيها، قيل هى للتأنيث لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث. غير مجراه على الموصوف وهو الكلمة، وقيل هى لنقل اللفظ من الوصفية إلى الأسمية الصرفة، كما قيل أكيلة ونطيحة .

نص :

(أمَّا اسْتِعْمَالُهُ لِغَيْرِ مَاوضِعْ	لَهُ بِصارِفٍ عَنِ الَّذِي وُضِعْ)
(وُفْقَ اصْطِلاحٍ جَابِهِ التَّخاطُبُ	وللعلاقَةَ ظهورً يُطْلَبُ)
(فَهُوَ الْمجَازُ عِنْدَ أهْلِ الفَنِّ	من غيرِ مَا شَكٍّ ودُونَ ظَنٍّ)

ش : يعني أن المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، هذا تعريف المجاز اصطلاحاً، وأما المجاز لغة : فهو مفعل من جاز المكان يجوزه، إذا تعداه، نقل في الإصطلاح من المصدرية إلى الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها جائزة ومتعدية مكانها الأصلي فتكون بمعنى اسم الفاعل، أو اعتبار أنها تُجُوِّزَ بها وتُعُدِّيَ بها مكانها الأصلي ، فتكون بمعنى

اسم المفعول؛ وقيل هي من قولهم جعلت كذا مجازا إلى حاجتي أي طريقا لها، على ان معنى جاز المكان سلكه، فإن المجاز طريق إلى تصور معناه .

نص :

(وانسُبْهُمَا لِلُّغَوِي والشَّرْعِي	ثُمَّ لِعُرْفِيٍّ وذاكَ مَرْعِي)
(واعتبرنْهُ تَبَعاً لِلْواضِعِي	مِنْ لُغَةٍ، وعَادَةٍ، وشَارِعِ)
(فَاللُّغَوِي كأسدٍ في المُفْتَرِشْ	حَقِيقَةً، وفي الشُّجَاعِ المُحْتَرِسْ)
(بِعَكْسِهِ، والشَّرعِي في الصَّلاَةَ	لأنَّهَا لَدىَ الدُّعَاءِ يَأْتِى)
(إطْلاَقُهَا، ثُمَّتَ في العِبَادَهْ	شَرْعِيَّةُ الإطْلاَقِ والإفادَهْ)
(مِثَالُ عُرْفِيٍّ كَمَا في الفِعْلِ	لِلَّفْظِ والحَدَثْ جَا بِالفِعْلِ)
(ولِلْعُمُومِ والخُصُوصِ يُنْسَبَانْ	مِثْلَ ذَوَاتِ أَرْبَعٍ والإنْسَانْ)

ش : الضمير في انسبهما إلى الحقيقة والمجاز، يعني أن الحقيقة والمجاز كل منهما فيه ما هو عرفي وما هو لغوي وما هو شرعي ومنهما ما هو خاص وما هو عام، وان اعتبار ذلك ينظر فيه إلى الواضع، فان كان الواضع اللغة فالحقيقة لغوية، وإن كان الشرع فالحقيقة شرعية ، وإلا فعرفية ، وان تعين صاحبها نسبت عليه كأن تقول عرفية نحوية أو كلامية أو نحو ذلك، فمثال الحقيقة اللغوية « أسد » إذا استعمل بعرف اللغة في السبع بالخصوص ، ومثال الحقيقة الشرعية لفظ « الصلاة » إذا استعملت في عرف الشرع في العبادة المخصوصة، ومثال العرفية الخاصة لفظ « فعل » إذا استعمله المخاطب في عرف النحو في الكلمة المخصوصة، ومثال الحقيقة العرفية العامة لفظ « دابة » إذا استعمله المخاطب بالعرف العام في ذات الأربع .

ومثال المجاز اللغوي لفظ « أسد » إذا استعمله المخاطب في الرجل الشجاع بعرف اللغة ، ومثال المجاز الشرعي لفظ « الصلاة » إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء، مثال المجاز العرفي الخاص لفظ « فعل » إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في الحدث، ومثال العرفي العام لفظ « دابة » إذا استعمله المخاطب بالعرف العام في الإنسان .

نص :

(ثُمَّ الْمجَازُ منْهُ مَا قَدْ رُكِّبَا وَمِنْهُ مُفْرَدَاً عَلى مَا صُوِبَّا)

(مُفْرَدُهُ منْهُ المجَازُ الْمُرْسَلُ عَلاَقَةُ المُرْسَلِ فيما عَقَلُوا)

(غَيْرُ تَشَابُهِ لِمَا لَهُ وضعْ)

ش : يعنى أن المجاز ينقسم إلى مجاز مفرد وإلى مجاز مركب، وان المجاز المفرد ضربان : مرسل واستعارة، لأن العلاقة المصححة إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة فهو المجاز المرسل .

نص :

(ومَا بِه اسْتُعْمِلَ عِنْدَ مَنْ سَمِعْ)

تَسْمِيَّةُ الشَّئْ بُجزْئِه تَجِى لَهُ مِثَالاً لكِنْ دُونَ حَرَجْ)

(كَالْعَيْنِ لِلْمُخْبِرِ إذْ لَوْلاَهَا لَمَا رَأَى قَضِيَّةً رَوَاهَاَ)

ش : يعني أن من المجاز المرسل تسمية الشئ باسم جزئه أي اللفظ الموضوع لجزء الشئ عند اطلاقه على نفس ذلك الشئ، ومثلوا له بالعين وهى الجارحة المخصوصة في الربيئة المخبر الجاسوس، اطلق عليه العين من باب تسميته باسم جزئه، لأنه لولا عينه لما استطاع تأدية مهمه، ولهذه المزية جاز تسميته

بها لأنه ليس كل جزء من الشئ يصح اطلاقه على كله، وإنما يطلق اسم الجزء الذي له مزيد اختصاص بتحقق ما صار به ذلك الكل حاصلاً بوصفه الخاص، فإن المخبر إنما تحقق كونه شخصاً رقيباً بالعين إذ لولاها ما استطاع رقابة ، ولذلك قالوا : يجب قتل العين واتخاذ الحذر منه، ولا يصح بقتل اليد ولا بقتل الرجل مرادا بها الرقيب المخبر .

نص :

(تسْمِيَّةُ الشَّئْ بما للسَّبَب   ولِلْمُسَبِّبِ بِدُونِ نَصَب)

(وأنْ يُسَمَّى بِالَّذِي كان عَلَيْهِ   وما يئُولُ ذَلِك الشئْ إلَيْهْ)

(وأنْ يُسَمَّى بالذِّي قد حَلَّ بِهْ   وأنْ يراد الجزء بالكل انتبه)

(واسم مَحَلِّه وباسم آلتِهْ   من مرسل المجاز في بلاغته)

ش : يعني أن من علاقات المجاز المرسل اطلاق الكل وارادة البعض كقولهم قطع السارق ، وإنما قطعت يده ،

ومن علاقات المجاز المرسل تسمية الشيء باسم سببه. كقولهم : رعينا الغيث، وقول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم   رعيناه وان كانوا غضابا

ومنه تسمية المسبب باسم السبب، ومنه قول الراجز :

اقبل في المستَنِّ من ربابه   أسنمة الآبال في سحابه

وقول الشاعر :

أكلت دما إن لم أرعْك بضرة   بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

وقال ابن السبكي في هذا المثال الأخير أنه يظهر له أنه من اطلاق المسبب

وإرادة السبب نظراً إلى دية موروثه المقتول .

ومن علاقات المجاز المرسل تسميته الشئ باسم ما كان عليه ومثل له من يرى المجاز في كتاب الله بقوله تعالى في سورة النساء : ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ أي الذين كانوا يتامى .. ومنها تسمية الشئ بما يئول إليه، ومثل له من يرى المجاز في القرآن بقوله تعالى في سورة يوسف : ﴿إنى أراني اعصر خمرا﴾ .

ومنها تسمية الشئ باسم محله، ومثلوا له على فرض جواز المجاز في القرآن ، بقوله تعالى في سورة العلق : ﴿فليدع ناديه﴾ أي أهل ناديه .

ومنها عكسه أي تسمية الشئ باسم ما حل به ، ومثلوا له أيضاً على فرض جواز المجاز في القرآن بقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿أما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾ أي في الجنة .

ومنها : تسمة الشئ باسم آلته، ومثلوا له على فرض جواز المجاز في القرآن، بقوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ أي بلغة قومه – قالوا ومنه قوله تعالى في الشعراء : ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي ذكرا جميلاً وثناء حسنا .

الاستعـــارة

نص :

(ومِنْهُ مَـا يُسَـمَّى الإسْتِـعَـارَةْ إعْـمَـالُكَ اللَّفْظَ لَدَى الْعِـبَـارَةْ)
(فـيـمـا يُشَـبَّـهُ بِمَـعْنَاهُ اعْلَمَنْ عَـلاَقَـةُ الشِّـبْـهِ لَهُ حَـتْمٌ إذَنْ)
(وذَاكَ في تَمْـثِـيلِ كـالنِّسَـاءِ في الْحُـسْنِ بِالْغِـزْلاَنِ والظِّبَـاءِ)
(وهْيَ مَـجَـازٌ لَغَـوى لْلأكْـثَـر وقِـيلَ عـقلىٌّ، وذَا لِمَـا دري)
(مِن اسْـتِـقَـامَـةِ مَـقُـولٍ قَـدْ رَسَخْ من عـجَب شَـمْسُ تَظَلَّلُ إلَخْ)

ش : يعني أن المجاز منه ما يسمى استعارة وهى ما كان منه علاقته تشبيه معناه بما وضع له، معناه ان الاستعارة هى الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة بين ما استعملت فيه وبين المعنى الذي وضعت له كالأسد المستعمل في الرجل الشجاع فالعلاقة هنا هى الشجاعة .

والأصح أن الاستعارة من المجاز اللغوي الذي هو إستعمال اللفظ في غير ما وضع له، وقيل انها من المجاز العقلي بمعنى ان التصرف في أمر عقلي لا لغوي ، لأنها لما لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء أنه دخل في جنس المشبه به، كان استعمالاً لها فيما وضعت له ، قال الأخضري في الجوهر المكنون :

والاستـعـارة مـجـاز عَلْقَـتُـهْ تشـابُهٌ كـأسـدٍ شـجـاعـتُـهْ
وهى مـجـاز لغـة على الأصح ومـنـعـت في عـلـم لما اتّـضـح

قال : ولأجل أنها تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به، امتنع أن

تكون أي الاستعارة في العلم لأنه لا يمكن تقدير افراد العَلَم قسمين متعارف وغير متعارف لمنافاته للجنسية ، اللهم إلا إذا تضمن العَلَم نوع وصفية بواسطة اشتهاره بوصف من الأوصاف كحاتم مثلاً لتضمن هذا الأسم الا تصاف بالجود فيتأول فيه فيجعل كأنه موضوع للجواد .

قال في الإيضاح : والدليل على ان الاستعارة مجاز لغوي ، كونها موضوعة للمشبه به، لا للمشبه ولا لأعم منهما، كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص، لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقاً لأنه لو كان موضوعاً للرجل الشجاع لكان استعماله في الرجل الشجاع من قبل التحقيق لا من جهة التشبيه، وأيضاً لو كان موضوعاً للشجاع مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس .

قال : وقيل هى مجاز عقلي بمعن أن التصرف فيها في أمر عقلي لا لغوي لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به، لأن نقل الاسم وحده لو كان إستعارة لكانت الاعلام المنقولة كزيد، ويشكر، استعارة . إلى أن قال : وإذا كان نقل الاسم تبعا لنقل المعنى كان الاسم مستعملاً فيما وضع له، ولهذا صحَّ التعجب في قول ابن العميد :

قـــامت تظلّلُني من الشـــمس ... نفسٌ أعــزُّ عليَّ من نفـــسي

قـــامت تظلّلُني ومن عـــجب ... شـــمسٌ تظلّلُني من الشـــمس

ولما صح النهى عن التعجب في قول محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي في قوله :

لا تعـجـبـوا من بلى غـلالتـه ... قـــد زرَّ ازراره على القـــمـــر

والجواب عن ذلك ان ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به ، لا يخرج

اللفظ عن كونه مستعملا في غير ما وضع له .

وأما التعجب والنهى فيما ذكر، فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة .

نص :

(والاستعارة تفارق الكذبْ بِذِي الْقَرِينَةِ على الَّذي انْتُخِبْ)

(وأنَّهَا تبْنَى عَلى التَّأويلِ لِصَرْفِهَا عن ظَاهِرِ المَقُولِ)

(ولا تكونُ عَلَماً لما حَوَتْ إلا إذا الصيغة قد تَضَمَّنَتْ)

ش : يعنى أنه من تعريف الاستعارة بأنها مجاز لغوي ، يعلم أنها تفارق الكذب من وجهين : أولاً : بناء الدعوى فيها على التأويل، ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها، فإن الكاذب يتبرأ من التأويل، ولا ينصب دليلاً على خلاف زعمه .

وثانياً : أنها لا تدخل في الأعلام لما سبق من أنها تعتمد ادخال المشبه في جنس المشبه به والعلمية تنافي الجنسية، اللهم إلا إذا تضمن العلم نوع وصفية لسبب خارج، كتضمن اسم حاتم الجواد، ولتضمن اسم مادر البخيل، وما جرى مجراهما، كما تقدمت الإشارة إليه.

نص :

(وَقَدْ تُقَيَّدُ لَدَى تَحْقِيقِ مَعْنَاها بِالنِّسْبَةِ للتَّحْقِيقِ)

(وهى الَّتِي تَنَاوَلَتْ أمْرَاً عُلِمْ يُمْكِنُنَا النَّصُّ عَلَيْهِ إذْ فُهِمْ)

(عَقْلاً وحِسّاً مِثْلَمَا كَأسَدِ مُقَذَّفٍ شَاكِي السَّلاحِ مُرْعِدِ)

(وَقَوْلُهُ أبْدَيْتَ نُوراً يَعْنِي ابْدَيْتَ حُجَّةً على ما تَعْنِى)

(لَهَـا قــرِينَةٌ تَجِي بِمُــفْــرَدِ وَمُـــتَـــعَـــدِّدٍ بِدُونِ فَنَدِ)
(مِـــثَــالُهُ لِرَاجِــز بَيَـــانَا فــإنَّ في أيْمَـــانِنَا نِيــرَانَا)

ش : يعني أن الاستعارة قد تقيد بالتحقيقية ، لتحقيق معناها حساً أو عقلاً، أي ان الاستعارة التحقيقة هى التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال إنَّ اللفظ نقل من مسمَّاه الأصليّ، فجعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه . أمَّا الحسيُّ فكقولك: «رأيت أسداً يرمي» وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

لدى أسد شاكي السلاح مقذَّفٍ له لبد اظفاره لن تقلم

وقبل هذا البيت :

لعمري لنعم الحي جرَّ عليهمُ بما لا يواتيهم حصين بن ضَمْضَمِ
وكان طوى كشحاً على مُسْتكنَّةٍ فلا هو أبداها ولم يتقدَّمِ
وقال سأقضي مأربي ثم أتقي عدوِّي بألف من ورائي مُلَجِمِ
فشد ولم ينظر بيوتا كثيرة لدى حيث القَتْ أم قَشْعمِ
لدى أسد شاكي .....

وبعده جاء في نفس القصيدة الشهيرة :

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعشْ ثمانين عاما لا أبا لك يَسْأمِ
رأيت المنايا خبط عشواءَ من تُصبْ تُمِتْهُ ومَن تُخْطئ يعمرٌ فيهْرَمِ
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ

وقوله شاكي السلاح وشاكه وشائكه يعني حديد السلاح، والمقذف :

الذي يقذف به كثيراً في وقائع الحروب ، ومحل الشاهد في البيت أن الأسد هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق فيه حسا، فهو استعارة تحقيقية .

قال في الريضاح : ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه في الحركات، كقول أبي دلامة يصف بغلته :

أرى الشَّهْبَاءَ تَعْجِنُ إذْ غَدَوْنَا بِرِجْلَيْهَا ، وتَخْبِزُ باليدْين

فقد شبه حركة رجليها حيث لم يتثبتا على موضع تعتمد بهما عليه، وتحركتا ذاهبتين نحو يديها، تماماً كتحرك يدَى العاجن، فإنهما لا تثبتان في موضع، بل تزلان إلى قدَّام لرخاوة العجين، وشبه حركة يديها بحركة يدي الخباز، فإنه يثنى يده نحو بطنه، إلى غير ذلك .

وأما تحقيق معناها العقلي، فإن مثال ذلك قولك «ابديت نوراً» وأنت تريد به ابديت حجة، فان الحجة مما يدرك بالعقل من غير واسطة حس، لأن المفهوم من الألفاظ هو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق، لا الألفاظ أنفُسها

وقوله : لها قرينة الخ . معناه أن قرينة الاستعارة إمَّا معنى واحد كقولك رأيت أسدا يرمى، وقد تجئ بمعان متعددة كقول بعضهم :

فإنْ تعافوا العدل والإحسانا فإن في أيماننا نيرانا

يعني : بأيدينا سيوف كأنها شعل نيران، فقوله : «تعافوا» باعتبار تعلق كل واحد منهم بالعدل، وتعلقه بالإيمان، قرينة لذلك، لدلالته على ان جوابه انهم يحاربون ويُقسرون على الطاعة بالسيف .

نص :

(وبِمُركَّبٍ كَقَوْلِ البُحْتُري «خَمْسُ سَحَائِبَ» أصَّابِعَ السَّرِى)

ش : يعني أن قَرينة الاستعارة قد تجئ بمركب من معان مربوط بعضها ببعض .

وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرْؤس الأقران خمس سحائب

عني بخمس سحائب، أنامل ممدوحه، وذكر أن هناك صاعقة ثم قال من نصله، فبين أن الصاعقة من نصل سيفه، ثم قال على أرؤس الأقران، ثم قال خمس سحائب فذكر عدد أصابع اليد، فبان بذلك غرضه .

نص :

(وقَسَّمَنَّهَا إلى قَسْمَيْن للطّرفَيْنِ باعْتِبَارِ ذَيْن)

(إنْ أمْكَنَ اجْتِمَاعُ ذَيْنِ تأدِّيةْ فَهْيَ الّتي يَدْعُونَها وقَافيَّهْ)

(وحَيْثُ الامْتِنَاعُ فالعناديِّةْ مِنْهَا التَّهَكُّمُ كَذا التَّلْمِيحيةْ)

ش : يعني أن الاستعارة تنقسم باعتبار طرفيها إلى قسمين، لإن اجتماعهما في شئ إمَّا ممكن وإما ممتنع، فالتي يمكن اجتماع طرفيها تسمى الوفاقية، وأما التي يمتنع اجتماع طرفيها فهى العنادية؛ مثال الاستعارة الوفاقية على سبيل فرض جواز المجاز في القرآن قوله تعالى في سورة الانعام : ﴿أومن كان ميْتاً فأحييناه﴾ فإن المراد بقوله : ﴿أحييناه﴾ هديناه، أي أومن كان ضالاً فهديناه، والهداية والحياة لا شك في جواز اجتماعهما في شئ واحد .

وأما العنادية، فمنها ما استعمل في ضد معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب، بواسطة تهكم أو تلميح، ومن يجوز وجود المجاز

في القرآن الكريم يمثل له بقوله تعالى في سورة آل عمران، والتوبة ، والانشقاق : ﴿ فبشِّرْهم بعذاب أليم ﴾ . ويعتبرون من العنادية ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة، وان كان متصفاً بها، لخلوها مِمَّا هو ثمرتها والمقصود منها كاستعارة اسم المعدوم للموجود ، إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله، فيكون شريكا للمعدوم في ذلك، وبالعكس من إطلاق اسم الموجود على المعدوم إذا كانت الآثار من مثله موجودة حالة عدمه .

نص :

(وقَدْ تَجِي اسْتِعَارةً مبتذلَةْ | لدى ظُهُور الجَامِعِ الَّذْ جَاءَ لَهْ)

(وقَدْ تَجِي غريبةً لاَ يَظْفَرُ | بِهَا سِوىَ مَنْ عَقْلُهُ مُنَوَّرُ)

ش : يعني ان الاستعارة في تقسيمها باعتبار الجامع تنقسم إلى عامية وخاصية فالعامية هى المبتذلة التي يظهر الجامع فيها لكل سامع كقولك : رأيت أسدا يرمي، ووردت بحرا ، وأما الخاصية فهى الغريبة التي لا يظهر الجاكع فيها إلا من كانت له فطنة يرتفع بها عن طبقة العامة. ومثال ذلك قول طفيل الغنوي :

وجعلت كوري فوق ناجية | يقتات شحم سنامها الرحل

فموضع اللطف والغرابة في هذا أنه استعار الاقتيات لإذهاب الرحل شحم السنام، مع أن الشحم هو مما يُقْتات. - ثم أن الغرابة قد تكون في الشبه نفسه كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من قربوس السرح، بهيئة الثوب في وقوعه بركبة المحتبي قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، يصف فرسه بأنه مؤدب ، قال :

إذا احـــتـــبي قـــربوســـه بعنانه علك الشّكيم إلى انصـــراف الزائر

نص :

(ونظراً لجَـــآمعِ والطَّرفَـــيْنْ فَـسِـتَّـةٌ أقْـسَـامُـهَـا بدُون مَـيْنْ)

(حِسٌ بحِـــسي ووجـــه حِـــسيٍّ أوْ هو عَـــقْلِيٍّ بِدُون حَـــدْسَ)

(أو بَعْـضُـهُ الحسيٍّ وبعضُ عَـقْلي أو انْتـــســـابُ كلها لِلْعَــقْلي)

(أوْ هُوَ حـــسيٌّ لمعـــقُـــولِ أمِي أوْ عَكْسُـهُ والْوَجْـهُ عَـقْلِيٌّ نُمِي)

ش : يعني ان الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام، وهي :

إما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة طه : ﴿ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ﴾ فان المستعار منه ولد البقرة، والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حُليِّ القبطَ التي سبكها السامري، عندما القى السامري فيها قبضة التراب التي قبضها من موضع أثر فرس الرسول جبريل عليه السلام، والجامع لهما الشكل، والجميع حسًّي .

وأما استعارة محسوس لمحسوس والوجه عقلي ، فقد مثلوا لها بقوله تعالى في سورة يس : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ الآية ، فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته من الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقي ظله، وهما حسيان، والجامع لهما عقلي، وهو بترتب أمر على آخر .

وإمَّا استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي، فقد مثلوا لها بقولك : رأيت شمسا وأنت تريد انسانا شبيها بالشمس في حسن طلعته

وارتفاع شأنه، قال في الريضاح ، وقد أهمل السكاكي هذا القسم .

وإِمَّا استعارة معقول لمعقول بجامع عقلي، فقد مثلوا له بقوله تعالى في سورة يس : ﴿مَن بعثنا من مَّرقدنا﴾ فان المستعار منه الرقاد والمستعار له الموت، والجامع لهما عدم الظهور، والجميع عقلي .

وإِمَّا استعارة محسوس لمعقول والجامع عقلي، فقد مثلوا لها بقوله تعالى في سورة الحجر : ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فان المستعار منه صدع الزجاجة أي كسرها، وهو حسي، والمستعار له تبليغ الرسالة، لأن المعنى قيل هو : أبنِ الأمر ابانة لا تنمحي كما لا تلتئم الزجاجة إِذا كسرت والجامع التأثير، والمستعار له والجامع عقليان .

وإِمَّا استعارة معقول لمحسوس، فقد مثلوا لها بقوله تعالى في سورة الحاقة : ﴿انا لما طغى الماء﴾ فإِن المستعار له كثرة الماء وهو حسي، والمستعار منه التكبر وهو عقلي، والجامع الاستعلاء المفرط، وهما عقليان، فكانت استعارة معقول لمحسوس بجامع عقلي .

نص :

(ثُمَّ إلى قِسْمَيْنِ باعْتِبَارِ لَفْظِ الَّذي بِهِ الخِطَابُ جَاري)

(إن أدِّيتْ بِلَفْظَةِ اسْمِ جِنْسِ تُنْسَبُ لِلأَصْلِ بِدُونِ حَدْسْ)

(كَأَسَدٍ في الرَّجُلِ الشُّجَاعِ دُونَ تَعَسُّفٍ ولاَ امْتِنَاعِ)

(وَإنْ تُؤَدَّى بِكَفِعْلٍ وصِفَهْ والحرف والْمُشْتَقِّ من تِلْكَ الصِّفَةْ)

(فَقُل لَّهَا اسْتِعَارةٌ بِالتَّبعِ مَعروفَةٌ في الفَنِّ دُونَ وَرَعِ)

ش : يعني ان الاستعارة باعتبار اللفظ الذي تجري تأديتها به تنقسم إِلى

قسمين اثنين : لأنّ اللفظ الذي اديت به إن كان اسم جنس كأسد ، وقَتْلٍ، فهى استعارة أصلية، وإن كانت بمشتق كفعل وصفه وحرف ونحو ذلك فهى استعارة تبعية، فإن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كونا موصوفا، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق، كقولك جسم أبيض، وبياض صاف؛ وذلك يصح في معاني الأفعال والصفات المشتقات منها والحروف، لأن التشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها ما هو لمعاني مصادرها، وفي الحروف، هو لمتعلقات معانيها كالمجرور في قولنا : زيد في نعمة ورفاهية فيعتبر التشبيه في قولنا : «نطقت الحال بكذا» للدلالة على معنى النطق .

وهذا ما جعل أهل الفن يسمون الاستعارة المؤداة بفعل ومشتق وحرف، تبعية، لأن التشبيه فيها إنما هو لمعاني مصادر الأفعال والمشتقات، وفي الحروف هو لمتعلقات معانيها .

تنبيه : مدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها، على الفَاعل كقولك : نطقت الحال بكذا، أو على المفعول كقول ابن المعتز :

جُمعَ الحق لنا في إمامٍ ... قتل البخل وأحيا السماحا

والشاهد فيه مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول، فإن القتل والإحياء الحقيقين لا يتعلقان بالبخل والجود .

ومن شواهده قول القطامي يمدح زفر بن الحارث الكلابي :

نقريهُمُ لهذميات نقدُّ بها ... ما كان خاط عليهم كل زرَّاد

واللهذم : القاطع من الأسنة، وأراد باللهذميات الطعنات بها، أو أراد نفس الأسنة . والقد : القطع . والزرَّاد : صانع الزرد، والشاهد فيه ان مدار

الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه على الفاعل، أو على المفعول كما هو هنا، فان «لهذميات» هو المفعول الثاني، وبهذا اللفظ كانت قرينة الاستعارة في «نقريهم» .

نص :

(وباعْتِبَارِ الْخَارِجِ اقْسِمَنْهَا إلى ثَلاَثَةٍ وَمَثِّلَنْهَا)
(فيمَا يُقَالُ لِسُمَاها مُطْلَقَهْ وَانْفِ اقْتِرانَ صِفَةٍ بِالْمطْلَقَهْ)
(كَذَلِكَ التَّفْرِيعُ والْمُرَادُ مِنْهَا الَّتي بِالْمَعْنَى تُسْتَفَادُ)

ش : يعني ان الاستعارة تنقسم باعتبار الخارج إلى ثلاثة أقسام : هى :

الاستعارة المطلقة :

وهى التي لم تقترن بصفة ولا تفريع، والمراد بالصفة المعنوية لا النعت النحوي الذي هو أحد التوابع، ومثالها قولك : عندي أسدٌ .

والاستعارة المجردة :

وهى التي قرنت بما يلائم المستعار له، وقد عرفها الناظم بقوله : نص :

(مِنْهَال التّي يَدْعُونَهَا المجرَّدَةْ لابُدَّ ان يُلاَزِمَ الْمُجَرَّدَةْ)
(مُلاَئِمً لِمَا لَهُ اسْتُعِيرا كُنْ لِي إلهِي أبَداً نَصِيرا)

ومن شواهدها قول كثير بن عبد الرحمن :

غمِر الرِّداء إذا تبسم ضاحكا غَلِقَتْ لضحكته رقاب المال

فإنه استعار فيه الرداء للمعروف لانه يصون عِرض صاحبه كصيانة الرداء ما يلقى عليه، ثم وصفه بالغمر الذي لا يلائم الرداء بل يلائم العطاء تجريد الاستعارة وقرينتها سياق الكلام في قوله «إذا تبسم ضاحكا» الخ ، لان مراده

به أن ممدوحه إذا تبسم غلقت زقاب أمواله في أيدي السائلين .

ومن استعارة الرداء قول الآخر، لكنه من شواهد المرشحة :

ينازعني ردائي عبدُ عمرو ... رويدك ياأخا عمرو بن بكر

ليَ الشطرُ الذي ملكت يَميني ... فدونَك فاعتجرْ منهُ بشَطْرِ

فانه استعار الرداء للسيف، وأثبت له الاعتجار به وهو يلائم الرداء فكان ترشيحا .

قال في الإيضاح : ومن المجردة قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ حيث قال ﴿ أذاقها ﴾ ولم يقل كساها، لان المراد بالإذاقة، إصابتهم بما استعير له اللباس، فكأنه قال : فأصابها الله بلباس الجوع والخوف، قال الزمخشري : الأذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها، فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر فشبهوا ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من طعم المر البشع .

فإن قيل : الترشيح ابلغ من التجريد، فهلاَّ قيل : فكساها الله لباس الجوع والخوف؟ قلنا : لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس، فكان في الإذاقة اشعار بشدة الإصابة، بخلاف الكسوة .

فإن قيل : لمَ لمْ يقل : فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم الملابس . أهـ. منه بتصرف قليل .

نص :

(ثُمَّ المرشَّحَةُ وَهْيَ مَا قُرِنَ ... بِمَا الَّذي مِنْهُ اسْتعِير مُقْتَرِنْ)

(كَــقــولـه بِعَــدَمِ الرِّبْحِ لِمَنْ شَــرَى هُدَاهُ بالضَّــلاَلَة اعْلَمَنْ)
(وهِـيَ أبْلَـغُ مِـنَ المجَـــــرَّدَةْ سَـبَبُ ذَاكَ هُو مَـا قَـدْ قَـيَـدَهْ)
(أهْلُ البَـلاَغَـةِ من اشْـتِـمَـال تِلْكَ عَلَى نِسْـيَـان شِـبْـهِ عَـالِي)

ش : يعني ان الاستعارة الثالثة باعتبار الخارج هي **الاستعارة المرشحة** ، وهى التي قرنت بما يلائم المستعار منه، وقد تقدم مثال ذلك في قول الشاعر :

ينازعني ردائي عـبـد عـمـرو ...... البـيـتين

قالوا : ومن الاستعارة المرشحة قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾ فإنه جل وعلآ استعار الاشتراء للأختيار، واتبعه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء، فلاءم المستعار منه .

وقد تكون الاستعارة مجردة مرشحة في آن واحد، إذا قرنت بما يلائم كليهما ، مثال ذلك : قول زهير بن أبي سلمى :

لدى أسد شاكي السلاح مقذَّف له لبـد أظفـاره لم تقلم

وقد قرر أهل الفن أن الترشيح أبلغ من التجريد لإشتماله على تحقيق المبالغة ،لهذا كان مبناه على تناسي التشبيه ، حتى انه ليضع الكلام في علو المنزلة وضعه في عُلُوِّ المكان، كما قال أبو تمام :

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجةً في السما

فلولا قصد تناسي التشبيه وانه جعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه . وقال ابن الرومي :

ياآلَ نُوبَخْتَ لا عَدِمْتُكمْ ولا تبـدَّلْتُ بعْدكم بَدَلاَ

إنْ صحَّ علْمُ النُّجومِ كان لكمْ ... حقّاً إذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بأنْ ... قاسى، ولكن بأن رَقى فعَلاَ
أعلاكمُ في السماء مجْدُكُمْ ... فلستم تجهلون ما جهلاَ
شافهتُمُ البدرَ بالسؤال عن الـ ... أمْر إلى أن بلغْتُمْ زُحَلاَ

فصل في المجاز المركب

نص :

(مُركَّبُ الْمَجَازِ ما اسْتُعْمِلَ في ... شَبَه مَعْنَاهُ الأصيل فاعْرف)
(بِرَبْطِ صورتينَ في التَّشْبيه ... مُشَبِّهاً مُبَالغاً في ذيه)
(وَذَا عَلَيْه أطْلَقُوا مثالاَ ... وَالعُرْبُ لا تُغَيِّرُ الأمْثَالاَ)
(لذا، تَقُولُ : الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللبَنْ ... بِكَسْر تَاءٍ والْخطابُ لِفَتىً)
(لأنَّهُ كَانَ الْخِطَابُ الأوَّلُ ... بِهِ لأنْثَى ضَيَّعَتْ ما تَأمُلُ)

ش : يعني ان المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل، أي : تشبيه احدى صورتين منتزعتين من أمرين أو من أمور، بصورة أخرى ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر، لذلك، بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه، ومثل له في الإيضاح بخطاب الوليد بن يزيد إلى ابن عمه مروان بن محمد، وقد بلغه أنه متوقف في

البيعة له : «أما بعد، فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على زيهما شئت والسلام» . فقد شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا ، وتارة لا يريد ذلك فيؤخر أخرى .

ومنه قولك لمن يعمل عملا لا طائل من ورائه : أراك تنفخ في غير فحم ، وتخطُّ على الماء وأنت تريد، إنك في فعلك هذا كمن يفعل ذلك ، وكما تقول فيمن يُعْمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه، تقول : مازال يفتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد . والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حالهُ فيه حالَ من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه، ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس، وهو نظير قولهم : فلانٌ يُقَرِّدُ فلانا : أي يتلطف به، فعل من ينزع القراد من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ، ويثبت في مكانه ، حتى يتمكن منه .

فكل هذا وما في معناه يسمى الاستعارة التمثيلية، والتمثيل على سبيل الاستعارة ، وقد تطلق عليه التمثيل مطلقا، ومتى فشا استعماله يسمونه مثلاً ، ولذلك لا يغير لفظه لأنه من المأثور قولهم : الأمثال لا تغير ، فإنك إنْ تنبه من كان بإمكانه الحصول على شئ وفرط فيه حتى فات الأوان، بقولك له : الصيفَ ضيَّعتِ اللَّبن، كنت مصيباً في قولك فصيحاً في استعارتك التمثيلية، لأن هذا الخطاب أول ما خوطب به فتاة كانت ترد أنعام ابن عم لها ويُعمِّد الرعاة بتحَكيمها في ألبان أنعامه تفعل بها ما شاءت، فاتفق أن هذا الرجل خطب هذه الفتات في موسم الصيف فامتنعت من اجابته إلى رغبته لحاجة في

نفسها، ولما كان موسم الخريف وكثرة الألبان جاءت المرأة كعادتها وما وجدت من الاستقبال ما كانت تعهده، ولما نبهت ابن عمها إلى أن الرعاة تغير شعورهم نحوها، ردها عليها بقوله : الصيفَ ضيَّعْتِ اللَّبنَ، فصار مثلاً لكل من وقع في مثله، وبنفس اللفظ الذي خوطبت به الفتات لأن الأمثال لا تغير .

فصل في
الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية

نص :

(قدْ يُضْمَرُ التَّشْبِيهُ في النَّفْسِ فَلاَ	يَكونُ مِنْ أركــانِه شَيْءٌ جَـلاَ)
(سِـوَى المُشَـبَّـهِ ومَعْ تَثْـبِـيت	أمْـــر يَخُصُّ دُونَمَـا تَـبْكِيت)
(مُـشَـبَّـهـاً بِهِ، ولا يكُونُ	هُنَاك أمْـرٌ ثابتً مَـضْـمُونُ)
حِـسّـاً وعَــقْـلاً أنَّهُ المرادُ	بذالك الأمـر، فَـقَـدْ أفَـادُوا)
(بأنَّهُ اسْـتِـعَـارَةُ الكِنَايَةْ	أوْ عَنْهَـا مَكْنِيٌ، لَهَـا عِنَايَهْ)

ش : يعني ان الاستعارة بالكناية هى ان يضمر التشبيه في النفس ، ولا يصرح بشئ من إركانه سوى لفظ المشبه، ويُدَلُّ على التشبيه المضمر في النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر ؛ وهذه الاستعارة تسمى أيضاً مكنياً عنها، واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية على ما سيتبين لك إذا ورد تعريف هذه، مثال الاستعارة بالكناية قول

لبيد بن ربيعة رضي الله عنه في معلقته :

وغِداةِ ريح قد كشفت وقرَّة إذا أصبحت بيد الشمال زمامُها

فإنه قد جعل للشمال يداً ، ومعلوم انه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً تجري عليه اليد كإجراء الأسد على الرجل الشجاع، والصراط على ملة الإسلام، ولكنه لما شبه الشمال بالإنسان المصرف لما زمامه بيده، وذلك لتصريفها القرَّة على حكم طبيعتها في التصريف أثبت لها يدا على سبيل التخييل، مبالغة في تشبيهها به، وحكم الزمام في استعارته للقرة، هو نفس حكم اليد المستعارة للشمال ، فجعل للقرة زماما ليكون أثبت وأتمَّ في اثباتها مُشَرَّفَةً، كما أثبت للشمال يداً ليكون ابلغ في تصييرها متصرِّفة، وقد أوفى المبالغة حقها من الطرفين .

ثم إن المختص بالمشبه به المثبت للمشبه في الاستعارة المكنية ، منه مالا يكمل وجه الشبه في المشبه به بدونه كما في بيت أبي ذؤيب الهذلي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلَّ تميمة لا تنفعُ

فإنه هنا شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة، من غير تفرقة بين نافع وضار، فأثبت للمنية الأظفار التي لا يكمل ذلك في السبع بدونها تحقيقا للمبالغة في التشبيه .

وهذا البيت قاله أبو ذؤيب الهذلي ضمن قصيدته التي مطلعها :

أمِنَ المنونِ وريبها تتوجع والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يجزعُ

قالت أمامة مالجسمك شاحبا منذ ابتذلْت ومثل مالك ينفعُ

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا إلاَّ أقضَّ عليك ذاك المضْجَعُ

فـأجبـتـهـا أمَّـا لجـسـميَ إنَّه أوْدى بنيَّ من البـلاد فـودَّعـوا
أودى بنيَّ فـأعْـقـبوني حـسـرةً عند الرُّقـاد وعـبـرةً لا تُقْلِعُ
فـالعين بعـدهم كـأن حـداقَـهـا كُـحِلَتْ بشـوك فـهْي عـورٌ تَدْمَعُ
سـبـقـوا هَوَىً واعنقُـوا لهـواهم فـتُـخـرِّمْـوا ولـكل جنْب مـصـرعُ
ولقـد حـرصت بأن ادافع عنْهمُ فـإذا المنيـة اقـبلت لا تدفعُ
وإذا المنيـة أنشـبت أظفـارها ألفـيت كل تميـمـة لا تنفعُ
وتجلدي للشـامـتين أريهمُ أنيّ لريب الدهر لا أتضـعـضعُ
حـتى كـأني للحـوادث مـروةً بصـفـا المشـرَّق كل يوم تُقْـرَعُ
والدهر لا يبـقى على حـد ثانه جَـوْنُ السـراة له جدائد اربعٌ . أهـ.

والشاهد في البيت أن فيه الاستعارة المكنية ، حيث شبه المنية بالسبع في اغتياله النفوس قهراً غلبة من غير تمييز لنفاع ولا ضرار، وفيه أيضاً الاستعارة التخييلية في إثبات الاظفار للمنية التي لا يغتال السبع بدرنها تحقيقاً للمبالغة

استطراد : ورد في الأخبار ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما استأذن على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ليعوده في مرض موته ، فادَّهن واكتحل وأمر أن يُقْعَد وأن يُسْنَدَ، وقال : ائذنوا له، وليسلم قائما ولينصرف، فلما سلم عليه وولى، أنشد معاوية رضي الله عنه بيت الهذلي « وتجلدي الشاقية . . . » فأجابه ابن عباس رضي الله عنهما على الفور بقول الهذلي : « وإذا المنية . . . . البيت » وما خرج من عنده حتى سمع الناعية .

وقد يكون الأمر في الاستعارة المكنية المختص بالمشبه به المثبت للمشبه،

قد يكون قوام وجه الشبه في المشبه به، كاللسان في قول الشاعر :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشكاية أنطقُ

فإنه شبه الحال الدالة على المقصود، بالإنسان المتكلم، في الدلالة، فأثبت لها اللسان الذي به قوام الدلالة في الإنسان .

نص :

(وَسَمٍّ تَخْييلاً بالاسْتِعَارَةْ إثباتُهُمْ لهذه الْعِبَارةْ)

(تَلْقَى على مُشَبَّهٍ اسْتارَها مِثَالُهُ في أنْشَبَتْ اظفارَهَا)

وقد تقدم توضيح المراد من البيتين من تعريف الاستعارة التخييلية في بيت أبي ذؤيب الهذلي الذي كان شاهدا على التخييلية والمكنية معاً ، والله الموفق .

فصلٌ في شروط حسن الاستعارة

نص :

(فَصْلٌ إذَا عَرَفْتَ الإِسْتِعَارَةْ ... ومالها يلزمُ في الْعِبَارَةْ)

(اعْلَمْ لَهَا محسناتٍ تُلْفَى ... بِدُونِهَا حُسْنُ الكَلاَمِ يَخْفَى)

(وربَّمَا قَدْ قَبُحَ الْكَلاَمُ ... لِفَقْدِهَا واتَّجَهَ المَلاَمُ)

(وَهِيَ في التمثيل والتحقيق ... رعايةُ السَّابِق بالتَّحقِيق)

(حرصاً على جِهَةِ حسن الشبه ... مَعْنىً، وفي اللفظ فَدع للشبه)

ش : يعني أنه لما عرفت معنى الاستعارة التحقيقية ، والاستعارة التخييلية والاستعارة بالكناية، فإنه ينبغى لك أن تعرف ان لحسن الاستعارة شروطا لا يتم حسنها بدونها، بل إن عريت من هذه الشروط عريت عن الحسن وربما اكتسبت قبحاً .

فهذه الشروط في التحقيقية والتمثيلية هي رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه معنى، وأن لا تشم ريح التشبيه من جهة اللفظ، فإن حسن التحقيقية والتمثيلية هو بأن يكون وجه الشبه شاملاً للطرفين، والتشبيه وافيا برفادة الغرض، وأن لا تشم رائحة للتشبيه من جهة اللفظ لأنه يبطل الغرض من الاستعارة الذي هو ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لما في التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوى من المشبه، ولابد أن يكون الشبه جلياً لئلا تصير الاستعارة ألغازا وتعمية، كأن يقال رأيت أسدا يراد به إنسان ابخر، فإن تشبيه الإنسان بالأسد بعلاقة البخر غير معهود فهى إذاً علاقة خفية

فيتعين التشبيه حينئذ ولا تحسن الاستعارة ، وإلى هذا أشار النظم بقوله :

نص :

(وأنْ يكون الشَّبْهُ بَيْنَ الطَّرَفينْ | مِنَ الْجَلاَء أنْ يُرى بِكُلِّ عَيْنْ)
(إن لاَّ يَكُنْ كانَ الْكَلاَمُ تَعْمِيَّهْ | أوْ شِبْهَ أَلْغَازٍ تَجى للتَّعْمِيَّهْ)
(كأنْ تُشَبِّهْ رَجُلاً بأسَدً | بجَامِعِ الْبَخَرِ لا التَّجلُّدَ)
(إنْ قَويَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيَنْ | وَصَارَ فرْعً مِثْلَ أصْلٍ دُونَ مَيْنْ)
(يُسْتَقْبَحُ التَّشْبِيهُ، والعِبَارَةْ | تعَيَّنَتْ إذاً بالإسْتِعَارَةْ)
(مِثَالُهُ تَشْبِيهَكَ الْعُلُومَ في | سُطُوعِهَا بالنُّورِ وصْفاً فاعْرفِ)
(والشُّبُهَاتُ مَصْدَرُ الْمَهَالِكْ | هِيَ الظَّلاَمُ والسَّواد الْحَالِكْ)

ش : قوله : ان قوى الشبه الخ . يعني مما يتصل بما تقدم انه إذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه أصل، لم يحسن التشبيه، وتتعين الاستعارة، وذلك كالنور إذا شبه العلم به والظلمة إذا شبهت الشبه بها، فإن المستحسن هنا أن يقول الرجل الذي أفْهِمَ مسألة علمية : ألقيت في قلبي نوراً ، ومن القبيح أن يقول كأن نوراً حصل في قلبي، ومن المستحسن أن يقول لمن أوقعه في شبهه : أوقعتني في ظلمة ولا يقول : كأنك أوقعتني في ظلمة .

نص :

(أمَّا الَّتي سِمَتُهَا التَّخْيِيلُ | فَحُسْنُهَا ووَصْفُهَا الْجَمِيلُ)
(مِنْ حُسْنِ مَا عَنْهَا تَجِي الكناية | لأنَّهَا تَتْبَعُهَا لِلْغَايَةْ)

ش : يعني ان حسن الاستعارة التخييلية تابع لحسن المكنى عنها لما بينها وبينها من الترابط، فإنها لا تكون إلا تابعة لها ؛ والاستعارة بالكناية حسنها

كحسن التحقيقية أي أن حسنها برعاية جهات التشبيه لأنها تشبيه مضمر، وقد تقدم ان الترشيح أبلغ من التجريد والإطلاق، فالترشيح ، إذاً ، من شرائط حسن الاستعارة كما قال السيوطي . والله الموفق .

فصلٌ في المجاز بالحذف والزيادة

نص :

(يُوصَفُ بالْمــجَــازِ عِنْدَ النَّقْلِ لِكِلْمَــةٍ عــمَّــا بِهِ في الأصْلِ)

(إعْــرابُهَــا لِحَــذْفٍ أوْ زِيَّادَهْ وذا كــثِــيــرٌ في الكلامِ عَــادهْ)

هذا الفصل قد بالغ الشيخ عبد القهار في إنكاره ، قال في الإيضاح : وقد بالغ الشيخ عبد القهار في النكير على من اطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة انتهى منه بلفظه .

ومعنى البيتين أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي ، توصف بالمجاز أيضاً لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره، من أجل حذف لفظ أو زيادة لفظ، ومثلوا للحذف بقوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهل القرية ، فإن اعراب القرية في الأصل هو الجر، فحذف المضاف وأعطى المضاف إليه اعرابه . وكقولهم : بنو فلان يطؤهم الطريق ، أي أهل الطريق .

فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب كما في قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ أي كمثل ذوي صيب، محذوف « ذوي » لدلالة قوله تعالى ﴿ يجعلون اصابعهم في آذانهم ﴾ عليه، . فلا توصف الكلمة بالمجاز . والله الموفق .

القَولُ في الكِنَايَة

نص :

(إرَادكَ اللَّفْظَ لِغَيْرِ مَا وضِعْ لَهُ، وقَصْدُ أصْلِهِ لا يَمْتَنِع)

(هوَ الّذِي يَدْعُونَهُ الْكِنَايَةْ وَهْيَ تُخَالِفُ الْمَجَازَ غَايَةْ)

(حَيْثُ بِهَا يَجُوزُ قَصْدُ المَعْنَى مَعْ جَوَازِ قَصْدِ لأَزمٍ لهُ لَمعْ)

(وذَاكَ لاَ يَجُوزُ في الْمَجَازِ فَفِيهِ قَصْدُ الاصْلِ ذو إعْزاز)

ش : هذا هو المقصد الثالث من علم البيان ، يعني أن الكناية هي : لفظ استعمل وأريد به لازم معناه الأصلي مع جواز ارادة المعنى الأصلي معه كقولك : فلان طويل النجاد، مريدا بذلك انه طويل القامة لجواز ارادتك طول حمائل سيفه أيضاً .

وذكر السيوطي عبارة اخرى في تعريف الكناية قال : ترك التصريح بالشئ إلى ما يساويه في الشئ فينتقل منه إلى اللزوم .

والكناية تخالف المجاز بكونها يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقي مع اللازم، وذلك ممنوع في المجاز لأنه تجب فيه قرينة مانعه عن إرادة المعنى الحقيقي .

وإنما يعدل عن التصريح إلى الكناية لنكتة كالإيضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله ، أو القصد إلى المدح أو الذم، أو الاختصار، أو الستر، أو التعمية والألغاز ، أو التعبير عن الصعب بالسهل، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن .

نص :

(أقْسامُهَا ثَلاَثَةٌ فإمَّا ... لاَ صِفَةً، لاَ نِسْبَةً قَدْ أمَّا)

(أوْ قَصْدُهُ إثْبَاتَ وَصْف قدْ قَصَدْ ... إثْبَآتَ نِسْبَةٍ عَلى مَا يُعْتَمَدْ)

(مُرَادُهُمْ بِالْوَصْفِ مَا كَالْجُودِ ... والعِلْمِ، لاَ النَّعْتُ عَلى الْمَعْهُودِ)

(فالأولَى مِنْهَا مَا تَجِي لِمَعْنَى ... فقط، كَمَنْ بكًا لشُّجَاعِ كَنَّى)

(عن رَجُلٍ، وقد تَجِي مَعَانى ... ألاَ ترى مَا قِيلَ في الإنْسانِ)

ش : يعني أن الكناية تنقسم إلى ثلاثة أقسام، لأنه المطلوب بها إمَّا غير صفة ولا نسبة ، وإمَّا أن يكون صفة، وإما أن يكون نسبة .

والمراد بالصفة عند أهل الفن، المعنوية كالجود، والكرم، والشجاعة، ونحو ذلك لا التعت النحوي، فالتي المطلوب بها غير صفة ولا نسبة قد تكون معنىً واحدا كقولنا : «الشجاعُ» مثلا كناية عن زيد، أو «المضياف» كناية عنه، ومن ذلك النوع قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي على قول، وقيل لا يعرف قائله :

الضاربين بكل أرْوَعَ مخْذَمٍ ... والطَّاعنينَ مَجامِعَ الأضغان

المخذم يالذال المعجمة : السيف ، والأضغان : جمع ضغن وهو الحقد .
والشاهد في البيت قوله : مجامع الأضغان معنى واحد كنى به عن القلب، فان الكناية قد يكون المطلوب غير صفة ولا نسبة، وتكون بمعنى واحد كما هو الحال هنا ؛ ونحو هذا ما جاء في قول البحتري :

فأتبعتها أخرى فأضْلَلْت نَصْلَهَا ... بحيث يكون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحِقْد

وهذا البيت من قصيدته التي يصف بها قتله الذئب . والمراد بقوله : حيث يكون الخ . القلب ، ففي البيت ثلاث كنايات لا كناية واحدة، لاستقلال كل لفظ منها بإفادة المقصود .

ومن الكناية ما يكون مجموع معان كقولك مثلاً كناية عن الإنسان : حيٌّ مستوى القامة عريض الأظفار – وشرط كل كناية أن تكون مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه، سواء كان بمعنى واحد أم بمعان، وذلك ليحصل الانتقال منها إلى المكنى عنه .

نص :

(أمَّا الَّتي بِهَا أُريدَ الوَصْفُ	فَهيَ ضَرْبَانِ لذاك فاقْفُوا)
(قريبَةً، وَهِيَ مَا يُنْتَقَلُ	مِنْهَا إلى الْمقْصُود فيمَ يُعْقَلُ)
(دُونَ وَسَاطةٍ وَهِيَ إمَّا	واضِحَةً مِثْلَ النجِّادِ لَمَّا)
(تَكْنُو بِه، بِطُولِه عَن طُولِ	قَامَةِ شَخْصٍ بِفَصِيحِ الْقَوْلِ)
(أوْ هِي خَفِيَّةً كَذَا عَرِيضُ	قَفَاهُ يَعْنِي عَقْلُهُ مَرِيضُ)
(ثُمَّ الْبَعِيدَةُ الَّتِي يُنْتَقَلُ	مِنْهَا إلى المَطْلُوبِ فِيمَا يُنْقَلُ)
(بَعْدَ وسَاطةٍ كفَى المِضْيَافِ	بكَثْرَةِ الرَّمَادِ لِلأضْيَافِ)

ش : يعني أن الكناية التي المطلوب بها صفة ضربان : قريبة وبعيدة ، فالقريبة هي التي ينتقل منها إلى المطلوب بلا واسطة، وهى الأخرى : إما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة : طويلُ نجِاده ، أو طويل النجادِ، ومنها أي الواضحة قول الشاعر :

أبت الروادفُ والثُّديُّ لقمصها	مسَّ البطون وأن تمسَّ ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت	نبهن حاسدةً وهجن غيورا

وإما خفية ، أي القريبة كقولهم كناية عن الأبله : هو عريضُ القفا – فان عظم الرأس إذا افرط ، وعرض القفا ، يقال فيه دلالة على الغباوة – وفي الحديث «إن قفاك لعريض الا ترى إلى قول طرفة بن العبد :

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

فالرجل الضرب : هو الماضي في الأمور الندب ، والخشاش، الشجاع أو الدخال في الأمور، والمتوقد، الحاد السريع في النشاط .

واما البعيدة : فهى ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كناية عن البله فلان عريض الوسادة، فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ومنه إلى المقصود وكقولهم كناية عن المضايف، هو كثير الرماد، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة احراق الحطب تحت القدور، ومن ذلك إلى كثرة الطابئخ، ومن ذلك كثرة الأكل ومن ذلك إلى كثرة الضيفان، ومن ذلك إلى المقصود – ومن ذلك قول ابن هرمة :

ومـا يك فيَّ من عَـيْب فـإنّي جَبَانُ الكلب مهزول الْفَصيل

فان قوله : جبان الكلب، ينتقل منه إلى تعوده الطارقين، ومن ذلك إلى انه مقصد الداني والقاصي من الناس ، ومن ذلك إلى انه معروف بحسن قرى الأضياف .

وقوله : مهزول الفصيل، ينتقل منه إلى ان الفصيل فقد امه، ومن ذلك قوة الداعي إلى نحرها، ومن ذلك أنه كريم مضياف .

ومن هذا القبيل قول نصيب يمدح عبد العزيز بن مروان :

لِعَبْدِ الْعَزِيز على قومِهِ وغيرِهِمْ مِنَن ظَاهِرَةْ

فَـــبَـــابُكَ أسْـــهَـل أبْوابهمْ ودارُكَ مَـــأهُولَةٌ عَـــامِـــرَةٌ
وكَـــلْـــبُـــكَ آنَـــسُ بـــالمـــزا ئـرِيـنَ مِـنَ الأمِّ بـالإِبْـنَـةِ الـزَّائـرةْ

فانه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى ان الزائرين معارف عنده، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته اياهم ليلاً ونهارا، ومن ذلك إلى لزومهم سدَّته، ومن ذلك إلى وفور احسانه إلى الخاص والعام وهو المقصود .

ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى : ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ الآية ، أي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده غماً فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها .

ومن ذلك قول أبي تمام لممدوحه :

فـإن أنا لم يحـمـدك عنيٍّ صـاغـرا عَـدُوُّك، فـأعلم أنَّني غـيـر حـامـد

يريد أنه مدحه حتى حفظ عدوه شعره واستحسنه فصار ينشده، يعني ان لم اكن أجيد فيك القول في مدحك حتى يَدْعُو حُسْنُه عدوَّك إلى حفظه والترنم به، فلا تعدَّنني حامدا لك بما اقول فيك ، ووصف العدو بالصغار لأن من يحفظ مدح عدوه ويترنم به فقد اذل نفسه، فكنى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن اجادته القول في مدحه .

نص :

(أمَّـــا الَّتي مَطْلوبهَـــا الإثْبَـــاتُ لنسْـبَـةٍ فـيـمَـا يَرىَ الأثْبَـاتُ)
(مِـــثـــالُهَـــا بَيْتُ زِيادِ الأعْـجَمِ إنَّ السَّـمَـــاحَـــةَ ، لِبَـاقِي الْكَلِمِ)
(وَقَـــوْلُهُمْ : مِـــثْلُكَ لاَ يَبْـــخَلُ مِنْ هَذَا الْقَـــبِـــيلِ دُونَ رَيْبٍ قَـــدْ زكِنْ)
(وَقَـــدْ يَجِي الْمَـــوصُـــوفُ دُونَ ذِكْـــرِ وَذَاكَ جَـــــائـزٌ بِـدُونِ نُـكْـرِ)

(مِـثَـالُهُ كَـقَـوْلِنَا في عُـرْضِ مَنْ يُؤْذِى أخَـاهُ قَـولَ صَـاحِبِ المِنَنْ)
(في وَصْفِ مَنْ أسلم : هو من سَلِمْ الْمُـسْلِمُـونَ مِنْ لِسَـانِهِ عُلِمْ)

ش : يعني أن القسم الثالث من أقسام الكناية هو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، ومثلوا لها بقول زياد الأعجم في عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور آنذاك .

إنَّ السَّـمَـاحَـةَ والمُرُوءَةَ والنَّدَى في قُـبَّـةٍ ضُـرِبَتْ عَلى ابْنِ الحَشْـرَجِ

فقد أراد الشاعر ببيته هذا إثبات اختصاص ممدوحه بهذه الصفات ، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها في قبة، تنبيهاً بذلك على أن محلها ذو قبة وجعلها مضروبة عليه، ولأنه يوجد ذوو قباب كثيرين في الدنيا، أراد الشاعر إثبات الصفات المذكورة لممدوحه بطريق الكناية. ومن المناسب إيراد ما بعد البيت :

مَلِكٌ أغَـرُّ مُـتَـوَّجٌ ذو نَائِل لِلْمُـعْـتَـفِينَ يمينُه لَمْ تُشْنَج
ياخَـيْـرَ مَنْ صَـعَـدَ المنابِرَ بالتُّـقَى بعـد النبيِّ المصطفى المُتَـحَـرِّجِ
لما أتَيْـتُكَ راجِـيـا لِنَوالِكُمْ ألفَـيـتُ بَابَ نَـوالِكم لم يُـرْتَـجِ

ومثلوا أيضاً لهذا القسم من أقسام الكناية بقولهم : مثلُكَ لا يبخَلُ، فإنهم إنما نفوا البخل عن مثله، وهم يريدون بذلك نفيه عنه هو نفسه، وقد قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده، وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه. قالوا : ونظير ذلك قولك للعربي : العرب لا تخفر الذمم، فإنه ابلغ من قولك له : أنت لا تخفر الذمة .

ثم إن الموصوف في القسم الثاني من الكناية والقسم الثالث، قد يكون مذكورا كما مر، وقد يكون غير مذكور كما تقول في عُرض من يؤذي المسلمين : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ، ويده، فإن ذلك أبلغ من أن تقول له ليس من يؤذي المسلمين بمسلم .

وقال السكاكي : ان الكناية تتفاوت إلى تعريض، وإلى تلويح، وإلى رمز، وإلى إيماء وإشارات ، فإن كانت عريضة فالمناسب ان تسمىَّ تعريضاً. وإلاَّ ، فإن كان بينهما وبين المكني عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط، كما في قولهم : كثير الرماد وما اشبه ذلك، فالمناسب ان تسمي تلويحا، لأن التلويح في اللغة هو أن تشير إلى غيرك عن بُعْد .

وان كان في الكناية نوع خفاء، فالمناسب ان تسمي رمزا، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية كما قال الشاعر :

رمزت إليَّ مخافة من بعلمها　　　من غير أن تُبْدي هناك كلامَها

وقد تسمى الكناية إيماءً وإشارة كقول أبي تمام :

أبَيْنَ فما يزرن سوى كريم　　　وحسبك أن تزور أبا سعيد

فإنه غير خاف في إفادة أن أبا سعيد كريم .

وقد عقد النظم هذا التفاوت الذي ذكره السكاكي فقال :

نص :

(وَمِنْهَا تعْريضً بأنْ تَذكُرَ ما　　　به تريد غيرَ مَذكورٍ كَمَا)

(تَقُولُ راغباً لِشَخْصٍ ياعَظِيمْ　　　جِئْتُ لأنْظُر لِوَجْهِكَ الْكَريمْ)

(ومِنْهَا تَلْويحً كنَايةً تُرى　　　لكثْرة الْوسَائط الَّتى نَرَى)

(مِنْ قَبْلِ مَقْصُودٍ بالاعتيادِ كما يَجَى في كثْرة الرَّمَادِ)
(والرَّمْزُ مِنْهُ ذكْرُ شَيْءٍ يُكْنَى به يَكُونُ في الخَفَاءِ عَنَّا)
(مِثَالُهُ في كِبَرِ الْوِسَادَةْ وكِبَرِ القَفَا الَّذي أفادَه)
(رَابِعُهَا الإمَاُ أوالإشَارَةْ وَهُوَ ان يُكَنَّى بِالْعِبَارَةْ)
(كِنَايَةٌ مَع الوضوح في الكلام إن لا يكُنْ تَكُونُ رَمْزاً والسَّلام)

خاتمة .

نص :

(إنَّ الْمَجَازَ أبداً زبْلَغُ مِنْ حَقِيقَةٍ وذَاكَ أمْرٌ قَدْ زكِنْ)
(ثُمَّ الْكِنايَةُ مِن الإفْصَاحِ أبْلَغُ في المَذاهِب الصِّحَاحِ)
(والْقَوْلُ بالتَعْرِيضِ في الصَّحِيحِ أوْقِعُ في النَّفْس مِن الصَّرِيحِ)
(لِلإسْتِعَارَةِ مَزِيَّةٌ عَلَى صَرَاحَةِ التَّشبِيهِ فيما نُقِلا)

يفيد في هذه الخاتمة أن البلغاء أطبقوا على ان المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة ابلغ من التشبيه الصريح، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة ابلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية ابلغ من الافصاح بالذكر . وليس المراد بهذا التفصيل ، أن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى لا يفيدها مفضوله، بل لأنه يفيد تأكيدا لإثبات المعني لا يفيده خلافه، فليس تقديم قولنا : « رأيت أسداً »، على قولنا : « رأيت رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة » لأن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفده الثاني، بل لأن الأول أفاد تأكيد الإثبات تلك المساواة لم يفدها الثاني .

وهكذا القول في « كثير الرماد » ، والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع من الملزوم إلى اللازم، يكون اثبات المعنى به كدعوى الشئ ببينة ، ولاشك في أن دعوى الشئ ببينة ابلغ في أثبات الدعوى بلا بينة . أهـ . مما نسبه في الإيضاح للشيخ عبد القاهر، لكن بتصرف، والله الموفق .

عِلْمُ البَدِيع

نص :

(عِلْمٌ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكلاَمْ بَعْدَ وُضُوحٍ في الدَّلاَلَة يُرَامْ)

(وَمَعْ رِعَايَةِ طِباقِهِ عَلى ما يَقْتَضِي الحَالُ عَلى ما نُقِلاَ)

(هو الَّذي يُعْرَفُ بِالْبَدِيع)

ش : يعني ان علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام أي يتصور معانيه ويعلم اعدادها وتفاصيلها بقدر الطاقة، والمراد بقوله « وجوه » ما مر به في قوله : ويتبعها وجوه اخر تورث الكلام حسنا وقبولا، ذكرها الناظم بقوله:

بينهما مراتبٌ كثيرة متبوعة بأوجه شهيرة

مؤثرات الحسن في الكلام من غير ما نكر ولا ملام

وقوله : ومع رعاية طباقه، الخ . يعني رعاية طباقه لمقتضى الحال ومع رعاية وضوح الدلالة، أي الخلو عن التعقيد المعنوي ، إذ لا تعتبر محسنة للكلام إلا بعد رعاية ذلك . ونقل السيوطي عن أبي جعفر الأندلسي ، أن البديع هو أخص الفنون الثلاثة لتركبه من الفنين وزيادة عليهما ، قال : وهما بالنسبة إليه كالحياة والنطق بالنسبة للإنسان فلا يوجد البديع بدونهما كما لا يوجد الإنسان بدون الحياة والنطق .

قال : والمعاني بالنسبة إلى البيان كالحياة بالنسبة إلى النطق، قد توجد المعاني بدون بيان كما يوجد حيوان بلا نطق، ولا عكس كما لا عكس .

نص :

(وَهوَ ضَرْبَانِ لَدَى التَّفْرِيعِ)

(ضَرْبٌ يُرى مَرْجِعُهُ الْمَعَانِي لِلَّفْظِ مَرْجِعُ الْقَسِيمِ الثَّانِي)

(فَالْمَعْنَوِي مِنْهُ الطِّبَاقُ والتَّضَادْ وَهْوَ الْمُطَابَقَةُ فِيمَا يُسْتَفَاد)

(بِالجَمْعِ بَيْنَ مُتَقَابِلَيْنِ مَعْنَىً يَجِي وقُوعُهُ باسْمَيْنِ)

(مِثَالُهُ : تَحْسَبُهُمْ أَيقَاظَا وَهُمْ رُقُودٌ، قَابِلِ الأَلْفَاظَا)

ش : يعني أن هذه الوجوه المحسنات نوعان : ضرب يرجع في تحسينه إلى اللفظ ، وضرب يرجع في تحسينه إلى المعنى، ثم ذكر أن المحسنات المعنوية منها ما يسمى المطابقة، والطباق، والتضاد اسم له ايضاً، وتعريفه أنه جمع بين معنيين متقابلين في الجملة، وقد يكون ذلك بلفظين من نوع واحد ، أي قد يكون باسمين مثلاً كقوله تعالى في سورة الكهف : ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ وقوله تعالى : ﴿وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور﴾ .

نص :

(أَوْ هُوَ واقِعٌ بِفِعْلَيْنِ كَمَا في قَوْلِ مَنْ على البرايا قد سَما)

(وإِنَّكُمْ لتَكْثُرُونَ عِنْدَا .. يَعْنِي بِهِ أَنْصَارَهُ الأَشِدَّا)

ش : يعني أن الطباق والتضاد قد يقع بلفظين هما فعلان متقابلة الفاظهما كما جاء في الحديث الشريف : «إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الجزع» يعني الانصار عليهم رضوان الله تعالى ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك من تشاء، وتعز من تشاء

وتذل من تشاء﴾ومنه قول أبي صخر الهذلي :

أمـا والذي أبْكى وأضـحك والذي أمـات وأحـيـا والذي امـره الأمـر

ومنه قول بشار :

إذا ايقظتك حـروب العـدى فنبـه لهـا عـامـرا ثم نم

نص :

(أَوْ هُوَ وَاقِعٌ بِحَـرْفَـيْنِ ثَبَتْ في قـوله جلَّ لهَـا مَـا كَـسَبت)

(وَقَـدْ يَجِي اللّفْظان مِن نوعين يُعَـبِّـران عَن مَـفَـادِ ذَيْنِ)

ش : يعني أن الطباق قد يقع بين حرفين كما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ . وقوله مجنون ليلى :

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى واخلص منه لا عليَّ ولا ليـا

وقد يكون الطباق بلفظين من نوعين أي بين اسم وفعل كما هو في قوله تعالى في سورة الانعام : ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ أي ضالا فهديناه .

ومن ذلك قول طفيل بن عوف الغنوي :

بساهم الوجه لن تقطع أبَاجلُهُ يُصانُ ، وهو ليوم الروع مبْذُولُ

ساهم الوجه : عابسه ، والاباجل جمع أبجل وهو عرق في ذراع الفرس يفصد للتداوي ، ومن الطباق بلفظين من وع واحد قول الفرزدق :

لعن الإله بني كليب إنّهم لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون إلى نهيق حمارهم وتنام اعينهم عن الأوتار

علما أن ببيت الفرزدق الأول تكميلاً حسناً، إذ لو اقتصر على قوله : لا يغدرون، لاحتمل الكلام ضربا من المدح لأن تجنب الغدر قد يكون للعفة ،

فقال : ولا يفون ليفيد بأن عدم غدرهم هو لعجزهم عن ذلك كما أن ترك الوفاء للؤم .

واستعمل في بيته الأول أيضاً الإيغال، لانه لو اقتصر على قوله : لا يغدرون ولا يفون، لتم المعنى الذي أراد ولكنه لما احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائدا على ذلك حيث قال : « لجار » لأن في ترك الوفاء للجار قبحاً أشد من ترك الوفاء لغيره .

نص :

(ثُمَّ الطِّبَاقُ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرا — مِثْلَ الذي مَرَّ، وقد يَجِي تَرى)

(نَوْعَ خَفاءٍ في المعَاني فيه — [واغْرِقُوا فأدخلوا] من ذيه)

ش : يعني أن الطباق قد يكون ظاهرا جلياً كما تقدمت أمثلته، إلا أن منه نوعاً قد يكون فيه نوع خفاء يحتاج إلى تأمل، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة نوح : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا ﴾ الآية ، فان الطباق فيه واقع بين « اغرقوا » و « ادخلوا » لان الغريق داخل في الماء، — ومن الطباق الذي به نوع خفاء قول ابي تمام :

مها الوَحْشُ الا أن هاتا أو انس — قنا الحظ، إلا ان تلك ذو ابل

فقد طابق بين « هاتا » و « تلك » . هكذا قال في الإيضاح، ولكنني ، على الرغم من ضيق باعي في الفن، أرى أنه لا خفاء في طباق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد، ولكن الطباق الذي فيه نوع خفاء هنا واقع في قوله : « مها » الذي كنا به عن النساء، بدليل قوله « أو أنس » ، وبين قوله « قنا » لان كلا من القنا وسهام أعين المها آلة صيد تصيب من رمى بها . والله تعالى أعلم .

نص :

(وقَسَّمُوا الْطِبَاقَ لِلإيجَابِ مِثْلَ الّذي مَرَّ بِهذا الْبَاب)
(والسَّلْبِ ، جَمْعٌ بَيْنَ فِعْلَي مَصْدرِ الإيجاب والسلب لذين قد دُرِى)
(كَقَولِهِ [لا يعلمون، يعلمون] أو جَمْعُ أمْر مَعَ نَهْيٍ قَدْ يَكُونْ)
(بَيْنَهُمَا المُثْبَتُ والمنْفِيُّ مِثَالُه مَا قَالَهُ العَلِيُّ)
([لا تخْشَوا النَّاسَ] إلى نِهَايَةِ مَقْصُودِنَا هنا بهذ الآيةِ)

ش : ان الطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب ، وهو ما تقدمت بعض أمثلته ، وإلى طباق السلب ، وهو ان تجمع بين فعلى مصدر واحدٍ أحدهما مثبت، والآخر منفي ، أو تجمع بين أمر ونهي، ومثلوا للأول بقوله تعالى في سورة الروم : ﴿ ولكن لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة ﴾ الآية ، ومثلوا للثاني بقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ .

وامثلة طباق السلب كثيرة، منها قول السموأل :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القَولَ حين نَقول

ومنها قول البحتري :

يقيِّضُ لي من حيث لا أعلم النوى ويسري الشوق من حيث أعلَمُ

ومنها قول أبي الطيب المتنبي :

ولقد عُرفتَ وما عُرفْتَ حقيقة ولقد جُهِلْتَ وما جُهِلْت خُمولاَ

وقول الآخر :

خُلقوا وما خُلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خُلقوا
رُزقوا وما رُزقوا سماح يدٍ فكأنهم رُزقوا وما رُزقوا

وقول أبي تمام :

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى   لها الليل إلا هى من سندس خضر

وقول ابن حيُّوس أبي الفتيان محمد بن سلطان الشامي :

طالما قلت للمسائل عنكم   واعتمادي هداية الضلاَّل

ان تُردْ عِلْمَ حالهم عن يقين   فالْقهم يوم نائل أو نزال

تَلْقَ بيض الوجوه سُود مثارالنَّـ   ـقْع خُضْرَ الأكناف حُمْرَ النِّصَالِ

نص :

(شَيْئانِ يُلْحَقانِ بالطِّباقِ   مِنْ غَيْر مَاشكٍّ ولاَ شِقَاقِ)

(مِثْلَ {أشداَّءُ على الكفَّار}   فهذه الرَّحمةِ في الأبْرارِ)

(سَبَبُهَا اللِّينُ وهُوَ ضِدُّ   لِشِدَّةٍ فيمَا لَدَيْهِمْ يَبْدُو)

(والثاني الإيهَام كفى مِثَالِ   مَحيى الْقريضِ ومميتُ المال)

ش : يعني ان الطباق يلحق به شيئان : منهما : ما كان راجعا للمضادة بتأويل كالتسيب ، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الفتح : ﴿ أشدَّاء على الكفار رحماء بينهم ﴾ فان الطباق واقع بين الأشداء والرحماء، لأن هذه الرحمة متسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة، ومثلوا له أيضاً بقوله تعالى في القصص : ﴿ ومن رحمته جعل لكم اليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾، فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة وهى ضد السكون، وكان العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة، وحركة لمفسدة .

والثاني منهما يسمى إيهام التضاد، ومنه قول دعبل :

لا تعجبي ياسلْمُ من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

وقول الآخر :

وتنظري خَببَ الركاب ينصها ... محيي القريض إلى مميت المال

نص :

(يَدْخُلُ في الطِّبَاقِ مَا يخصُّ ... باسم المقابلة فيه نصُّ)

(لِمَعْنَيَيْنِ مُتوافِقَيْنِ ... أوْ لِمَعَانٍ، فَمِثَالُ اثْنَيْنِ)

(مُقابلا ذَيْن على التَّرْتِيبِ ... قَوْلُ العليم الشَّاهد الرَّقيب)

(سُبْحَانَهُ {فليضحكوا قَلِيلاً} ... لآخر المقصود نِلْتَ السُّولا)

(وإنْ تُقَابِلْ لِثَلاَثَةٍ عَلى ... ترتيبها ، مثال ذَلك جَلا)

(ما أحْسَنَ الدِّينَ، أبو دُلاَمَة ... ذَمَّ به الكُفْرَ ولا مَلاَمَهْ)

(وإنْ تقابلْ أرْبَعاً بأرْبَعٍ ... في سورة الليل مِثَالُ الأرْبَعَ)

ش : يعني أنه يدخل في المطابقة ما يُخَصُّ باسم المقابلة، قال السيوطي في شرح عقود الجمان : من الطباق نوع يسمي المقابلة وهى أخصُّ منه . أهـ . وهذا النوع هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو بمعان متوافقة، ثم يؤتى بعد ذلك بما يقابلهما، أو يقابلها، على الترتيب .

فمثال اثنين قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرا ﴾ وقوله ﷺ : «إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه، ولا ينزع من شئ إلا شانه[1]» وقول الناجي الجعدي :

فتىً تمَّ فيه ما يَسرُّ صَدِيقَهُ ... على أن فيه ما يسوءُ الأعاديا

---

(١) أصله في صحيح مسلم .

ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دلامة :

ما أحسَن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقــبَحَ الكُفْــرَ والافــلاسَ بالرجل

ومثال مقابلة اربعة قوله تعالى في سورة الليل : ﴿فأما من أعطى والتَّقى وصدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى، وأما من بخِلَ واسْتَغْنَى وكذَّبَ بالحُسْنى فسنيسره للعُسْرى﴾ فالمراد بـ﴿استغنى﴾ زهده فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتْق وقيل معناه : استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة، فلم يتق .

ومثال مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي :

أزورهم وســواد الليل يشــفع لي وانثني وبيــاض الصبح يغـري بي

قال السيوطي : ومن أمثلة مقابلة ستة بستة قول القائل :

على رأس عــبــد تاج عــز يزينه وفي رجل حــرٍّ قَــيْــدُ ذُلٍّ يشــينُه

قال في الإيضاح : ومن لطيف المقابلة ما حكى إن محمد بن عمران الطلحيً أو التميمي وكان قاضياً بالمدينة، لما قال له المنصور : بلغني أنك بخيل، أجابه قائلاً :

يا أمير المؤمنين، ما أجْمُدُ في حَقٍّ، ولا أذوبُ في باطل .

نص :

(ثُمَّ مُــراعَــاةُ النَّظر تُسْــمَى تَنَاسُــبــاً مَعَ ائتِــلافٍ مِــمَّــا)

(يَرجِعُ لِلْمَــعْنَى مِنَ الْبَــدِيع جَــمْــعُكَ في كَــلاَمِكَ الرَّفِــيعِ)

(بَيْنَ كَــلامٍ وَالَّذِي يُناسِــبُــهْ بالاتِّفَــاق، فــالَّذِي تُخَــاطِبُــهْ)

(إذا أردْتَ أن تُــمَــــــثِّلَ لَــهُ بِيُــوسُفِي الْعَــفْــوِ، أخىَ مَــثّلْ له)

ش : يعني أن من البديع نوعا يسمى مراعاة النظير، ويسمى التناسب

والائتلاف والتوفيق أيضا، وهو ان يجمع في كلام وما يناسبه لا بالتضاد، ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ والشمس والقمر بحسبان ﴾وقول بعضهم للوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي، وزير معز الدولة البويهي، قول بعضهم له : أنت أيها الوزير اسماعيلي الوعي شعيبي التوفيق، يوسفي العفو، محمدي الخلق، يعني بقوله اسماعيلي الوعد قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد ﴾ وبقوله شعيبي التوفيق، في قوله تعالى في سورة هود ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ وبقوله يوسفي العفو ، قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ وبقوله محمدي الخلق، قوله تعالى في سورة القلم : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

ومن أمثلة مراعاة قول ابن رشيق :

أصحُّ وأقوى ما سمعناه في النَّدى   من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول ، عن الحَيا   عن البحر عن كف الأمير تميم

فإنه ناسب فيه بين الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور، والأحاديث ، والرواية ، ثم بين السيل، والحيا ، والبحر، وكفٍّ تميم .

أضف إلى ذلك ما جاء في البيت الثاني من صحة ترتيب العنعنة إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع ذلك في الأسانيد ، فإن السيول أصلها المطر، والمطر أصله البحر على ما يتصورون، ولهذا جعل كف الممدوح أصلاً للبحر على سبيل المبالغة .

نص :

(وَمِنْهُ مَـا يُدْعَى تَشَـابُهَ الطَّرَفْ خَـتْمُ الْكَلاَمِ بِمُنَاسِبٍ عُـرِفْ)
(في المَعْنَى مَـا بِهِ ابْتِـداؤُهْ كـقـوله تقـدَّسَتْ أَسْـمَـاؤُهْ)
(وَهْوَ اللَّطِيفُ، بَعْـدَهَا الْخَـبِيـرُ وَذَا بِمَـا ابْتَـدَتْ بِهِ جَـدِيرُ)

ش : يعني أن مراعاة النظير منها قسم يسميه بعض أهل البلاغة تشابه الطرف : وهو ان يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى ، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير﴾ فان اللطيف يناسب مالا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب الإدراك ، فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً به .

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى في سورة الحج : ﴿له ما في السموات والأرض وإنَّ الله لهو الغني الحميد﴾ فان الآية ختمت بـ « الغني الحميد » تنبيهاً على ان ما له ليس لحاجة إليه، بل هو غني عنه، جواد به، فإذا جاد به حمده المنعم عليهم .

ومن هذا القسم وهو من خفيه قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فإن قوله تعالى ﴿ وان تغفر لهم﴾ يوهم ان تكون فاصلة الآية ﴿ الغفور الرحيم﴾ ، لكن من تأمل فيما به التلاوة تبين انه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلاّ من ليس فوقه أحد يرد عليه أحكامه، فهو لذلك العزيز الغالب الذي لا يقهر ، وتبين كذلك أن وصفه هنا بالحكيم فيه احتراس بليغ، لأن المعنى : وان تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب، فلا معترض عليك في ذلك ، فأنت الذي تضع الأمور في

مواضعها والحكمة البالغة فيما فعلت .

نص :

(ألْحقْ بِهِ إيهَـامَكَ التَّنَاسُـبا ألا تَرى النَّجْمَ يَجى مُنَاسِـبا)

(للقَمرَيْنَ إنْ أرَدْتَ الكَوْكَبَا وفي النَّبَاتِ أوْهِمَ التناسُبا)

ش : يعني أن مما يُلْحَق بالتناسب ما يسميه أهل البلاغة إيهام التناسب ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾ فان لفظ النجم مناسب لذكر الشمس والقمر، لكن ان اريد به الكوكب وهو في الآية غير ذلك إنما أريد به ان شاء الله، الشجر غير ذي الساق، فكان ما في الاية إيهام التناسب، والله تعالى أعلم .

نص :

(وَمِنْهُ الإرْصَادُ وبالتَّسْهِيمِ يُعْرَفُ عِنْدَ بُلَغَا الْكَلِيم)

(وَهْوَ جَعْلُ مَا قُبَيْلِ العَجْزِ مِنْ بَيْتٍ وغَيْرِهِ على الَّذي زُكِنْ)

(شَيْءٍ يَدُلُّ سَامِعاً لَهُ عَرَفْ رَوِيَّهُ بِمَا لَدَيْه قدْ سَلفْ)

(مِثَالُهُ قَوْلُ ابن مَعْدِ يكْرِبَا بَيْتاً: إذا لَمْ تَسْتَطِعْ شيئت نَبَا)

(دَعْهُ وَجَاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطِيعْ واتْرُكْ سَبِيلَ ذلِك الشَّئِ المنيعْ)

ش : قوله : الكليم ، هو جمع كلمة وإنما مدت الميم لضرورة الوزن، وكذلك في البيت الثاني : العجز يعني بضم الجيم بعد العين المفتوحة، وإنما سكنت العين هنا لضرورة الوزن أيضا. والمراد من هذه الأبيات ، هو أن أهل الفن ذكروا ان من البديع قسما يدعونه الارصاد، ويسمونه التسهيم، والأرصاد لغة مصدر ارصدت الشئ إذا اعددته ، والتسهيم من سهمت الشئ أي

صوبته، فكأنه صوب الكلام الأول للدلالة على الآخر، وعرفه في الإيضاح بقوله : هو أن يجعل قبل العَجزُ من الفقرة أو البيت ما يدل على العجزُ إذا عرف الرَّوَيُّ، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ وبقوله تعالى في سورة يونس : ﴿ وما كان الناس إلا أمَّة واحدة فاختلفوا، ولولا كلمة سَبقت من ربِّك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾، ومثلوا له بقول عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعْهُ — وجاوزه إلى ما تستطيعُ

وقول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش — ثمانين حولا، لا أبالك، يسأم

ومن شواهده قول البحتري :

أحلت دمي من غير جُرْم وحرَّمْت — بلا سبب يوم اللقاء كلامِي

فليس الذي قد حلَّلت بمحللِ — وليس الذي قد حرمتِ بحرامِ

نص :

(وَمِنْهُ ما يُعْرَفُ بالمُشَاكَلَةْ — أنْ تَذْكُرَ الشَّيْءَ بِلَفْظٍ لِيْسَ لَهُ)

(لأنه وَقَعَ في صُحْبَةِ ما — أطْلَقَ لَفْظَهُ عَلَيْهِ فَهوَ مَا)

(مِثَالُهُ قالوا اقْتَرِحْ شيْئًا نَجِدْ — لآخِرِ البَيْتِ الشَّهِيرِ الَّذْ نُشِدْ)

ش : يعني أن المشاكلة من فن البديع، وهى ذكر شيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقدير، أما الأول فكقوله :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه — قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

وهذا البيت لأبي الرقعمق كما يقول صاحب معاهد التنصيص، قال :

يروى أنه قال كان لي إخوانٌ أربعة ، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الأخشيدي، فجاءني رسولهم في يوم بارد، وليْست لي كسوة تحصنني من البرد، فقال : إن اخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها، قال : فكتبت إليهم :

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة　　　فأتى رسولهم إليَّ خصوصا

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه　　　قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

قال : فذهب الرسول بالرقعة، فما شعرت حتى عاد ومعه اربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير، فلبست احدى الخلع وصرت إليهم .

والشاهد فيه قوله اطبخوا لي جبة، فإنه أراد خيطوا لي، فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها بصحبة طبخ الطعام. أهـ. منه .

ومن المشاكلة قول ابن جابر الأندلسي :

قالوا اتخذ دهنا لقلبك يشفه　　　قلت ادهنوه بخدها المتورد

ومن المشاكلة قول أبي تمام :

مَن مبلغٌ أفْناء يعرب كلّها　　　انِّى بنيت الجار قبل المنزل

ومنها ما ذكر أن القاضي شريحا شهد عنده شاهد، فقال : انك لسَبْطُ الشهادة . فقال الشاهد انَّها لم تُجَعَدْ عني ؛

فالذي سوغ بناء الجار في قول أبي تمام، وتَجَعُّدَ الشهادة في قول الشاهد هو مراعاة المشاكلة. فلولا بناء الدار ما صح بناء الجار، ولولا سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها .

وأما التقدير فمنه قول ابن كلثوم في معلقته :

ألا لا يجهلنْ أحد علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

أراد فنجازيه على جهله، فجعل لفظة « فنجهل » موضع « فنجازيه » لأجل المشاكلة . والله تعالى أعلم .

نص :

(ثُمَّ الْمَزَاوَجَةُ بَيْنَ مَعْنيَيْن في الشَّرْطِ والْجَزَا ، وذا بِدُونَ مَيْنْ)

ش : يعني أن من البديع المزاوجة وهى ان يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، ومثلوا له بقول البحتري :

إذا ما نهى الناهي فلجَّ بيَ الهوى أصاخت إلى الواشي فلجَّ بها الهجر

فقد زاوج فيه بين نهى الناهي واصاختها إلى الواشي الواقعين في الشرط والجزاء في أن يترتب عليهما لجاج شئ .

ومن المزاوجة قوله أيضاً :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

فقد زاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين في الشرط والجزاء في ترتب فيضان شئ عليهما : نص :

(والْعَكْسُ والتَّبْدِيلُ مِنْ ذَا الْبَابِ تَقْدِيمُ جُزْءٍ في الْكَلامِ الرَّابِي)

(ثُمَّ يُؤَخَّرُ، وذا قد يَقَعُ عَلى وُجُوهٍ، يأتى وَهْوَ وَاقِعُ)

(مِنْ بَيْنَ لَفْظَيْنِ لِجُمْلَتَيْنِ قَدْ وَقَعَا لِطَرَفَيْ هَاتَيْنِ)

(مِثَالُهُ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمُ وقوله لاَهُنَّ حلٌّ لَّهُمُ و)

(ثُمَّتَ بَيْنَ عُلْقَتَىْ فِعْلَيْنِ قد يَقَعُ الْعَكْسُ في جُمْلَتَيْنِ)

(وَمَثَّلُوا لَهُ عَلى مَا قَدْ زُكِنْ بِقَوْلِهِ : ويُخْرِجُ الميِّتَ مِنْ)

ش : يعني أن العكس والتبديل من البديع وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر وهو أنواع ، منها : أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه كقول بعضهم : عادات السادات سادات العادات .

ومنها : أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى في سورة الروم : ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ﴾ .

ومثلوا له بقول الحماسي :

فردَّ شعورهن السُّودَ بيضاً ... وردَّ وجوههن البيض سُوداً

ومنها : أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى : ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ولا هم يحلون لهنَّ ﴾ من سورة الممتحنة ، وقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ ﴾ .

ومنه قول أبي الطيب :

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

نص :

(ثُمَّ الرجوع وَهْوَ عودك على ... كَلاَمِكَ السَّابِقِ بالنَّقْضِ جَلاَ)
(النكتة، لِنقْضِهِ لِلْقَوْلِ ... تَظاهُراً بِمُوجِبِ الذُّهُولِ)

ش : يعني ان من البديع الرجوع ، وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة ومثلوا له بقول زهير :

قف بالديار التي لم يعْفُها القدمُ ... بلى، وغيرها الأرواح والدِّيَمُ

قيل : إنه لما وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلته، فأخبر بما لم يتحقق، فقال : لم يعفها القدم، ثم ثاب إليه عقله فتدارك كلامه فقال : بلى

وغيرها الأرواح والديم. ومن هذا القبيل بيت زيد بن الطثرية :

أليس قليـــلا نظرة إنَ نظرتهـــا إليك ؟ وكــــلاً ليس منك قليلُ

ومن لطيف الرجوع قول ابن سناء الملك :

ومليـةٍ بالحـسن يسـخـر وجـهـهـا بالبـدر يهـزأ ريقـهـا بالقـرقف
لا ارتضي بالشـمس تشبـيـهـا لهـا والبـدر، بل لا أكـتـفي بالمكتـفي

نص :

(ومنـه الإيهــــام ويُدْعى تَـوْرِيةْ إطْلاقُ لَفْظٍ بطريق التَّـعْـمِـيَّـةْ)
(في مَـعْنَيَـيْـةِ والمرادُ مـا بَعُـدْ وَهِيَ ضَـرْبَانِ عَلى مَـا يُعْـتَـمَـدْ)
(امَّـا الَّتي عَن القـريب مُـبْـعَـدَهْ فَـهْيَ الَّتي يَدْعُـونَهَـا المجَـرَّدَةْ)
(ومَــا بِهِ قُــرِنَ مَـا يُلاَئِمُ مُــورىً بِهِ تَرْشِـيـحُـهُـا يُلاَئِمُ)

ش : يعني أن التـورية من أنواع البـديع ، وهي مـصـدر ورَّيْت الخبـر إذا سترته وأظهرت غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان فكأن المتكلم يجعله وراءه بحـيث لا يظهـر ، وهي في الاصطلاح البـلاغي : أن يطلق لفظ له مـعنيـان : قريب وبعيد، ويراد بها البعيد منها ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة، ولذلك تسمى الإيهام .

وهي ضربان : مجردة ومرشحة، أما المجردة فهي التي لم يذكر فيها شيء من لوازم القـريب المورى به ولا البـعـيـد المورى عنه، ومـثلوا لها بقـول أبي بكر الصـديق رضي الله عنه في الهـجـرة وقـد سئل عن النبي ﷺ من هذا ؟ قـال : رجل يهديني إلى السبيل، أراد يهديني إلى الإسلام، فورى عنه بهادي الطريق ، وهو الدليل في السبيل.

ومن أمثلتها كذلك قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأله الجبار عن

زوجته فقال : هذه أختي وأراد أخوة الإسلام .

وأمَّا المرشحة فهي التي قرن بها ما يلائم الموَرَّى به، ومثلوا له بقول الحماسي :

فلما نأت عنا العشيرة كلها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما اسلمتْنا عند يوم كريهة ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

فإن الإغضاء مما يلائم جفن العين لا جفن السيف، وان كان المراد به اغماد السيف لأن السف إذا اغمد انطبق الجفن عليه، وإذا جرد انفتح .

قال في الإيضاح : واعلم ان التوهم ضربان : ضرب يستحكم حتى يصير اعتقاداً كما في قول :

حملناهم طرا على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

ومنها ضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ، ولكنه شئ يجري في الخاطر وأنت تعرف حاله، ومثلوا له بقول ابن الربيع :

لولا التطير بالخلاف ، وأنهم قالوا مريض لا يعود مريضا

لقضيت نحبي في فنائك خدمة لأكون مندوبا قضى مفروضا

قال : ولابد من اعتبار هذا الأصل في كل شئ بني على التوهم ، فاعلم

تنبيه : ذكر السيوطي أن التورية والاستخدام هما افضل أنواع البديع، وذكر ان الأندلسي صرح بأن الاستخدام أجل من التورية وأعذب وألطف، قال: وان كان المختار عندي أنهما سيان .

نص :

(وِمنْهُ الاسْــتــخْـدَامُ وهْوَ ان تُريدْ　　　باللَّفْظِ مَـعْنَىً، وضَـمِـيـرُهُ يريدْ)

(مَـعْنىً لَهُ آخَـرُ، قـال البُـحْـتُـري　　　سَقَّى الْغَضَا والساكنيه، ذَا دُرى)

ش : يعني ان الاستخدام من البديع وعرفه السكاكي واتباعه بأنه اطلاق لفظ مشترك بين معنيين مراد به احدهما، ثم يعاد عليه ضمير مراد به المعنى الآخر ، أو يعاد عليه ضميران مراد بكل واحد منهما واحد، وقد مثلوا للأول بقول معاوية بن مالك وقيل هو لجرير :

إذا نزل السـمـاء بأرض قـوم　　　رعـيناه وإن كـانوا غـضـابا

قال العباسي في معاهد التنصيص : نسب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير وانه من قصيدته في بحر الوافر التي أولها :

أقلى اللوم عـاذل والعـتـبـابا　　　وقولي إن أصبت لقد أصابا ..الخ

ونسبه المفضل في اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء ، وساقه في قصيدة طويلة أولها قوله :

أجـدَّ القلبُ من سلمى اجـتـبـابا　　　وأقـصـر بعـد مـا شـابت وشـابا

وشـاب لداتـه وعـدلن عنه　　　كـمـا أضنيت من لبس ثيـابا

فـإن تك نبلهـا طاشت ونُبْلى　　　فـقـد نرمي بهـا حـقـبـا صـيـابا

فـتـصطادُ الرجـال إذا رمـتـهـم　　　وأصطاد المخـبـأة الكعـابا

إلى أن قال :

وكنت إذا العظيـمـة افـزعـتـهـم　　　نهـضت ولا ادب لـهـا دبـابا

بحـمـد الله ثم عطاء قـوم　　　يـفكون الغنائم والرقـابا

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

بكل مقلّصٍ عبلٍ شواه إذا وضعت اعنتهن ثابا

قال : ويدل على ان هذا البيت من هذه القصيدة ، أنه لم يوجد في قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه . - والشاهد في هذا البيت أنه أراد بالسماء الغيث ، وبالضمير الراجع إليه من « رعيناه » النبت .

ومثلوا لما يعود إليه ضميران مُراداً بكل واحد منهما واحدٌ بقول البحتري :

فسقى الغضا والساكنيه، وان هُمُ شبُّوهُ بين جوانحي وضلوعي

فقد أراد بضمير الغضا والساكنيه المكان، وفي قوله « شبوه » الشجر .

تنبيه : الفرق بن الاستخدام والتورية هو أن التورية يراد بها أحد المعنيين، والاستخدام يراد به كلاهما .

نص :

(واللّفُّ والنَّشْرُ منَ الْبَديعِ نَزِّلْهُمَا بالْمنَزِلِ الرَّفيعِ)

(ذكْرُكَ ذا تَعَدُّدٍ تَفْصيلا أوْ هُوَ بالإجْمَال جَا مَعْقولا)

(ثُمَ لِكُلٍّ مَالَهُ بِدُونِ تَعيينه تَأتى بِهِ في حينِ)

(أنَّكَ واثقٍ من أنَّ السَّامعْ يَرُدُّهُ إلَيْهِ دُونَ مَانِعِ)

(منْهُ مُركَّبُ لَدَىَ نَشْرَته كقوْله جَلَّ : ومن رَّحْمَتِه)

(وقد يجي بغير ترتيب كما على سَبيل قول رافِعِ السما)

(لن يدخل الجنَّةَ، وهو يأتي لنفْي الالْتبَاس فيما يأتي

ش : يعني أنه من البديع اللّفُّ والنشر، وهو ذكر متعدد على جهة

التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد غير تعيين ثقة بالسامع انه يردّه إليه .

فالأول ضربان وهو المفصل :

أ : أن يكون النشر ترتيب اللّف مثل قوله تعالى في سورة القصص : ﴿ ومن رحمته جعل لكم اليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾ .

وبقول ابن حيوس :

فعلُ المدام ، ولونُها ، ومذاقُها   في مقلتيه، ووجنتيه، وريقه

ويقول ابن الرومي :

آراكُم ، ووجوهُكم ، وسيوفُكم   في الحادثات إذا دجون نجومُ
فيها معالمُ للهدى ، ومصابحُ   تجلوا الدُّجى، والأخريات رُجُومُ

ب : أن يكون النشر على غير ترتيب اللف، ومثلوا له بقول ابن حيوس :

كيف أسلو، وأنتِ حقفٌ وغُصْنٌ   وغزالٌ، لحظاً، وقداً ، وردِفَا

وبقول الفرزدق :

لقد خنت قوما لو لجأتَ إليهمُ   طريدَ دَمٍ، أو حاملاً ثِقْلَ مَغْرمِ
لألفَيْتَ فيهم مُعطياً أو مطاعنا   وراءك شزرا بالوشيج المقوَّمِ

والثاني : وهو المجمل مثلوا له بقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هود أو نصارى ﴾، فإن الضمير في « قالوا » يعود لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فكان المعنى : وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ؛ فلفّ بين القولين، ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله، ولأن اللبس هنا مأمون، لما هو

معروف من العداوة بين الفريقين وأن كل واحد منهما يعتقد ضلال الآخر .

نص :

(مِنَ الْبَـديعِ المَعْنَوِي الجَـمْعُ بأنْ ... تَجْـمَعَ بَيْنَ مُـتَعَـدِّدٍ قَـمِنْ)

(بِجَـمْعِـهِ بالحُكْمِ، ذَا قَـدْ أوْجَـدَهْ ... قَـولٌ لراجِـزٍ يَذُمُّ العَـرْبَدَةْ)

(إنَّ الشَّـبَـابَ ، والفَـرَاغَ، والجِـدَةْ ... مَـفْـسَدَةٌ للمـرْءِ أيُّ مَـفْـسَـدَةْ)

ش : يعني أن البديع المعنوي منه ما يدعونه بالجمع، والمعنوي في البيت بكسر الواو دون النطق بياء النسبة حفاظاً على المستفعلة ، وتعرِيف الجمع هو أن تجمع بين شيئين أوْ أشياء في حكم واحد ، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الكهف : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ ، وبقول أبي العتاهية :

ان الشـبـاب والفـراغ والجـدة ... مـفـسـدة للمـرء أيُّ مـفـسـدة

وبقول محمد بن وهيب :

ثلاثة تشـرق الدنيـا ببـهـجـتـهـا ... شمسُ الضحى ، وأبو اسحاق والْقمَرُ

نص :

(إيقـاعُ بَوْنٍ بَيْنَ أمْـرَيْنِ اطْلُقَـا ... مُـتَّـحِـدَيْ نَوْعٍ عَلى مَـا حُـقِّـقَـا)

(وَذَاكَ في سَبِـيلِ مَـدْحٍ سِـيـقَـا ... أو غَـيْـرِهِ، يَدْعُـونَهُ التَّـفْـرِيقَـا)

ش : ان البديع المعنوي منه ما يدعونه التفريق، وهو ان تجعل تباينا بين أمرين من نوع واحد على سبيل المدح أو على سبيل الذم، ومثلوا له بقول رشيد الدين الوطواط محمد بن عبد الجليل :

مـا نوال الغـمـام وقتَ ربيع ... كنوال الأمـيـر يومَ سـخـاء

فنوالُ الأمـيـر بدرةُ عَـيْنٍ ... ونوالُ الغـمـام قطرةُ مـاءِ

وقوله أيضاً، وقيل لغيره :

من قاس جدواك بالغمام فما — أنصَفَ في الحكم بين شكلَيْنِ
أنت إذا جدت ضاحك أبداً — وهو إذا جادَ دامِعُ عَيْنَ

نص :

(وإنْ ذكرْتَ مُتَعَدِّداً فَقَدْ — ثُمَّ أضَفْتَ مَا بِكُلٍّ انفرَدْ)
(فَذَلِكَ الْقِسْمُ هُوَ التَّقْسِيمُ — لِلْمُتَلَمِّسِ : ولاَ يُقِيمُ)

ش : يعني أن التقسيمُ من البديع المعنوي ، وان تعريفه : ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل إليه على التعيين، وأنهم مثلوا له بقول جرير بن عبد المسيح المتلمس :

ولا يقيم على ضيم يراد به — الا الأذلان غير الحي والوتدُ
هذا على الخَفِ مربوط برمته — وذا يشجُّ فلا يرثى له زحَدُ

ومثلوا له أيضاً بقول أبي تمام :

فما هو إلا الوَحْيُ أو حدُّ مُرْهفٍ — تُميلُ ظباهُ أخْدَعَيْ كُلِّ مَائلِ
هذا دواء الداء من كل عالم — وهذا دواء الداء من كل جَاهِلِ

نص :

(واجْمَعْ مَعَ التَفْريقِ في ذا الْبَابِ — إدْخَالُ شَيْئَيْنِ بِمَعْنَى رابٍ)
(وفَرِّقَنَّ جِهَتَيْ إدْخَالِ — ذَيْنِ تَفُزْ بجَوْدَةِ المقَالِ)

ش : يعني أن الجمع مع التفريق من البديع المعنوي ، وهو ان يدخل شيئان في معنى واحد ، ويفرَّقَ بين جهتي الادخال، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وجعلنا اليل والنهار آيتين، فحونا آية الليل وجعلنا اية النهار

مبصرة ﴾ . ومثلوا له أيضاً ببيت رشيد الدين الوطواط :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حَرِّهَا)

فقد شبه قلبه ووجه حبيبه بالنار، وفرق بين جهتي التشبيه .

نص :

(واجْمَعْ وَقَسِّمْ مُتَعَدِّداً إذَا شَمَلَهُ حُكْمٌ وعَكْسٌ، مِثْلُ ذا)

(للسَّبْيِي مَا ، لأوَّلٍ، للثَّانِي بَيْتُ الأرِيبِ اللَّوْذَعِي حَسَّانِ)

ش : يعني أن البديع المعنوي منه ما يدعى بالجمع مع التقسيم، وهو الجمع بين متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، أو عكس ذلك وهو تقسيمه ثم جمعه، ثم ذكر الناظم انهم مثلوا للأول ببيت أبي الطيب المتنبي :

حتى إذا أقَام على ارباض خَرْشَنةٍ تشقى به الرُّومُ، والصُّلْبَانُ، والْبِيَعُ

للسبي مانكحوا، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ومازرعوا

فقد جمع في البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الإجمال حيث قال تشقى به الروم ثم قسَّم في الثاني وفصله .

وأشار في النظم إلى أنهم مثلوا للتقسيم مع الجمع بقول حسان رضي الله عنه :

قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهمُ أو حاولوا النَّفْعَ في اشياعهم نفعوا

سجيةٌ تلك منهم غير محدثة إنَّ الخلائق، فاعلم، شرها البدع

فقد قسم في البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأولياء، ثم جمعها في البيت الثاني حيث قال : « سجية تلك » .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن الرومي :

لو أنَّ مـــا أنتم فـــيــه يدومُ لكم ظننت مـا أنا فـيــه دائمـاً أبدا
لكن رأيت الليـالي غـيـر تاركـة مـا سـرَّ من حادث أو سـاء مُطَّردا
لقـــد سكنت إلى أنّى وانّكمُ سنستـجـد خـلاف الحـالتين غـدا

فقوله : « خلاف الحالتين » جمع لما قسَّم لطيف، وقد ازداد لطفا بحسن ما بناه عليه من قوله : « فقد سكنت إلى أنى وانكم . . » الخ .

نص :

(والْجَمْعُ مَعْ تَفْريقٍ مَعْ تَقسِيمِ أئت بِهِ أَيْضاً بِذَا التَّقْسِيمِ)
(ويُطْلَقُ التَّقْسِيمُ في أمْرَيْنِ أحْوَالُ شَيْءٍ ذُكِرَتْ في الْحِينَ)
(في حَالِ مَا تُضِفْ لِكُلٍّ حَالِ مُنَاسِباً بِهِ عَلى التَّوَالى)
(والثَّاني أنْ تَسْتَوفِيَ الأقْسَامَا بالذِّكْرِ، نِلْتَ مِ الْهُدَى الْمَرامَا)

ش : يعني أن البديع المعنوي منه الجمع مع التفريق والتقسيم، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة هود : ﴿ يوم يأتي لا تكلم نَفْسٌ إلا بإذنه، فمنهم شَقِيٌّ وسَعِيدٌ، فأما الذين شقوا ففي النَّارُ لهم فيها زفيرٌ وشَهيقٌ. خالدين فيها مادامت السَّموات والأرض إلا ما شاء ربك، إن ربك فعَّالٌ لما يريد، وأمَّا الذين سَعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، عطاً غير مجذوذ ﴾ .

وأما الجمع ففي قوله تعالى : ﴿ يوم لا تكلم نفسٌ إلا بإذنه ﴾ فان قوله ﴿ نَفْسٌ ﴾ متعددٌ معنىً لانه نكر في سياق النفي وتلك من صيغ العموم، وأمَّا التفريق ففي فوله تعالى : ﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾، وأمّا التقسيم ، ففي قوله تعالى : ﴿ فأما الذين شقوا ﴾ إلى آخر الآية الثانية .

ومن أمثلة الجمع مع التفريق والتقسيم ، قول ابن شرف القيرواني :

لُمُخْـتَلِفي الحـاجـات جـمعٌ ببـابه فـهـذا لـه فَنٌ وهـذا لـه فـنٌّ
فللخـامل العليـا ، وللمُـعْـدِمِ الغنا وللمـذْنِبِ العُـتْبَى ولِلْخَـائف الأمْنُ

ويطلق التقسيم في أمرين، أحدهما :

أن يذكر احوال الشئ مضافا إلى كل حال ما يليق بها، كقول أبي الطيب :

سـأطلب حـقي بِالْقَنَا ومـشـائخ كـأنَّهمُ من طُول مـا التـثَـمُـوا مُـرْدُ
ثِقَـالِ إذا لاَقَـواْ، خِـفَـافٌ اذا دعُـوا كـثـيـرٌ إذا اشَـدُّوا قليلٌ اذا عُـدُّوا

وقوله أيضاً :

بَدَتْ قَـمـراً ، ومَـالَتْ خَـوْطَ بَانٍ وفـاحَتْ عَنْبَـراً، ورنَتْ غَـزَالاً

وقول الآخر :

سَـفَـرْنَ بُدُوراً ، وانتـقبن أهلَّةً ومِـسْنَ غُـصُـوناً والْتَـفَـتْنَ جـآذِرا

والثاني منهما : استيفاء اقسام الشئ بالذكر، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ ثُمَّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ﴾ . ومثلوا له أيضاً بقوله تعالى في سورة الشورى : ﴿ يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، ويجعل من يشاء عقيما ﴾ . ومثلوا له أيضاً بما حكى ان اعرابياً وقف في حلقة الحسن البصري فقال : « رحم الله من تصدَّق من فضل، أو آسى من كفاف، أو آثر من قوت » فقال الحسن : « ما ترك هذا لأحد من عذر » . ومنه قول طريح بن إسماعيل الثقفي :

ان يعلموا الخير يخفوه، وان علموا　　شراً أذاعوا، وإن لم يعلموا كذبُوا

نص :

(ومِنْهُ مَا يَدْعُونَهُ التَّجْريدا　　نَزْعُكَ مِنْ ذي صِفَةٍ تَجْريدا)

(أمْراً يُمَاثِلُ الَّذِي مِنْهُ انْتُزِعْ　　مُبَالِغاً في وَصْفِهِ بِمَا انْتُزِعْ)

(تَقُولُ لِي مِنْ جَعْفَرٍ صَدِيقُ　　يَعْلَمُ مَا يَرْضَي بِهِ الصَّدِيقُ)

(وقَوْلُهُمْ لَئِنْ سَألت، فَانْتَبِهْ　　مُحَمَّداً لَتَسْألَنَّ الْبَحْرَ بِهْ)

(مِنْ ذا، خطابُ المَرْءِ نَفْسَهُ كما　　جَاءَ بِقَوْلِ شاعِرٍ، وأيُّمَا...)

(في قَوْلِهِ وَدِّعْ هَرَيْرَةَ إلخْ　　يُخَاطِبُ النَّفْسَ بِهِ، وذا رسَخْ)

ش : يعني أن التجريد من البديع المعنوي ، وتعريفه أن يُنْتَزَعَ من امر ذي صفة أمْراً آخر مثلُه في تلك الصفة ، مبالغة في كماله فيها، وهو أقسام :

منها : قولهم : لي من فلان صديق حميم ، أي بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر .

ومنها قولهم : لئن سألت فلانا لتسألن به البحر .

ومنها : نحو قوله تعالى في سورة فصلت : ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ فإن جهنم، أعاذنا الله منها والمسلمين، هى دار الخلد ، لكن انتزع منها مثلها وجعل معدًّا للكفار تهويلاً لأمرها .

ومنه نحو قولة الحماس، وهو قتادة بن مسلمة الحنفي :

ولئن بقيت لأرحلن بغزوة　　تحوي الغنائم أو يموت كريم

ومنها : مخاطبة الإنسان نفسه كقول الأعشى في معلقته :

ودِّعْ هريرة ان الركب مرتحلُ　　وهل تطيق وداعاً أيها الرَّجُلُ

نص :

(ثُمَّ المُبَالَغَةُ في ذا الْبَابِ　　مَقْبُولُهَا عِنْدَ أولي الألبَابِ)
(دَعْوَى لِوَصْفٍ أنَّهُ قَدْ بَلَغَا　　في شِدَّةٍ أَوْ ضِدِّهَا مَا بَلغَا)
(بحَيْثُ يَسْتَحِيلُ وصْفُهُ بِهِ　　أوْ أنَّهُ مُسْتَبْعَدٌ فانْتَبِهِ)
(أقْسَامُهَا التَّبْلِيغُ والأغْراقُ　　ثُمَّ الْغُلُوُّ، وهْوَ لا يُطَاقُ)

ش : ومن البديع المعنوي المبالغة، وهى أن يدَّعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعدا، لئلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف .

وتنحصر أقسامها في التبليغ، والإغراق، والغلو، لأن ما ادعى للوصف من الشدة أو الضعف إمَّا أن يكون ممكنا في نفسه أو لا، فالثاني الغلو، والأول اما أن يكون ممكنا في العادة أيضاً، أو لا : الأول التبليغ والثاني الإغراق، وهذا ما عناه النظم بالتفصيل بقوله :

نص :

(الاغْرَاقُ مُمْكنٌ بِمَا أفَادَهْ　　لكِنَّهُ مُسْتَغْرَبٌ في العَادَةْ)
(ولاَ كَذَا التبلِيغُ فَهْوَ مُمْكِنُ　　في نَفْسِهِ ، وعَادَةً قَدْ يُمْكِنُ)

أمّا الغلو : فقد مثلوا له بقول أبي نواس :

وأخَفْتَ أهل الشرك حتَّى إنه　　لتخافك النُّطَقُ الّتي لم تُخْلَقِ

واما التبليغ : فقد مثلوا له بقول امرئ القيس :

فعادى عداء بين ثورة ونعجة　　دراكا، ولم ينضح بماء فيغسلِ

فإنه وصف فرسه بأنه ادرك ثوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد ولم

يعرق، وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة .

وأمَّا الاغراق، فقد مثلوا له بقول عمرو بن الأيهم التغلبي :

ونُكْرِمُ جارنا مادام فينا ... ونُتْبِعُه الكرامة حيث مَالاَ

فإنه ادعى ان جاره لا يميل عنه إلا أتبعه الكرامة، وهذا ممتنع عادة وان كان غير ممتنع عقلاً . وحيث أن الغلو قد يعتريه القبول فان النظم تعرض لما يمكن قبوله منه بقوله :

نص :

(مقبولهَا مَا أدْخَلُوا عَلَيْة ... مُقَرِّباً لِصِحَّةٍ إِلَيْه)

(نَحْوَ يَكَادُ زِيْتُهَا يُضِيءُ ... والثَّانِي تَخْيِيلٌ يَجِيءُ)

(مُلاَزِماً، كَلَوْيَشا لأمْكَنَا ... وَثَالثُ الْقَبُولِ قَدْ تَبَينَا)

(لدىَ الْخُرُوج مَخرجَ الْخَلاعَهْ ... وَالْهَزْلِ، قَالَ مُدْمِنُ الْخَلاعَةْ)

(في شِعْرِهِ : أسكرُ بالأمْسِ إذَا ... أجْمَعْتُ شِرْبَهَا غَداً، وإنَّ ذَا)

(مِنْ عَجَب ....)

ش : يعني أن المقبول من اصناف الغلو، ما أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة، نحو لفظة «يكاد» في قوله تعالى في سورة النور : ﴿يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسه نار﴾ وفي قول ابن حمد بن الصقلي أبي محمد عبد الجبار بن أبي بكر :

ويكاد يخرج سرعة من ظلمة ... لو كان يرغب في فراق رفيق

ومنه ما تضمن نوعا حسنا من التخييل كما جاء في قول أبي الطيب :

عَقَدَتْ سنابكُها عليها عِثْيراً ... لو تبتغي عَنَقاً عليه لأمْكَنا

والثالث هو ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة ومثلوا له بقول الماجن أبي نواس في الخمر :

اسكر بالأمس ان عزمت على الشّرب غــــدا ، إن ذا من العـــجب

نص :

(.... .. والمــذْهَــبُ الْــكَــلامِ مِنَ الْبَــدِيع دُونَمَــنا مَــرامِ)

(إيرادُكَ الحُــجَّـــةَ عَنْ طَرِيق أهْلِ الْكَلامِ بُغْـيَـةَ التَّـصْدِيق)

ش : يعني ان المذهب الكلامي قسم من أقسام البديع ، وهو ان يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا﴾ وبقوله تعالى في سورة الروم : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه﴾ : أي والإعادة أهون من البدء، والأهون من البدء أدخل في الإمكان من البدء، فالاعادة إذاً أدخل في الإمكان من البدء، وهو المطلوب وبقوله تعالى في سورة الانعام : ﴿فلما أفَلَ قال لا أحبُّ الآفلين﴾ أي أفل القمر، وربي ليس بآفل، إذاً فالقمر ليس بربي .

ومثلوا له أيضاً بإعتذار النابغة إلى النعمان حيث يقول :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهبُ

لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش واكذبُ

ولكنني كنت امرأً لي جانب من الأرض فيه مستراد ومذهبُ

ملوك وإخوان إذا ما اتيتهم أحَكَّمُ في أموالهم وأقرَّبُ

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك[١] اذنبوا

---

(١) في رواية : في مدحهم لك .

فإنه قال له : أحسنت إلى قوم فمدحوك وأنا احسن إليَّ قوم فمدحتهم، فكما أن مدح أولئك لا يعدُّ ذنبا، كذلك مدحي لمن احسن إليَّ لا يعد ذنبا .

نص :

(وَحُسْنُ تَعْليلٍ بِذَا الْقَسِيمِ مُحَسِّنُ الْمَعْنَى لِذَا الْكليمِ)
(دَعْوَى لِوَصْفٍ عَلَّةٍ تُنَاسِبُ ثُمَّ لَطِيفُ الاعْتِبَارِ يُطْلَبُ)
(غَيْرُ حَقِيقي وهو أربَعَةْ والوَصْفُ إمّا ثَابِتاً وقَدْ دَعَهْ)
(إلى بَيَانِ عِلَّةِ الْوَصْفيَّةْ داعٍ، وإمَّا لا تَرى الْوَصْفيَّةْ)
(ثابتةً، لكنَّهُ يُريدُ إثْبَاتَهَا والثَّابتُ الْمفيدُ)
(إمَّا يَكونُ ظَاهِرَ التَّعْليلِ بغَيْرِ مَا قَدْ ذكَرتْ في القيلِ)
(أَوْ هُوَ في الْعَادَةَ لا عِلَّةً لَهْ وَغَيْرُ ثابت فيمَا قَدْ أصَّلَهْ)
(تَجِدْهُ مُمْكِناً وَغَيْرَ ذَلك أرْجُو سُلُوكَ أرْشَدِ الْمَسَالِكْ)

ش : أفاد في هذه الأبيات أن البديع المعنوي منه ما دعى بحسن التعليل، وهو أن يُدَّعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي، وهو أربعة أقسام :

لأن الوصف إمَّا ثابت قصد بيان علته، أو غير ثابت أريد إثباته؛ والأول : إمَّا أن لا يظهر له في العادة علة، أو يظهر له علة غير المذكورة، والثاني : إمَّا ممكن أو غير ممكن فأما الوصف الذي لا يظهر له في العادة علة، فقد مثلوا له بقول أبي الطيب :

لم يحك نائلك السَّحاب وإنَّما حمَّتْ به فصبيبُها الرُّحضاءُ

فإن نزول المطر لا يظهر له في العادة علة .

ومن لطيف هذا الضرب قول أبي هلال العسكري :

زعم البنفسج أنه كعذاره حُسْناً، فسلُّوا من قَفَاه عَذَارَه

وأمَا ما تظهر له في العادة علة غير المذكورة، فمثاله قول أبي الطيب :

مَا به قَتْلُ أعدائه، ولكن يتَّقي إخْلاف ما ترجو الذئابُ

فإن قتل الملوك أعداءهم في العادة لإرادة هلاكهم حتى يصفو لهم ملكهم من منازعات الأعداء، لا لما ادعاه من أن طبيعة الكرم غلبت عليه، ومحبة تصديق رجاء الراجين هى التي بعثته على قتل اعدائه، لما علم أنه كلما خرج غازياً خرجت الذئاب في أثره تتوقع أن يتسع رزقها لكثرة قتله لأعدائه . وهذا مبالغة في وصفه بالجود، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي أي انه يتناهى في الشجلعة حتى ظهر ذلك للحيوان العجم، فإذا خرج محاربا رجت الذئاب أن تنال من لحوم اعدائه .

ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر :

أتتني تؤنبني بالبكاء فأهلاً بها وبتأنيبها

تقولُ وفي قَولِهَا حشمَةً أتبكي بعين تراني بها

فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها

ذلك ان العادة في دمع العين أن يكون بسبب اعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب ، لا لأجل ما جعله سبباً له من جعله تأنيباً للعين على اساءتها باستحسان غير الحبيب .

وأما الثالث : وهو الممكن ما ذكر من عليّه، فقد مثلوا بقول مسلم بن الوليد :

ياواشيا حَسُنَتْ فينا إساءته نَجَّي حذارُك إنساني من الْغَرَقِ

فإن استحسان إساءة الواشي ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عقَّبه بذكر سببه، وهو أنَّ حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق في الدموع، وما حصل ذلك بسببه فهو حسن .

وأمَّا الرابع : وهو المستحيل ما ذكر من علته، فقد مثلوا له بما نسبوه ترجمة لبيت فارسي :

لو لم تكن نيَّةُ الجوزاء خِدْمَتَهُ لما رأيت عليها عقد مُنْتَطِقِ

فإن هذا التعليل ممتنع لإستحالة أن تكون نية الجوزاء خدمة ممدوحه .

نص :

(مِنَ الْبَديع المعَنْوِي التَّفْرِيعُ مَكَانُهُ في فَنِّهِ رَفِيعُ)

ش : يعني أن التفريع من البديع المعنوي وانه ذو مكانة رفيعة في هذا الفن، وهو أن يثبت لمتعلق أمرٍ حكمٌ بعد إثباته لمتعلقٍ له آخر، ومثلوا له بقول الكميت :

احلامكم لسقام الجهل شافيةً كما دماؤكم تشفى من الكلب

فقد فرَّع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل، وصفهم بشفاء دمائهم من الكلب وهو وصف كنى به عن سؤددهم وشرف أنسابهم ، لأن عقائد العرب في الجاهلية، أن دواء داء الكلب شرب دماء الأشراف السادة .

نص :

(وأكَّدُوا مَدْحاً بما يُشابِهْ ذَمًّا ، يُرىَ ضَرْبَيْنِ إذْ يُجَابِهْ)

(فأوَّلُ اسْتِثناؤُهُمْ مِن ذَمِّ في حالة النَّفْي امْتِداحاً يَنْمى)

(والثاني اثباتً لِمدحٍ يُعْقَبُ بكأداة النَّفْي مَدْحاً تُعْقَبُ)

ش : يعني أن تأكيد المدح بما يشبه الذم من البديع المعنوي ، وهو قسمان : افضلهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشئ، صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أي ان كان فلول السيف من قراع الكتائب عيباً فأثبت ذلك العيب لهم وهو محال ان يكون من العيب، فهو معنى التعليق بالمحال كقولهم « حتَّى يبيضَّ القار » .

والثاني : ان يثبت لشئ صفة مدح. ويعقب ذلك بأداة الاستثناء، ثم يأتي بعد الأداة بصفة مدح أخرى له، ومثلوا له بالحديث « أنا أفصح العرب بيد اني من قريش » .

ومنه قول النابغة الجعدي :

فَتَي كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى على المال باقيا

نص :

(بِمَا يُشَابِهُ الْمَدِيحَ أكَّدُوا ذمّاً كما من قَبْلِهِ قَدْ أوْرَدُوا)

ش : يعني أن البديع المعنوي منه أيضاً تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهو مثل سابقه ضربان : ان يستثنى من صفة مدح منفية عن الشئ صفة ذمٍّ بتقدير دخولها فيها مثاله أن تقول : فلان لا خير فيه إلا أنه يُسيءُ إلى من يحسن إليه.

والثاني : ان يثبت للشئ صفة ذم، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم اخرى له، مثاله أن تقول : فلان فاسق إلا انه جاهل .

نص :

(وَمِنْهُ الاسْـتِـتْبَـاعُ والإدْمَـاجُ كـذلك التَّـوْجـيـه، لاَ إحْـراجُ)

يعني أن البديع المعنوي منه الاستتباع، والادماج، والتوجيه .

أما الاستتباع : فهو المدح بشئ على وجه يستتبع المدح بشئ آخر، كقول أبي الطيب :

نهبت من الاعمار مالو حويته لَهُنِّئَتِ الدنيا بأنك خالد

فإنه مدحه ببلوغه الغاية في الشجاعة لأنه بلغ قتلاه بحيث لو ورث اعمارهم لَخُلِّدَ في الدنيا، على وجه استتبع مدحه بأنه صلاح للدنيا ونظامها، وذلك انه جعل الدنيا مهنأة بخلوده لو خلِّد .

وأمَّا الادماج : فهو أن يضمن كلام سيق لمعنىً، معنىً آخر، وهو أعمُّ من الاستتباع ومثاله قول أبي الطيب :

أقَلِّبُ فيه أجفاني كأني أعُدُّ بها على الدهر الذُّنُوبَا

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر، أو هو ضمن إثبات السهاد لنفسه الشكاية من الدهر ، فإن قوله : اقلب فيه اجفاني ، كناية عن الأرق والسهاد، وعد ذنوب الدهر كناية عن الشكوى منه .

ومنه قول ابن نُباتة :

ولابدَّ لي من جهلة في وصاله فمن لي بخِلٍّ أودِعُ الحِلْمَ عِندَه؟

فإنه ضمن الغزلَ الفخر بكونه حليما، ذلك انه كنى عنه بالاستفهام عن وجود خليل صالح ليودعه حلمه، منبها بذلك على أنه لا عزم له على مفارقة حلمه، ولكن وصل هذا المحبوب يستلزم الجهل، فهو يريد من يودعه حلمه،

حتى يقضي نحبه من وصل حبيبه ويسترد حلمه .

وأمَّا التوجيه : فهو إيراد كلام يحتمل وجهين مختلفين، ومثلوا به بقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ واسمع غير مسمع وداعنا ﴾ . قال الزمخشري : « غير مسمع » حال من المخاطب ، أي اسمع وانت غير مسمع، وهو قول ذو وجهين، يحتمل الذم قدر معناه : اسمع منا مدعواً عليك بـ « لاسَمْعتَ » لإنه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع، وكان أصم غير مسمع، قالوا ذلك اتكالاً على أن دعوتهم مستجابة .

وقيل معناه : اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، إلى غير ذلك من الإحتمالات السيئة ويحتمل المدح : أي اسمع غير مسمع مكروها، من قولهم اسمع فلانٌ فلاناً إذا سبه وكذلك قوله « راعنا » فإنه يحتمل راعنا نُكلِّمك أي ارقبنا وانظرنا، كما يحتمل كلمة أخرى غير عربية كان اليهود يتسابون بها ، فهي سريانية أو عبرانية هي « راعي » فكانوا لسخريتهم بالدين واستهزائهم به وبرسول الله ﷺ ، يكلمونه بكلام محتمل، ينوون به الشتيمة والإهانة، ويظهرون به الوقير والاحترام .

ومثلوا للتوجيه أيضاً بقول بشار بن برد في خياط اعور يدعى عمراً، قال

خاط لي عمرو قباءً ... ليت عينيه سواءً

نص :

(والْهَزْلُ مِنْهُ ما يرادف الجِدُّ ... بِ وضُوحُ ذا الْقَسِيمِ يَبْدُو)

ش : يعني أن البديع المعنوي منه ما يسمى الهزل الذي يراد به الجدُّ، قالوا : فترجمته تغني عن تعريفه، ومثلوا بقول أبي نواس :

إذا مـا تميـميٌّ أتاك مُـفـاخِـراً ... فَقُلْ: عدِّ عن ذا ، كيْفَ أكلُكَ للضّبِّ

وبقول امرئ القيس :

وقـد علِمَتْ سلمى وإن كـان بعْلَهـا ... بأن الفـتى يهـذي وليس بفـعَّـالِ

نص :

(من البَّـديع المعنويِّ مـا عُـرِفْ ... بإنَّـه تَجـاهُلُ الَّذي عَـرَفْ)

(أوْ هُوَ سَـوْقُ مـا عُلمْ مُّـسَاقَـا ... غـيْـرٍ، لنُكْتَـةِ تَجِي اتِّفَـاقَـا)

ش : يعني أن البديع المعنوي منه ما يُدعى تجاهلَ العارف، وقد سماه السكاكي : سوقُ المعلوم مساق غيره لنكته، كالتوبيخ مثلاً في قول ليلى بنت طريف الخارجية في رثاء أخيها الوليد بن طريف :

أيا شـجـر الخـابور مـالك مـورقـاً ... كـأنك لم تجـزعْ على ابن طريف

وهذا البيت لها من قصيدة من الطويل مطلعها :

بتلٍّ نبـاتي رسمُ قـبْـرٍ كـأنه ... على علم فـوق الجـبـال منيف

تضـمَّن جـودا حـاتميـا ونائلا ... وسـورة مـقـدام وقلب حـصـيف

وبعده البيت .... وبعده :

فـتىً لا يُعِـدُّ الزاد إلا من التُّـقى ... ولا المال إلا من قنىً وسـيـوف

ولا الذخْـرَ الاكل جـرداء صلدم ... مـعـاودة للكريهن صـفـوف

كـأنك لم تشـهـد هناك ولم تقم ... مقاما على الأعداء غير حفيف

ولم تسـتلم يومـاً لوردِ كـريهـة ... من السرد في خضراء ذات لفيف

ولم تسمع يوم الحرب والحرب واقع ... وسـمـرُ القنا يهـزنهـا بأنوف

حليف النَّدى ما عاش يرضىَ به الندى ... فـإن مـات لم يرض النَّدى بحليف

فقدناك فقدان الشباب وليتنا فديناك من فتيانا بألوف

ومازال حتى ازهق الموت نفسه شجيً لعدوٍّ أونجاً لضعيف

ألا يالقومي للحمام وللبلى وللأرض همَّتْ بعده برجيف

وللبدر من بين الكواكب قد هوى وللشمس لما ازمعت لكسوف

ولِلَّيث كل الليث إذ يحملونه إلى حفرة ملحودة وسقيف

ألا قاتل اللّهُ الرَّدى حيثُ أضْمرت فتىً كان للمعروف غير عيوف

فإن يك أرداه يزيدُ بنُ مِزْيَدٍ فرُبَّ زحوف لفَّها بزحوف

عليه سلام الله وقفا فإنَّني أرى الموت وقَّاعاً بكل شريف . أهـ.

ومحل الشاهد هنا التوبيخ، فإنها تعلم أن الشجر لا يجزع على ابن طريف لكنها تجاهل واستعملت «كأنَّ» للدلالة على الشك، والله أعلم .

ومن أمثلة تجاهل العارف قول البحتري يمدح الفتح بن خاقان :

ألمعُ برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالنظر الضَّاحي

والشاهد في البيت : تجاهل العارف للمبالغة في المدح، فإنه بالغ في مدح ابتسامتها بحيث لم يفرق بينه وبين لمع البرق وضوء المصباح، كما هو ظاهر .

ومن أمثلة تجاهل العارف لنكتة التدله في الحب في قول ذي الرمة :

أيا ظبية الوعْساء بين جلاجل وبين النقا أأنت أمْ أمُّ سالم

ومثلوا له لنكتة التعريض بقوله تعالى في سورة سبأ : ﴿واناواياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ . قال في الإيضاح : وفي مجيء هذا اللفظ على الإيهام فائدة أخرى، وهى أنه يبعث المشركين على الفكر في حال أنفسهم

وحال النبي ﷺ والمؤمنين، وإذا فكروا فيما عليه : من اغارات بعضهم على بعض، وسبي ذراريهم، واستباحة أموالهم، وقطع الأرحام، واتيان الفروج الحرام، وقتل النفوس التي حرم الله قتلها، وشرب الخمر التي تذهب العقول وتُحَسِّنُ ارتكاب الفواحش، وفكروا فيما عليه النبي ﷺ والمؤمنون : من صلة الأرحام، واجتناب الآثام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإطعام المساكين، وبر الوالدين، والمواظبة على عبادة الله تعالى، علموا أن النبي ﷺ والمسلمين على هدى، وأنهم على الضلالة، فيبعثهم ذلك على الإسلام، وهذه فائدة عظيمة.

نص :

(وَالْقَولُ بالْمُوجَبِ مِنْ ذَا الْبَابِ ... وَهُوَ ضَرْبَانِ عَلى الصَّوَابِ)

(إثْبَاتُ وَصْفٍ في كَلاَمِ الْغَيْرِ ... لِغَيْرِ مَا أثبتَهُ مِنْ غَيْرِ)

(تَعَرُّضٍ بِنَفْيٍ أوْ إثْبَاتِ ... لذلكَ الوَصْفِ لَدَى الأثْبَاتِ)

(مِثَالُهُ: لَئِن رَّجَعْنَا، الآيَةْ ... رَدّاً عَلى الْمُنَافِقينَ غَايَةْ)

ش : يعني ان القول بالموجب مِن البديع المعنوي ، وهو ضربان :

أحدهما : أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شئ أثبت له حكم، فتُثْبتَ في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشئ، من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له، أو في انتفائه عنه، ومثلوا له بقوله تعالى في المنافقون : ﴿ يَقُولُونَ لئن رَّجَعْنَا إلى الْمَدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ، ولله الْعِزَّةُ وَلِرَسُوله ولِلْمُؤْمنينَ ﴾ فإنهم كنوا بالأعز عن فريقهم، وبالأذل عن فريق المؤمنين، وأثبتوا للأعز الإخراج فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله

وللمؤمنين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة، ولا لنفيه عنهم .

والنوع الثاني من القول بالموجب هو حمل لفظٍ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه، ومثلوا له بقول لمحمد بن إبراهيم الأسدي :

فقلتُ ثَقَّلتُ إذْ أتَيْتُ مِرَاراً قال: ثقَّلْتَ كاهِلي بالأبادي
قُلْتُ: طَوَّلْتُ قالَ لا، بل تَطوَّلْتَ وأبرمْتُ، قال: حبل وادي

والشاهد فيه قوله « ثقلت » و « أبرمت » دون قوله « طولت » فانه لا يصلح للاستشهاد في هذا الباب لأنه نقضه بالنفي الذي هو قوله « لا » وأثبت فعلاً آخر له .

ومن أمثلة هذا التقسيم الثاني منه قول القاضي الأرَّجاني :

غَالطتني إذْ كستْ جِسْمِي الضَّنا كُسْوَةً عَرَّتْ مِنَ اللَّحمِ الْعِظَامَا
ثُمَّ قَالَت: أنْتَ عِنْدِي في الْهَوَى مِثْلُ عَيْنِي، صَدَقَتْ لكن سِقَامَا

فالضنا : يعني به المرض والهزال، وكسوة الجسم به مجاز عن شموله واحاطته، وقوله سقاما أي مرضا، وهو وجه المماثلة في رايه بين نفسه وعين حبيبته .

ومن أمثلته كذلك قول ابن دويد المغربي من أبيات يخاطب بها رجلاً أودع بعض القضاة مالا فادَّعى القاضي ضياعه :

إن قال قد ضاعت، فيصدق انَّها ضاعت، ولكن منك يعني لو تَعي
أو قال قد وقعت فيصدق انَّها وقعت، ولكن منه احسن موقَع

ومن البديع المعنوي الاطِّراد ، وهو ان يأتي بأسماء الممدوح أو غيره، وأسماء آبائه على ترتيب الولادة، من غير تكلف في السبك، حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده وسهولته وانسجامه، ومثلوا له بقوله ﷺ : «الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم» .

ومنه قول دريد بن الصمة :

قتلنا بعبد الله خير لداته ذُؤاب بنَ أسماءَ بْنِ زيد بْنِ قاربِ

وفي البيت تعرض لذكر المقتول به، وقيل : إن عبد الملك ، لشرف المقتول، قال لما سمع البيت : لولا القافية لبلغ به آدم .

ومنه قول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثَلَلْت عروشهم بعتبة بن الحارث بن شهاب

المُحسِّنَاتُ اللفظيّة

نص :

(ثُمَّ تَلِي مُحَسِّنَاتُ اللَّفْظِ   مِنْهَا الْجِنَاسُ عِنْدَ أَهْلَ الحِفْظِ)

(وهو أَنْواعٌ عَلى مـا حُقِّقَا   فذُو التَّمَامِ مِنْهُ ان يَتَّفِقَا)

(في نَوْعِ حَرْفٍ، هيئَةٍ، والعَدِّ   مَعَ تَرَتُّبٍ على مَا أَبْدِي)

(فإِنْ تَجِي بِذَينْ من كاسْمَيْنِ   دُعِي مُمَاثِلاً بِدُونِ مَيْنِ)

ش : يعني أن بعد المحسنات المعنوية تأتي المحسنات اللفظية، ومنها ما يدعوه أهل الفن بالجناس ، والجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ ، وهو أنواع :

منها الجناس التام ، وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها وترتيبها ؛ فان كان اللفظان من نوع واحد، بأن كان اسمين، أو فعلين، أو حرفين، فإنه لذلك يسمى : جناساً مماثلاً، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الروم : ﴿ ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الُمجْرِمُونَ مَالبِثُوا غيْرَ سَاعَة ﴾ .

وبقول أبي سعيد المخزومي عيسى بن خالد :

حَدَقُ الآجَالِ آجَالُ   والْهَوىَ للمرء قَتَّالُ

فإن الأول جمع واجْل بالكسر، وهو قطيع بقر الوحش، والثاني جمع أجل الذي هو منتهى العمر .

نص :

(وإنْ يَكُنْ لِذَا الجِنَاسِ أوْفَى   بِاسْمٍ وَفِعْلٍ، سَمِّهِ مُسْتَوفَى)

ش : يعني انه إن كان الجناس أدَّاه المتكلم بكلمتين من نوع كاسم وفعل مثلاً فانهُ حينئذ يدعى مستوفىً، ومثلوا له بقول أبي تمام :

مـا مـات من كـرم الزمـان فـإنه — يحي لدى يحى بن عـبـد الله

ومنه قول محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدي يرثي ابنه :

وسـمـيـتـه يحى ليـحى فلم يكن — إلى رد أمـر الله فـيـه سـبـيـلُ

نص :

(وَإنْ تُـركِّبْ أحَـــدَ اللَّفْظَـيْـن — فَــهْــوَ مُــركَّبٌ، وعَن يَقِين)

(فـــإن يَـكُنْ بِـكِـلْمَـــةِ وبَـعْض — بِوَسْم مَــوْفُــور عَلَيْــه فـاَقْضِ)

ش : يعني ان الجناس التام ان كـان أحـد لفظيـه مـركـبـا سـمى جناس التركيب، ثم المركب منهما إن كان مركبا من كلمة وبعض كلمة سمى جناسا مركبا موفورا، ومثاله : قول الحريري :

لاتَلْهُ عن تَـذكَـــارِ ذنبك وبْكِـه — بِدَمْعٍ يحـاكي الْوَبْلَ حَـالَ مَـصَـابِهِ

وَمَـثِّلْ لعـينَيْكَ الحِـمَـامَ ووَقْـعَـهُ — وروْعَـــة مَلْقَـــاهُ وطَعْمَ صَـــابِهِ

فان جناس التركيب الموفور هنا واقع بين : مصابه : مصدر ميمي بمعنى صوبه أي انصبابه ونزوله ، وبين « مَ صابه » في آخر البيت الثاني ، فان الميم جزء من آخر « طعم » ضمت لفظ إلى كلمة « صابه » والصاب شجر مر المذاق .

نص :

(ومُـــتّـــشـــابِـهٌ لما في الْخَطِّ — يتّـفِـقَـانِ في مَـجَـالِ الضَّـبْطِ)

فان اتفقت كلمتا الجناس التام المركب في الخط سمى جناسا تاما مركبا متشابها كقول ابي الفتح البستي :

إذا ملك لم يكن ذا هِيبَةْ فدَعْهُ، فدولته ذَاهِبَةْ

فالجناس هنا بين كلمتي ذاهبه أي صاحب هبه، وبين كلمة ذاهبه، اسم فاعل من ذهب لكنه اتفق خطا ولفظا .

نص :

(وإن تخالَفَا فمَفْرُوقاً وسِمْ مِثَالُهُ: تَهْذِي بِهَا فِيما رُسِمْ)

ش : يعني انهما ان اختلفا في الخط واتفقا في اللفظ كان الجناس تاما مركبا مفروقا ومثلوا له بقول ابي عمر بن على المطوعي :

لا تَعْرِضنَّ على الرُّوَاةِ قَصِيدَةً مالم تُبَالِغْ قَبْلُ في تَهْذِيبَها

فمتى عرضت الشعر غير مُهَذَّبٍ عدُّوه مِنكَ وساوسا تَهْذِىَ بها

وبقول أبي الفتح :

كلكم قد أخذ الْجَا مَ ولا جَامَ لَنَا

ما الذي ضر مُدير الْجَامِ لو جامَلَنَا

فالجام الأول يعني الكاس، يقول لا كأس لنا، فوقع الجناس بين جامَ لنا وبين جاملنا من المجاملة .

ثم أن الجناس التام في غاية الحسن لتمام الفائدة وحسنها .

نص :

(أمَّا الْمحَرَّفُ فَفي ظُرُوف بِهَا اخْتِلاَفُ هَيْئَةِ الحروف)

(ان كَانَ في أعْدَادِهَا فنَاقص أنْوَاعُه رتِّبْ لَهَا المَقَانِصْ)

ش : يعني انه إن اختلفت هيئات الحروف فقط سمى الجناس محرفا، وهو أنواع لان الاختلاف قد يكون في الحركة فقط، ومثلوا له بقوله تعالى في

الصافات : ﴿ ولقد أرْسَلْنَا فيهم مُنْذِرينَ فانْظرْ كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرين ﴾ .

ومنه قولك : « الجهول إمَّا مُفْرِطٌ، وإمَّا مُفَرِّطٌ » قال في الإيضاح : والمشدَّدُ هذا الباب يقوم مقام المخفَّف نظرا إلى الصورة : فاعلم .

وقد يكون الاختلاف في الحركة والسكون كقولهم : « البدعةُ شَرَكُ الشِّرْكِ » .

وكقول أبي العلاء المعرِّي :

والحسن يظهر في بيتين رونقه بيتٍ من الشِّعْرِ، أو بَيْتٍ مِن الشَّعَرِ

وإن كان الاختلاف واقعاً في أعداد الحروف فقط، سُمِّي ناقصاً، وقد يكونَ ذلك على وجهين : أحدهما :

ان يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة القيامة : ﴿ والْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إلى ربِّكَ يَوْمَئِذٍ المساق ﴾ .

أو يكون الحرف زائدا في الوسط كقولهم : « جَدِّي جَهْدِي »

أو يكون الحرف زائداً في الآخر. كقول أبي تمام :

يَمُرونَ من أيْدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ تَصُولُ بأسْيَافٍ قواضٍ قَواضِبِ

وكقول البحتري :

لئن صَدَفَتْ عنَّا فَرُبَّتَ أنْفُسٍ صوادٍ إلى تِلْكَ الْوُجُوه الصَّوادِفِ

وربما أطلق على هذا القسيم الثالث من الجناس الناقص، مُطرَّفاً، وهو حسنٌ ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة، كالميم من عواصم أنها هى التي مضت وإنما أتى بها للتأكيد ، حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ، ووعاها سمعك، انصرف عنك ذلك التوهم .

والوجه الثاني : ان يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد ، كقول الخنساء :

إن البكاءَ هو الشِّفا ءُ مِنَ الجَوَى بَيْنَ الجوانِحْ

وربما سمى هذا الضرب مذيلا .

نص :

(وَحَيْثُما تَقَارَبَ الْحَرْفَان كَانَ مُضَارَعاً بلاً بُهْتَانِ)

(والْعَكْسُ يُسْمَي لاحِقاً وعزهْ مِثَالُهُ وَيْلٌ لِّلكُلِّ هُمَزَةْ)

ش : يعني أن الحرفين المختلفين إن كانا متقاربين سمى الجناس مضارعاً، ويكونا في الأول كقول الحريري : بيني وبين كني لَيلٌ دامسٌ وطريقٌ طامس، وإما في الوسط، ومثلوا له بقوله تعالى في الأنعام : ﴿ وهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وينْأوْنَ عَنْهُ ﴾ وقول بعضهم : «البرايا أهدافُ البلايا» .

واما في الآخر، ومثلوا له بالحديث الشريف : «الخيْلُ مَعْقُودٌ في نواصيها الْخَيرُ إلى يوم القيامة» . وان كانا غير متقاربين سمى الجناس لاحقا، وهذا ما عناه الناظم بقوله : والعكس يسمى لاحقا ؛ وقد يكونان أيضاً إما في الأول، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الهمزة : ﴿ وَيْلٌ لكل هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ وبقول بعضهم : «رُبَّ وَضيٍّ غيرُ رَضيٍّ» ، وقول الحرير : «لا أعطي زمامي لمن يخفر ذمامي» .

وإما ان يكونا في الوسط ، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة غافر : ﴿ ذلكُمْ بما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ في الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُون ﴾ وبقوله تعالى في سورة العاديات : ﴿ وإنَّه عَلى ذَلِك لَشَهِيدٌ، وإِنَّهُ لِحبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ .

وقد يكونان في الآخر، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ ﴾ . وقول البحتري :

هل لما فات من تلاقٍ تَلافِ ... أمْ لشاكٍ من الضبابة شافي

نص :

(وإنْ يَكُ الْخُلْفُ لَدَى تَرْتيب ... حُرُوفِهِ، عُرِفَ بالْمَقْلُوب)

ش : يعني أن اللفظين المتجانسين إن اختلفا في ترتيب الحروف، سمى جناس القلب وهو ضربان : قلْبُ الْكُلِّ ، كقولهم : « حُسَامُهُ فَتْحٌ لأوْليائه حَتْفٌ لأعدائه » . وقَلْبُ البعض، كما جاء في الخبر : (« اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وآمِنْ رَوْعَاتِنَا ») .

وكقولهم : رحم الله امرأً أمْسَكَ ما بين فكَّيْهِ، وأطلقَ ما بينَ كفَّيْهِ.

ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

مُمَنَّعَةً مُنَعَّمَةً رَداحٌ ... يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطير الْوقُوعَا

نص :

(فإنْ يَجِي أحَدُ ذَيْنِ في ابتدا ... بَيْتٍ وَفي آخره ثَانٍ بَدَا)

(فَسَمِّهِ مُجَنَّحاً مَقْلُوبا ... تَنَلْ بِمَا عَرَّفْتَهُ المَطْلُوبا)

ش : يعني أنه إن وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت، والآخر في آخره ، سمى الجناس مقلوبا مجنحاً .

نص :

(وَحَيْثُمَا كلِمَتَا الجِنَاسِ ... توَالَتَا مِنْ غَيْرِ مَا الْتِبَاسِ)

(فَسَمِّهِ مُزْدَوجاً في الْحِينِ ... كَقَوْله بِنَبَإٍ يَقِينِ)

ش : يعني أنه ان اتفق ان وَلي أحدَ المتجانسين الآخر سمى مزدوجاً، ومكررا ومردَّدا. ومثلوا له بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وجْئتُكَ مِن سَبَإٍ بنَبَإٍ يَقين ﴾ وبما جاء في الخبر «المؤمنون هَيْنُونَ ليْنُونَ» وبقولهم : النبيذ بغير النَّغم غمٌّ وبغير الدسم سم .

نص :

(وَجَمْعُ الاشْتِقَاقُ لِلَّفْظَيْنِ يُلْحَقُ بالجِنَاسِ دُونَ مَيْنِ)

(مِثَالُ ذا الْقَسِيمِ قَدْ أراهُ مَا وَصَفَ الظُّلْمَ بِهِ الأوَّاهُ)

ش : يعني انه يلحق بالجناس أن يجمع اللفظين الاشتقاقُ، ومثلوا لذلك بقوله تعالى في سورة الروم : ﴿ فَأقِمْ وَجْهَكَ لِللدِّين الْقَيِّمِ ﴾ وقوله تعالى في سورة الواقعة : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ وبقوله ﷺ : (الظُّلْمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيامَةِ) وقول الشافعي رحمه الله وقد سئل عن النبيذ : «أجمع أهل الحرمين على تحريمه» ، ومنه قول محمد بن وهيب :

قَسَمْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ بأساً ونائلاً فَمَا لَكَ مَوْتُورٌ، وسَيْفُكَ واتِرُ

ويلحق بالجناس أيضاً ان تجمعهما المشابهة ، وهى ما يشبه الاشتقاق وليس به : ومثلوا لذلك بقوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ إثَّاقَلْتُمْ إلى الأرض، أرَضِيتُمْ بالْحَياة الدُّنْيا مِن الآخِرَةِ ﴾ وبقوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ قَالَ إنِّي لَعَمَلِكُمْ من الْقَالِينَ ﴾ وبقوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ وجَنَي الجنتين دَانٍ ﴾ .

ومثلوا له أيضاً بقول البحتري :

وإذا مَا رياحُ جُودك هبَّتْ صار قَولُ العَذُولِ فيها هَبَاءَ

وقد أشار في النظم إلى هذا القسيم بقوله :

نص :

(ثُمَّ الَّذِي يُشْبِهُ الأشْتِقَاقا وَلَيْسَ مِن ذَلِكُم اتِّفَاقا)
(كَقَوْلِه فِي الْوَصْفِ لِلْجِنَانِ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الرَّحْمنِ)

وقد تبين لك مما تقدم المراد بذلك بامثلته والله الموفق .

نص :

(وَرَدُّكَ الْعَجُزَ لِلصَّدَارَهْ جَاءَ مِنَ الْبَدِيعِ فِي الصَّدَارَهْ)
(فِي النَّثْرِ جَعْلُ أحَدِ اللَّفْظَيْنِ مُكرَّرَيْنِ أوْ مُجَانَسَيْنِ)
(فِي أوَّلِ الفِقْرَةِ ثُمَّ الآخِرْ آخِرَهَا تَجِي بِحُسْنٍ زاخِرْ)
(كَقَوْلِه أحَقُّ أن تخْشَاهُ مِنْ بَعْدِ ما وتَخْشَى فِي ابْتِدَاهُ)

ش : يعني أنه من المحسنات اللفظية ما يعرف عند أهل الفن بردِّ العَجزُ على الصدر، وهو في النثر : جعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، في أول الفقرة، والآخر في آخرها، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وتَخْشَى النَّاسَ والله أحَقُّ أنْ تَخْشَاهُ ﴾ وقولهم : « سائل اللئيم يرجع دمعه » .

نص :

(فِي الشَّعْرِ جِئْ بأحَدِ اللَّفْظَيْنِ فِي صَدْرِ مَصْرَاعٍ بِدُونِ مَيْنِ)
(أوْ حَشْوِهِ أو آخرٍ، وإلاَّ فَفِي ابْتِداءِ الثَّانِي نِلْتَ السُّولاَ)
(فِي حَالِ أنَّكَ تَجِي بِالثَّانِي بآخِرِ الْبَيْتِ بِلاَ تَوانِي)

ش : مفاد هذا أن رد الصدر على العَجُز في الشعر هو : أن يكون أحد

اللفظين المكررين أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه أو آخره، أو صدر الثاني. فمثال الأول كقول الشاعر، وهو المغيرة بن عبد الله الأقيشر :

سريعٌ إلى ابن العمِّ يلطم وجهه ... وليس إلى داعي النّدا بسريع

حريصٌ على الدنيا مضيعٌ لدينه ... وليس لما في بيته بمضيع

ومحل الشاهد البيت الأول .

ومثال الثاني قول الحماسي وهو الصمة بن عبيد الله القشيري :

تمتَّعْ من شميم عرار نجدٍ ... فما بَعْدَ العشيَّةِ من عَرَارِ

ومثال الثالث قوله أيضاً :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما ... فمازلت بالبيض القواضب مغرما

ومثال الرابع قول ذي الرمة غيلان بن عقبة :

ألماً على الدار التي لو وجدتها ... بها أهلها ماكان وحشا مقيلها

وإن لم يكن الا معرج ساعة ... قليلاً، فإني نافعٌ لي قليلهُا

ومحل الشاهد في البيت الثاني .

ومن أمثلة ذلك قول القاضي الأرجاني:

دعاني من ملامكما سفاها ... فداعِي الشوق قبلكما دعاني

ومن أمثلته أيضاً قول الآخر ، وهو عبد الملك بن محمد الثعالي صاحب اليتيمه :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها ... فانف البلابل باحتساء بلابل

ومن امثلته أيضا قول الحريري :

فـمـشـغـوف بآيات المثـاني ومـفـتـون برنات المثـاني

ومن أمثلته قول امرئ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شئ سواه بخزّان

ومنه أيضاً قول عبد الله بن عيينه :

فدَعِ الوعيدِ فما وعيدك ضائري أطنينُ اجنحة الذباب يضير ؟

نص :

(والسَّجْعُ جَا مِن الْبَدِيعِ اللَّفْظِ[1] وَخَيْرُ مَدْعَاةٍ لِحُسْنِ لَفْظِ)

(تَواطُؤ الْفَاصِلتَيْنِ نَثْرا عَلى اتّحَادٍ في انْتِهَاءٍ يُجْرِي)

(قَالَ السَّكاكي مِثْلُهُ في النَّثْرِ مِثْلُ القَوافِي عِنْدَ أهْلِ الشِّعْرِ)

(مُطَرَّفٌ لَدَى اخْتِلاَفِ الْوَزْنِ إلاَّ يَكُنْ، وكَانَ فيمَا يَعْنِي)

(مَا في قَرِينَةٍ أوْ الْجُلُّ لَهُ في الْوَزْنِ مِ الأُخْرى كما قَابَلَهُ)

(ثُمَّ وفي تَقْفِيَّةٍ يُطِيعُ عَرِّفْ لِذَا بأنَّهُ التَّصْرِيعُ)

(إلاَّ يَكُنْ، فَالْمُتَوازي كانا واللهَ نَرْجُو الْعَفْوَ والأمَانا)

ش : يعني أن السجع من أقسام البديع اللفظي، وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا هو معنى قول السكاكي : الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر، وهو ثلاثة أقسام : مُطَرَّفٌ، ومُتَوازٍ، وتَرْصِيع ؛ لأن الفاصلتين إن اختلفتا في الوزن فهو السجعُ المطرَّفُ، ومثلا له بقوله تعالى في سورة نوح : ﴿مَالَكُمْ لا ترجُون للّهِ وَقاراً، وقَدْ خَلَقكُمْ أطْوَاراً﴾ .

واما الترصيع : هو أن يكون ما في احدى القرينتين من الألفاظ، أو يكون أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية، ومثله قول

---

(١) بحذف ياء النسبة حفاظا على المستفعلة .

الحريري :

فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه. وكقول أبي الفضل الهمذاني : إنَّ بعد الكدر صفوا ، وبعد المطر صحوا، وكقول أبي الفتح البستي : ليكن إقدامُك توكلا، واحجامك تأملا .

وأمّا السَّجْعُ المتوازي فهو ما اتفقا وزنا، ولم يكن ما في الأولى مقابلا لما في الثانية في الوزن والتقفية، ومثلوا له بقوله تعالى في سورة الغاشية : ﴿ فيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وأكوَابٌ مَّوضُوعَةً ﴾ ومنه قوله ﷺ : (اللهم إني أدأ بك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم) .

وشرط حسن السجع اختلاف قرينته في المعنى كما مر المثال له، لا كقول ابن عباد يصف مهزومين : طاروا واقين صدورهم بظهورهم، وبأصلابهم نحورهم .

وقالوا : إن احسن السجع ما تساوت قرائنه، ثم ما طالت قرينته الثانية، أو الثالثة، كقول أبي الفضل الميكالي : له الأمر المطاعْ ، والشرف اليفاعْ، والعرض المصون، والمال المضاعْ .

وأعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الأعجاز، وذلك ما أشار إليه النظم بقوله :

نص :

(والسَّجْعُ مَبْنيٌّ عَلى سُكُونِ أعْجَازِهِ في الْمَذْهَبِ الْمَصُونِ)

ولابد من الوقوف على إعجاز السجع لأن الغرض ان يزاوج بينها، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف، ألا ترى انك لو وصلت قولهم : « ما أبعدَ

ما فاتَ، وما أقرب ما هو آتٍ» لم يكن بُدٌّ من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الاعراب، فيفوت الغرض من السجع .

(ولاَ يُقَالُ إنَّ في الْقُرآنِ سَجْعاً لَدى فَواصِلِ الْمَثَانى)

(فَالسَّجْعُ مصنوع، له تكلُّفُ وضذاكَ مِنّ لاَزِمه التّعَسُّفُ)

(مَنْ رَامَهُ أجْبَرَهُ مَا قَالَهُ حتَّى يَكُرنَ المَعْنَى تابعاً لَهُ)

(وَذَاكَ نَقْصٌ في الكَلاَمِ قَادِحْ بَلْ هُوَ عَيْبٌ شائنٌ وَفَاضِحْ)

(والرَّأيُ أنَّهُ لِذَا الْقَبِيلِ إطلاَقُهُ اسْتَحَالَ في التَّنْزِيلِ)

(إنَّ الَّذي يُظَنُّ في القُرآنِ سَجْعاً، فَواصِلُ بلاَ بُهْتَانِ)

(بعِيدَةٌ مِّنْ أنْ تَكُونَ سَجْعَا لِمَا عَلِمْتَ مِنْ حِجَاجٍ تُرْعَى)

(ألا تَرَى السَّاجِعَ وهو يفْتَقِرْ في آخرِ السَّجْعَةِ للْوَقْفِ يفِرْ)

(بِذَاكَ مِنْ تَفَاوتِ التَّقْفِيَّةْ إذْ لا تَزاوُجَ بلا تَقْفِيَّةْ)

(والسَّجْعُ إنْ تَفَاوتَتْ أوْزَانُهُ واخْتَلَفَتْ طُرُقُهُ فَشَانُهُ)

(شَأنُ قبيح القَولِ بالْمعْقُولِ ولاَ كذا فَواصِلُ التنزيل)

ش : حاصل هذه الأبيات التحريج على تسمية فواصل الآي سجعا، لان السجع مصنوع متكلف والتكلف من لازمه التعسف حتى ان صاحبه الذي يحاوله يجبره السياق حتى يكون تابعاً له ليس له تحكم في نفسه لشدة رغبته في تقفية فقراته، وذلك نقص كامل قادح وعيب شائن فاضح، لذلك فإن الرأي الصواب ان اطلاق السجع على فواصل الآي لا يجوز تأدبا مع كلام الباري جلّ جلاله وتنزيهه عن التصريح بأن يكون فيه ما ينسب للحمام التي هى من الدواب العجم إذ السجع في الأصل هو هدير الحمام ثم نقل لهذا

المعنى، فلا يصرح بوجوده في القرآن لما ذكر ولكونه من نغمات الكهنة في كثرة أصل اطلاقه، انظر شروح التلخيص .

نص :

(يُقَــالُ إنَّ السَّــجْعَ لاَ يَخْــتَصُّ   بِالنَّثْرِ، بَلْ في الشِّعْرِ جَاءَ النَّصُّ)

(قَــالَتْ خُنَاسُ في رِثاء صَــخْــرِ   رائيــة في ذا المجَــالِ تَجْــرِي)

ش : يعني ان السجع لا يختص بالنثر بل قيل انه يقع في الشعر، ومثاله في الشعر قول أبي تمام :

تَجَلَّى به رشــدي، وأثرتْ به يدي   وفــاض به ثمــدي، وأروي به زندي

وقالت الخنساء في رثاء صخر :

حـامي الحقـيـقة، مـحـمود الخليـقـة   مــهــدي الطريقــة، نفَّــاع ضـرَّارُ

نص :

(وَمِنْهُ مَــا يُسَــمَّى بالتَّــشْطِيــر   ومِــنْــهُ تَــصْــــريعٌ بلا تَــزْوِير)

ش : يعني أن من السجع على هذا القـول ما يسمى التشطير، وهو أن يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لاختها، كقول أبي تمام :

تدبيــرُ مــعــتــصمٍ، بالله مُنْتَــقِمٍ   لله، مــرتغب في اللّهِ، مُــرْتَقِبِ

ومنه ما يسمى التصريع، وهو جعل العروض مُقفَّاةً تقْفيةَ الضرب، كقول أبي فراس :

بأطراف المثــقــفــة العَــوَالي   تَفَــرَّدْنا بــأوْسَــاطِ المَعَــالِي

قال في الإيضاح : وهو مما استحسن حتى إن اكثر الشعر صُرِّع البيت الأول منه، ولذلك متى خالفت العروض الضرب في الوزن. جاز ان تُجْعَل

مُوَازنةً له إذا كان البيت مصرعاً، وذلك كقول امرئ القيس :

الأ عم صباحا أيها الطلل البالي وهل ينعمنْ من كان في العُصُر الخالي

فقد أتى بعروض الطويل « مفاعلين » وذلك غير جائز إلا إذا كان البيت مصرعه .

نص :

(والَّفْظُ مِن قسيمه المُوَازَنَةْ تَسَاوى فقْرَتَيْنِ في الْموَازَنَةْ)

(مِنْ غَيْرِ أنْ تتَّفِقَا في التَّقْفِيةْ والْقَلْبُ مِنْهُ وهو أيضاً تَسْوِيهْ)

(أن تَقْرَأَ الْكَلاَمَ مِنْ ألاَهُ وعَكْسِ ذا مِن غَيْرِ أنْ تَلْقَاهُ)

(يَجْري عَلَيْهِ أيُّمَا تَغْيِيرِ لَدَى القِراءَةِ وفي التَّعْبِيرِ)

ش : يعني المحسنات اللفظية منها ما يدعى الموازنة، وهى ان تكون الفاصلتان متساوتين في الوزن دون التقفية، ومثلوا لذلك بقوله تعالى في الغاشية : ﴿ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة﴾ .

فإن كان ما في احدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثلَ ما يقابله من الاخرى في الوزن، خصَّ باسم المماثلة، ومثلوا له بقوله تعالى في الصفات : ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم﴾ . وقول أبي تمام :

مها الوحش، إلاَّ أنَّ هاتا أو أنس قنا الخط، إلا أنَّ تلك ذَوابلُ

ومنه القلب كقولك :أرض خضراء، وكقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل : « سر فلا كبابك الفرس » ومنه جواب القاضي له : « دام علا العماد » .

ومنه قول القاضي الأرجاني :

مـــــــودتـه تـدوم لـكـل هـول وهـل كـل مــــــودتـه تـدوم

ومثلوا له بقوله تعالى في سورة المدثر : ﴿ وربَّك فكبرِّ ﴾ .

وهو ان يكون الكلام يقـرأ من آخـره مـثل قـرآءته من أوله من غـيـر أن يحصل عليه تغيير وغايته ان يكون رقيقا منسجماً بلا تكليف .

نص :

(ومِنْهُ مـا يَدْعُـونَهُ التَّـشْـريعَـا ويُدْعَى تَوْشِيحاً ، يَجي رَفِـيعَـا)

(بِنَاؤكَ البَـيْتَ عَلى حَـرفَـيْنِ مَعْ صِـحَّـةِ المَعْنَى لَدَى الْوَقْـفَـيْنِ)

(عَلَيْـهِـمَـا ، كـلاهُمَـا قَـافِـيَّـهْ كَـقَـوْلِه : يَاخَـاطِبَ الدُّنيَّـةْ)

ش : يعني ان البديع اللفظي منه ما يسمى التشريع، وهو : بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما ، ومثاله قول الحريري :

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردا وعــمــارة الأكــدار

دار متى أضحكت يوما ابكت غدا بُـعْـداً لـهـا مـن دار

غاراتها لا تنقضي وأسيرها لا يفتدي بـحـلائـل الاخـطـار

نص :

(ثُـمَّ لُـزُومَ لِـلَّـذي لاَ يَـلْـزَمُ وكَـوْنُهُ مِنَ الْبَـديعُ يَعْلَمُ)

(وهو الْتِـزَامً قَـبْلَ حَـرْفِ الرَّاوي مَـالَيْسَ لازِمـاً لِحُسْنٍ حَـاوِى)

(وشَـرْطُ حُـسْنِ هَذه الأجْناسِ أنْ تَتْـبَعَ الْمَـعْنَى بلا انعِكَاسِ)

ش : يعني أن البديع اللفظي منه ما يدعى بالتزام ما لا يلزم ، وهو ان

يجئ قبل حرف الَّرِوِّى وما في معناه من الفاصلة، ما ليس بلازم في مذهب السجع، ومثلوا له بقوله تعالى في الأعراف : ﴿ فإذا هم مبصرون، واخوانهم يُمدُّونَهُمْ في الْغَيِّ ثم لا يقصرون ﴾ وبقوله تعالى في سورة الضحى : ﴿ فأما اليتيم فلا تَقْهَرْ وأما السائل فلا تنهرْ ﴾ .

ومنه قول أبي الأسود الدؤلي يمدح عمرو بن سعيد بن العاص :

سأشكر عمرا ما تراخت منيتي ... أياديَ لم تمنن وإن هي جلَّت

فتىً غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّت

رأى خَلتي من حيث يخفى مكانُها ... فكانت قذى عينيه حتّى تجلَّت

ومنه قول العمري :

يقولون في البستان للعين لذة ... وفي الخمر والماء الذي غير آسِنِ

إذا شئت ان تَلْقَى المحاسن كلها ... ففي وجه من تهوى جميع المحاسِنِ

وشرط حسن البديع اللفظي أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني، فإن المعاني إذا أرسلت على سجيتها، وتركت وما تريد ، طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس إلا ما يليق بها، فإن كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها ... وأعضائها ، فالحسن عنك مُغَيَّبُ

فصلٌ في السرقات الشعْرية

نص :

(إنَّ اتِّفَــاقَ الْقَــائلينَ إنْ يَكُن فِـيمـا يَعُمُّ كـالشَّجَاعَـة اعْلَمَنْ)

(وكـالسَّخـا وَضِـدِّه السَّخَـاءِ وكَـالْبَـلاَدَةِ وكـالذَّكَـاءِ)

(فَـذَاكَ لاَ يُعَـدُّ في السِّرْقَـاتِ ولاَاسْـتِـعَـانَةٍ ونَحْـو هَاتي)

(والسَّـرِقَـاتُ أخْـذُهَا نَوْعَـانِ خَـفـيـةٌ وغَـيْرُهَا ، فـالثَّـاني)

(أن يأخُذَ الْمَعْنَى مَعَ اللَّفْظِ وقَـدْ يأخُـذُ بَعْضَ مَـا مِنَ اللَّفْظِ وَرَدْ)

(أوْ يأخُذَ الْمَعْنَى فقط، فإن يَكُنْ أخـذه جَـمـيـعَـهُ بِدُونِ أنْ ...)

(بُغَـيِّـرَ النَّظْمَ فـذا مَـذْمُـومُ سَـرِقَـةٌ تَمَـحَّـضَتْ، والْقَـوْمُ)

(يَدْعُـونَ ذا نَسْـخاً كـذَا انْتِـحالاً وَالْمَسْخُ مَـا قَـدْ غَـيَّـرَ الْمَـقَـالاَ)

(وَهْوَ إغَـارَةٌ، فـهـذا إن يكُنْ أبْلَغُ مِمَّا قَـبْلَهُ فـهْـوَ حَـسَنْ)

(كَـزَيْدِهِ المعنى، والاخْـتِـصَـارِ وَحُـسْنِ سَـبْكِهِ عَلى الْمُخْـتَـارِ)

ش : مرادُه أن اتفاق القول، إن كان في الاغراض العامة كالوصف بالشجاعة ، والسخاء والبلادة، والذكاء ونحو ذلك، فلا يعد سرقة ولا استعانة ولا نحو ذلك ، لأن هذه متقررة في النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم .

وان كان اتفاق القول في وجه الدلالة على الغرض، كالتشبيه بما توجد الصفة فيه على الوجه البليغ، وذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة كوصف الرجل حال الحرب الابتسام، وسكون الجوارح وقلة الفكر،

وكوصف الكريم بالتهلل عند ورود العفاة، وكوصف البخيل بالعبوسة وقلة البشر ، مع سعة ذات اليد، ومساعدة الدهر، وكتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر، والبليد البطئ بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف البتار، فإن الاتفاق في عموم ذلك اتفاق في عموم الاغراض .

وأمَّا إن كان الاتفاق في القول جرى فيما لا ينال إلا بالفكر ، ولا يصل إليه كل أحد فذلك الذي يمكن أن يدَّعي فيه الاختصاص والسَّبْقُ، وأن يقضى فيه بين القائلين بالتفاصيل وأنَّ احدهما فيه أفضل قولاً من الآخر، وأن الثاني زاد على الأول أو نقص عنه ثم إن الأخذ والسرقة نوعان : ظاهر ، وغير ظاهر .

أمَّا الظاهر فهو أخذ المعنى برمته، إمَّا مع اللفظ كله، أو مع بعض الألفاظ، وإمّا أخذ المعنى وحده .

فإن كان المأخوذ المعنى كله من غير تغيير لفظه فهو مذموم مردود، لأنه سرقة محضه وتسمى نسخاً وانتحالاً، ومثلوا له بأن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما دخل يوماً على معاوية رضى الله هنه ، فأنشده :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقلُ
ويركب حدَّ السَّيف من ان تضيمَهُ ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزْحَلُ

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدي ياأبا بكر ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل مَعْنُ بن أوسٍ المزنيُّ، فأنشد قصيدته التي أولها :

لعمرك ما أدري وإنّي لأوجلُ ... على أيّنا تَعْدُو المنيَّة أوّلُ

حتى أتى على آخرها ، ومن ضمنها البيتان اللذان انشدهما عبد الله رضي الله عنه، فأقبل عليه معاوية رضي الله عنه، وقال : ألم تخبرني أنهما

لك؟ ، فقال : المعنى لي، واللفظ له، وهو أخي في الرضاعة، وأنا أحق بشعره.

وقد روى هذا البيت لكل من أوس وزهير، من غير تغيير في لفظه :

إذا أنت لم تعـرض عن الجـهل أصبت عليماً أو أصابك جاهل

وروى للأبيرد اليربوعي :

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء اعوزها القطْرُ

وروى لأبي نواس :

فتىً يشتري حسن الثناء بماله ويعلم ان الدائرات تدور

وروى في مدح معبد لبعض المتقدمين :

أجادَ طويسٌ والسُّريْجِيُّ بَعْدَهُ وما قصباتُ السبق إلا لمعبد

وروى لأبي تمام :

محاسن أصناف المغنّين جمة وما قصبات السبق إلا لمعبد

ومن السرقات من هذا النوع ما كان التغيير فيه واقعاً بابدال كلمة أو أكثر بما يراد منها كقول امرئ القيس :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلِكْ أسيً وتجمل

وقول طرفة بن العبد :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلِكْ أسىً وتجلد

وكقول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تَعْلَمُ

وقول الفرزدق :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرفُ

الإغــارة والمســخ

وإن كانت السرقة بأخذ المعنى مع تغيير النظم، أو كان المأخوذ مع المعنى بعض اللفظ فقط، سمى ذلك إغارة ومسخاً، فإن كان الثاني أبلغ من الأول لاختصاصه بفضل كحسن السبك ، أو الاختصاص، أو الإيضاح، أو زيادة معنى، فهو ممدوح مقبول كقول بشار بن برد :

من راقب الناس لم يغفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتكُ اللَّهِجَ

وقول مسلم الجاسر :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسورُ

فقد حكموا بأن بيت مسلم أجود سبكاً واخصر .

وكقول القائل :

خلقنا لهم في كل عين وحاجب بسُمْرِ القنا والبيض عينا وحاجبا

وقول ابن نُباتة بعده :

خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم عيونا لِها وقْعُ السَّيُوفِ حواجب

فقد حكموا لابن نباتة أن بيته أبلغُ، لاختصاصه بزيادة معنى هو الإشارة إلى هزيمتهم ومنهم من جعلهما متساويين .

وان كان الثاني دون الأول في البلاغة فهو المذموم المردود، ومثلوا له بقول أبي تمام :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إنَّ الزمان بمثله لبَخِيلُ

وقول أبي الطيب المتنبي :

أعدي الزمان سخاؤه، فسخا به		وقد يكون به الزمان بخيلا

قال في الإيضاح : إن مصراع أبي تمام أحسن شبكا من مصراع المتنبي، فقد أراد أن يقول : ولقد كان الزمان به بخيلا، فعدل عن الماضي إلى المضارع، للوزن. قال : فإن قُلْتَ : المعنى : أن الزمان لا يسمح بهلاكه، قُلْتُ : السخاء بالشئ هو بذله للغير، فإذا كان الزمان قد سخا به، فقد بذله، فلم يبق في تصرفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به . أهـ. منه بتصرف قليل .

وإن كان الثاني مثل الأول، فالخطب أهون، وصاحب الثاني ابعدُ من المذمة ، والفضل موفور لصاحب الأول، ومثلوا له بقول بشار بن برد :

ياقومِ أذني لبعض الحي عاشقةً		والأذْنُ تعشقُ قبل العين أحيانا

وقول ابن الشَّحْنَةِ الموصلي :

إنّي امرؤ أحْبَبْتُكم لمكارمٍ		سَمِعْتُ بها ، والأذْنُ كالْعَيْنِ تَعْشَقُ

وبقول القاضي الأرَّجاني :

لم يُبْكِني إلاّ حديث فراقِكُمْ		لمّا أسَرَّ به إلّى مودّعي

هو ذلك الدر الذي أودعتُم		في مسمعي القيته من مدمعي

وقول جار الله الزمخشري :

وقائلة : ما هذه الدرر التي		تساقطُها عيناك سمطين سمطين؟

فقلتُ : هى الدرر التي قد حشابها		أبو مضر أذني تساقط من عيني

وكقول أبي تمام :

لو حار مرتادُ المنية لم يجد		إلاّ الفراق على النفوس دليلا

وقول أبي الطيب المتنبي :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت　　لها المنايا إلى أرواحنا سُبلاً

ثم أن هذا الضرب من السرقات اقبحه ما يدل على السرقة بأتقان الوزن والقافية ، ومثلوا له بقول أبي تمام :

مقيمُ الظن عندك والأماني　　وإنْ قلقت ركابي في البلادِ

ولا سافرت في الآفاق إلاَّ　　ومن جدواك راحلتي وزادي

وقول أبي الطيب المتنبي :

وإنيٍّ عَنْك بعد غدٍ لغادٍ　　وقلبي عن فنائك غير غادِ

مُحِبُّكَ حَيْثُما اتَّجهَتْ ركابي　　وضيفُك حَيْثُ كنْتُ من بلادي

وقد أشار النظم إلى الاغارة والسلخ المذموم بقوله :　　نص :

(وفي الْبَلاَغَةِ مَجئ الثَّاني　　يَفْضُلُهُ الأولُ في ذا الشَّان)

(فَحُكْمُهُ مَذَمَّةٌ والرَّدُّ　　وأقْبَحُ السِّرْقَةِ فيمَا يَبْدُو)

(هو الَّذي يَدُلّ باتِّفاقِ　　وزنٍ وغَيْرِه لدَى الحُذَّاقِ)

(بأنَّهُ سَرِقَةٌ مَذْمُومَهْ　　ونَفْسُ مَنْ يَفْعَلُهُ مَلُومَهْ)

الإلمام أو السلخ

نص :

(وإنّ يَكُ المأخُوذُ مَعْنَاهُ فقْط　　فَذَاكَ الْمَامٌ وسَلْخٌ انْضَبَطْ)

ش : مراده انه ان كان المسروق المعنى وحده سميت السرقة هذه الماما وسلخا، وهو على ثلاثة أقسام كذلك : أحدها أن يكون الثاني أحسن سبكا، ومثلوا له بقول البحتري :

تَصُدُّ حياءً أن تراك بأوْجُهٍ　　أتَى الذَّنْبَ عاصيها ، فليم مطيعُها

وقول أبي الطيب المتنبي :

وجُرْمٍ جرَّهُ سفهاءُ قَومٍ ... وحلَّ بغير جارمه العذابُ

فإنَّ بيت أبي الطيب أحسن سبكاً> وكأنه اقتبسه من قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ أتُهلِكُنا بما فَعَل السفهاءُ منَّا ﴾ .

وبقول المعذل بن غيلان أو هو لأبي سعيد المخزومي :

ولست بنظَّار إلى جانب الغِنَى ... إذا كانت العلياءُ في جانب الفقر

وقول أبي تمام بعده :

يصد عن الدنيا إذا عنَّ سُؤْدَدٌ ... ولو برزت في زيٍّ عَذْرَاءِ نَاهِدِ

فبيت أبي تمام أخصر وابلغ ، لأن قوله : « ولو برزت في زي عذراء ناهد » زيادة حسنة .

ومثلوا أيضاً له بقول أبي تمام :

هو الصُّنْعُ، إنْ يَعْجَلْ فخَيرٌ، وإن يَرِثْ ... فَلِلرَّيْثُ في بَعْضِ المواضِعِ أنفَعُ

فقد قال أبو الطيب المتنبي بعده :

ومِن الخير بُطءُ سيْبكَ عَنيٍّ ... أسْرَعُ السَّحَابِ في الْمَسيرِ الْجَهَامُ

والسحاب الجهام هى التي لا ماء فيها . ولا يخفى أن بيت أبي الطيب هذا أبلغ من بيت أبي تمام لاشتماله على زيادة بيان :

والثاني من الأقسام أن يكون التقصير في السبك من الثاني ومثلوا له بقول بعض الاعراب :

وريحُهَا أطْيَبُ مِنْ طِيبِهَا ... والطيِّبُ فيهِ الْمِسكُ وَالْعَنْبَرِ

فقد قال بشار بعده :

إذا أدنَيْتَ مِنْهـا بَصَـلاً غلبَ الْمِسْكُ عَلى ريحِ الْبَصَلْ

وكقول أشجع :

وعلى عـدوِّكَ ياابنَ عَمِّ مُحَمَّـدٍ رَصَدانِ : ضَوْءُ الصُّبْحِ والإظْلاَمُ

فـإذا تنبَّـهَ رُعْتَـهُ ، وإذا هدا سَلَّتْ عَلَيـهِ سُيُـوفُكَ الأحْـلامُ

وقول أبي الطيب المتنبي :

يَرىَ في النَّوْمِ رُمْـحكَ في كُـلاَهُ ويَخْـشَى ان يَراهُ في السُّهَـادِ

فإنه لا يخفى فيه خطأ المتنبي بذكره السهاد هنا يريد به اليقظة، ليقابل بها النوم ومحل خَطِئه أنه ليس كل يقظة سهادا، إنما السهاد امتناع الكرى في الليل خاصة، وان المستيقظ بالنهار فلا يسمىَّ ساهدا .

وكقول الخنساء :

ومـا بلغ المهـدون للناس مـدحـة وإن أطنبـوا إلاَّ ومـا فـيك أفْـضَلُ

وقول أشجع :

ومـا ترك المدَّاح فـيك مـقـالةً ولا قـال إلاَّ دُونَ مـا فـيك قـائلُ

فإنه لا يخفـاك أن بيت الخنسـاء أحسن من بيت أشجع لما في مصراعه الثاني من التعقيد لأن تقرير معناه : ولا قال قائل إلا دون ما فيك .

وأما القسيم الثالث منه ، وهو ان يكون الثاني مثل الأول فقد مثلوا له بقول الأعشى :

ولم يكُ أكـثـر الفـتـيـان مـالاً ولكن كـان ارحـبـهم ذراعـاً

وقول أشجع:

وليس بأوسَـعِـهم في الغنى ولكن مـعـروفـه أوسَعُ

وكقول بكر بن النَّطاح :

كـأنك عند الكر في حـومـة الوغى ... تفِــرُّ من الصف الذي من ورائكا

وقول المتنبي أبي الطيب :

فكأنه الطعن من قـــدامـــه ... مُـتَـخـوِّفٌ من خلفـه ان يطعنا

فإن هذه الأبيات متساوية في الحسن والله تعالى أعلم .

وأمَّا السَّرقات غير الظاهرة : فمنها أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثاني، ومثلوا لذلك بقول الطرمَّاح بن حكيم الطائي :

لقــد زادني حــبــا لنفــسي انني ... بغـيضٌ إلى كل امـرىء غـيـر طائل

وقول أبي الطيب المتنبي :

وإذا أتتك مــذمَّــتي من ناقص ... فــهي الشــهــادة لي بأني كــامـل

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل الطرماح، فشهادة ذم الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح نفسه .

وقول أبي العلاء المعري في مرثيتة :

ومــا كلفــة البــدر المنيــر قــديمة ... ولكنهــا في وجــهــه أثر اللَّطم

وقول القيسراني :

وأهوى الذي أهوى له البدر ساجدا ... ألست ترى في وجـهـه أثر التـرب

وأوضح من ذلك قول جرير :

فـــلا يمنعْك من أربٍ لحـــاهم ... ســواءً ذو العــمـامــة والخــمــارِ

وقول أبي الطيب المتنبي :

ومن في كــــفـــه منهم قناة ... كــمن في كــفــه منهم خـضــاب

ولا يغرنَّك من البيتين المتشابهين أن يكون احدهما نسيبا والآخر مديحا أو هجاء أو افتخارا أو غير ذلك، فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى لاختلاسه في نظمه تحيل في اخفائه، فغير لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته .

تنبيه : محل الحكم على ان الشاعر سَرَقَ من فلان مثلاً هو ان يعلم أن هذا الشاعر كان يحفظ قول الأول حين نظم شعره ، أو بأن يخبرهو عن نفسه أنه أخذه منه لجواز أن يكون حصل الاتفاق لا مكان توارد الخواطر من غير قصد إلى الأخذ والسرقة كما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه :

مـفـيـدٌ، ومـتـلافٌ، إذا مـا اتَـيْـتُـه تَـهَلَّلَ واهـتَـزٌ اهـتـزاز الْمُهَنَّدِ

فقيل له : أين تذهب ؟ هذا للحطيئة، فقال : الآن علمت أنّي شاعر حيث اني وافقت على قوله ولم اسمعه .

لذلك ، لا ينبغي لأحد بتُّ الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال، وإلاّ فالذي ينبغي أن يقال : قال فلان كذا، أو يقال : قد سبقه إليه فلان فقال كذا، فهو أسلم من نسبة النقص إلى الغير .

نص :

(وإنْ يُضَمَّنْ من كَلاَمِ اللَّهِ أوْ مِنْ حَديثِ الْمُصْطَفَى الْأوَّاه)

(كَلاَمَهُ في الشِّعْرِ أوْ في النَّثْرِ فَذَاكَ الاقْتِبَاسُ فيمَا يَجْري)

(وإنْ تُضَمِّنْ مِنْ كَلامِ الْغَيرِ مُنَبِّهاً بأنَّهُ لِلْغَيْرِ)

(فَذلِك التَّضْمِينُ، أمَّا الْعَقْدُ فَهُوَ نَظْمُ مَا بِنَثْرٍ يَبْدُو)

(لَيْسَ عَلى طَرِيقِ الاقْتِبَاسِ والْحَلُّ هُوَ نَثْرُ ما بِنَظْمٍ راسٍ)

(ثُمَّ قَبُولُهُ لَهُ شَرْطَانِ جَوْدَةُ سَبْكِهِ ، وأمَّا الثَّاني)
(فَهُوَ حُسْنُ مَوْقِعٍ يَرَاهُ وَأَمَّا تَلْمِيحٌ فَقَدْ تَرَاهُ)
(بِهِ إِلى شِعْرٍ يُشِيرُ أَوْ حَدَثْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ ذَلِكَ الْحَدَثْ)

ش : مراده بهذه الأبيات أنه يتصل بباب السرقات ما يعرف بالاقتباس، والتضمين، والعقد، والحل، والتلميح، وقد عرف جميعها في هذه الأبيات، فقال: ان الاقتباس هو أن يتضمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم، أو من الحديث الشريف، لا على أنه منه، ومثلوا له بقول الحريري :(فلم يكن ﴿الا كلمح البصر أو هو أقرب﴾) حتى أنشد فأغرب .

وكقول ابن لباتة الخطيب : فيأيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون مالكم لا تشفقون، [فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما انكم تنطقون] .

وكقول الأحوص :

إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر الحب والحشا سرائر ود يوم تبلى السرائر

وقول أبي القاسم بن الحسن الكاتبي :

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم (فصبرٌ جميل)
وإن تبدَّلت بنا غيرنا (فحسبنا اللّهُ ونعم الوكيل)

وكقول الحريري :

كتمان الفقر زهادةً، وانتظار الفرج بالصبر عبادةً – فإن قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة حديث شريف ؛

وأمَّا التضمين : فهو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير، مع التنبيه عليه، إن لم يكن مشهورا عند البلغاء، كقول ابن التلميذ الطيب النصراني :

كانت بُلَهْنِيةُ الشبيبةِ سَكْرَةً فصحوت واستبدلت سيرة مُجْملِ
وقَعَدْتُ أنتظر الفناء كراكب عرف المحل، فبات دُون المنزل

فإن بيته هذا الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري .

وكقول ابن العميد :

وصاحب كنت مغبوطا بِصُحْبته دَهْراً، فغادرني فَرْداً بلا سَكَنِ
هبَّتْ له رِيحُ إقْبَالٍ فطارَ بها نحو السرور، والجاني إلى الحزن
كأنه كان مطوياً على احنٍ ولم يكن في ضروب الشعر انشدني
إنَّ الكرام إذا ما اسْهَلُوا[1] ذكروا من كان يألَفُهُمْ بالمنزل الخشن

لطيفة : ولهذا البيت حكاية أخرى، ذكروا أن الأمير محمد بن محمد شين بن بكار أمير اودعيش ومن في حمايتها، كان يوما يتذاكر مع جدّنا أحمد ابن المختار الجكني، والشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي شيخ مشائخنا، والأستاذ عبد الله بن سيد محمود، فكان مما دار في المذاكرة أن أنشد أحدهم قول طالب العلم لزميله :

كنا غريبين في علم نكابده والقلب والعين منا في أذى وقذى
واليوم اقبلت الدنيا عليك بما تهواه، لا تنسني إن الكرام إذا

فدار حديث الجماعة حول البيت الذي ضمن فيه الطالب ، بيته، وكان هذا الطالب الذي أنشد البيت، قد آوى زميله الذي أنشده أيام طلبهما

(١) وفي رواية : إذا ما ايسروا . بدل اسهلوا .

للعلم، وأيام فقر الثاني ويسار المنشد، فاستحال الزمن كعادته، فجاء إلى زميله يستجديه ويذكره بما كان وبعد أخذ ورد في الموضوع بين الجماعة، أخبر جدنا أنه رأى في النوم ان ابن عم له مر بهم في صفة كذا وكذا في موضع كذا، وأخبرهم بقائل البيت وبالبيت المضمن فيه وبقصيدته وقائلها، فعزم الأمير على الذهاب إلى ذلك الموضع، وكان من تمام رؤيا الوالد أنه افترق مع جماعته هذه هناك، ولما وصلوا الموضع ومكثوا فيه قليلاً مر عليهم حيٌّ من العرب في ظعائنه، فأشارت أمارات الرؤيا إلى واحد منه، فسألوه، فأجابهم بأن البيت المضمن فيه لأبي تمام من نونيته التي مطلعها كذا وأنشدهم إياها، وكان الرجل من أولاد الحاج من بني جاكان .

فاتفق ان الحيَّ نزل بالقرب من المحل الذي تقيل فيه الجماعة، فأرسل الشيخ أحمد المختار رفيقه إلى البيت الذي يليهم يريد شراباً له ولرفقائه، فقالت صاحبة البيت : من هؤلاء ؟ قال : الشيخ أحمد بن المختار الجكني ، فبالغت المرأة في سبه وشتمه، وقالت : ثم من ؟ قال : الأمير محمد بن محمد شين، فقالت : نعم الكريم ابن الكريم، ثم من؟ قال : الشيخ عبد الله بن إبراهيم العلوي ، فقالت : جاء الخير وذهب الشر، هذا العلامة الذي لا يجارى ولا يبارى، ثم قالت : ثم من ؟ قال : عبد الله بن سيدي محمود الحاجي، فأثنت عليه هو الآخر ثناء عاطراً، ثم أخذت تبالغ في ضيافة الجماعة، وقالت لذويها : خبروا الشيخ أحمد بن المختار ان ضيافتي هذه حرام عليه تذوقها، فلما ارسل اليها يستوضح سبب هذا كله، حملها الغضب عليه ان باشرته بنفسها

تخاطبه بان ثناءها على هؤلاء وترحيبها بهم كان لما احاطوا به عشائرهم من الرعاية، وأمّا أنت : فهل أنت الا فحلُ إبل يَكتِ في غير إبله؟ فقال الشيخ : هذه ولابد من بنات عمي يعقوب .

وكان مغزى المرأة حمله على الرجوع لعشيرته، لأن عشيرته آنذاك كانت في منطقة الحوض، وكان خرج نازحا لطلب العلم، فلما وجد الزملاء والأخلاء والجاه عند أمير البلاد جلس ، فهيجته المرأة بكلامها حتى رجع عن القوم من وقته ذلك، ولما كبر الأمر على الأمير محمد بن محمد شين، خبره الوالد بأنه ذاهب إلى أولاد إبراهيم ليرجعهم إلى جماعتهم في تكانت ولكن يصعب عليَّ أني لم ار مكانا يشبه ما تعودوه من الأرض إلا موضع كذا وبه بنو فلان وهم سيئوا الجوار، فقال أمّا هذه فعليَّ اذهب فائت بعشيرتك والله لن تجد بها أحداً ؛ فأرسل الأمير إلى رئيس تلك القبيلة واخبره ان هذا المكان معد لنزول أولاد إبراهيم ، وانه لذلك يأمره باخلائه، ففعل .

ومن شواهد التضمين، قول الحريري :

على أني سأنشد عند بيعي ... أضاعوني وايُّ فتىً أضاعوا

والمصراع الأخير للعرجي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : وبيته :

اضاعوني وأي فتىً اضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

لطيفة : تتعلق بهذا البيت :

كان أبو حنيفة النعمان عليه رحمة الله له جار أسكاف يشتري كل يوم من عمله لحما يشويه ووعاء خمر، ويبيت طول الليل يشرب ذلك الخمر ويأكل من لحمه، وينشد بيت العرجي هذا « اضاعوني وأي فتى أضاعوا .... »

إلى أن يصبح، فخرج ذات ليلة فأخذته الدورية وهو غير واضح، فافتقده أبو حنيفة ليْلتين، فقال : ما بال جارنا الاسكاف؟ قالوا : أخذه الشرطه وهو موقوف عندهم، فقال الإمام : قربو لي برذوني ، فركب وذهب نحو الأمير، ولما رئَ الإمامُ متوجهاً دار الامارة اخبر الأمير بقدومه، فخرج بنفسه من مقصورته يستقبله حتى كان هو الذي أنزله من فوق برذونه، وقال: أي ريح طيبه جاءت بك إلينا ؟ قال : إن لي جارا اسكافا افتقدته وبلغني أنه موقوف عند الشرطه، فإن لم يكن عليه حد من حدود الله، أو كان الحد أقيم عليه، ارجو اطلاق سراحه . فقال الأمير : وكرامة أطلقنا كل من أخذ بليلته .

ولما رجع الإمام إلى منزله، والاسكاف آخذ بركابه، سأله قائلاً : اعلمت اننا لن نضيعك؟ فأجاب الأسكاف : علمت ذلك وأشهد الله على توبتي، ويذكرون أنه صار من صالح المؤمنين بعد ذلك ، والله تعالى أعلم، ملخصه مذكور في شرح الخطاب لمختصر خليل .

وأمَّا العَقْدُ فهو : أن يُنْظَمَ نَثْرٌ لا على طريق الاقتباس :

أمَّا عقد الفاظ جاء مثلها في القرآن، فمثاله قول الشاعر الحسين بن الحسن الواساني الدمشقي :

أنِلني بالذي استقرضت خطاً وأشْهِدْ مَعْشَرا قد شاهدوهُ
فإنَّ اللّهَ خلاَّق البَرايا عَنَتْ لجَلاَلِ هيبته الوُجوهُ
يَقُولُ إذا تداينتم بدَينٍ إلى أجَلٍ مُسمًّى فاكْتُبُوهُ

وعقد ما جاء مثله في الحديث مثاله ما يروى أنه للشافعي رحمه الله :

عمدة الخير عندنا كلماتٌ أربَعٌ قالهُنَّ خير البريَّهْ

اتَّقِ الشُّبهات، وازهد، ودَعْ ما   ليس يعنيك، واعملنَّ بنيه

يريد بذلك عقد قوله ﷺ (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات) الحديث، وقوله عليه الصلاة والسلام : (ازهد في الدنيا يُحْبِبْكَ الله) وقوله عليه الصلاة والسلام : (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه) وقوله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات) .

ومثال عقد غيرهما قول الشاعر :

البس جديدك اني لابس خَلَقي   ولا جديدَ لمن لا يَلْبَسُ الْخَلَقَا

فإنه عقد المثل السائر : لا جديد لمن لا خلق له، يقال قالته عائشة رضي الله عنها، وقد وهبت مالاً كثيراً، ثم أمرت بثوب لها ان يرقع، وهو مثل يضرب في الحث على استصلاح المال .

وأمَّا الْحَلُّ : فهو ان ينثر النظم، وشرط كونه مقبولا امران :

* أن يكون سبكه مختاراً، لا يتقاصر عن سبك أضله .

* وأن يكون حسن الموقع، مستقرا في محله، غير قلق ، وذلك كقول بعضهم :

فإنه لما قَبُحَتْ فَعَلاته، وحنْظَلَتْ نَخَلاتُه، لم يزل سوء الظن يَقْتَادُهْ، ويُصَدِّقُ توهُّمَهُ الذي يَعْتَادُهْ ؛ - فإنه حل لقول أبي الطيب المتنبي :

رذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدَّق ما يعتادُهُ من توهُّم

وأمّا التَّلميحُ : فهو أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره، ومثاله قول ابن المعتز :

أتَرىَ الجيرةَ الذين تَداعَواْ   عِنْدَ سير الحبيب وقْتَ الزَّوالِ

عَلِمُــوا أنني مــقــيمٌ وقَلْبي راحِلٌ فــيــهم امــام الجـمــال

مـثلَ صـاعِ العـزيز في ارحل القَـوْ مِ ولا يعلمــون مَــا في الرحَــال

ومن التلميح ما يكون شبيه ألغاز، كما يروى ان تميما قال لنمري : ما في الجوارح أحبُّ إِليَّ من البازي، فقال النميري : إِذا كان يصطاد القطاء فقد اشار التميمي إِلى قول جرير :

أنا البــازي المطل على نمير أتيحُ من السمـاء لهـا انصبـابا

وأشار النميري إِلى قول الطرماح :

تميمٌ بطرقُ اللـؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل الهـداية ضَلَّتِ

فَصْلٌ

نص :

(وَيَنْبَغي تأنُّقُ الْكَلام لَدَى مَواضِعَ بِذَا الْكَلاَمِ)

(ثَلاثَةٍ حَتَّى يَكُونَ أعْذَابَا لَفْظاً ومَعْنَاهُ لذاك أطْيَبَ)

(في الأبتِدا، لأنَّهُ أوَّلُ مَا يَقْرَعُ سَمْعَ سَامِعٍ ، فَعِنْدَمَا)

(يَكُنْ كَمَا ذُكِرَ أصْغَى السَّامِعْ إلاَّ يَكُنْ، اغْلَقَ لِلْمَسَامِعْ)

(عَنْهُ ولَوْ كَانَ مِنَ الْفَصِيحِ واجْتَنَبُوا في مَعْرَضِ الْمَديحِ)

(لِكُلِّ مَا مِنْ شَأنِه التّطَيُّرُ فَذُو المَديحِ رُبَّمَآ يَطَّيَّرُ)

(بِهِ إذَنْ كَمَا حَكَى غَيْلاَنُ لَدَى مَلِيك أصْلُهُ مَرْوانُ)

(والابْتِدَا أحْسَنُهُ التَّناسُبُ لِمَآ بِهِ يَقْصُدُ مَنْ يُخَاطِبُ)

(يُدْعَى لِذا : براعَـةَ اسْـتِـهْـلالْ   لَمَـا حَـوَتْ مِنْ رَوْنَقِ الْجَـمَـالْ)
(ثُمَّ التَّـخَلُّصُ بالانْتِـقَـال   إلى الَّذي يُقْصَدُ بِالْمَقَال)
(وارْعَ المناسَبَةَ بَيْنَ مَـابِه   شَبَّبْتَ والْقَصْدِ بِهِ فانتبه)
(والانْتِـقَالُ رُبَّمَا بِدُونِ مَـا   مُلائمٍ، وذَا اقْتِضَاباً عُلِمَا)
(وبَعْـدُ، أَمَّا بَعْـدُ مِنَ ذا الْبَـاب   قِيلَ، وَذَاكَ الْفَصْلُ لِلْخِطَاب)
(ثُمَّ التَّأَنُّقُ فِي الانْتِهَاء   يُعْطِي الْكَلامَ رَوْنَقَ الْبَهَاء)
(أحْسَنُهُ بَرَاعَةِ اخْتِتَام   وَهْيَ الَّتي تُؤْذِنُ بالتَّمَامِ)

ش : مراده بهذه الأبيات أن المتكلم ينبغي له التأنق في ثلاثة مواضع من كلامه، حتى يكون كلامه أعذب لفظاً، وأحسن سبكا، وأصح معنى وهى :

أولاً : في ابتداء كلامه لأنه أول ما يقرع المسامع، فإن كان كما ذكر أقبل السامع على كلامه فوعي جميع ما يقوله، وان لم يكن كذلك أعرض السامع عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن .

مثال ذلك ما ابتدأ به امرؤ القيس معلقته :

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدّخول فحومل

وابتداء النابغة قصيدته بقوله :

كليني لهم ياأميمة ناصب   وليل أقاسيه بطئ الكواكب

وابتداء المتنبي بقوله :

أتظنُّني من زلةٍ أتعَتَّبُ   قَلْبِي أرَقُّ عليك مما تحسب

وكقول الآخر في ابتدائه :

زَمُّوا الجمالَ، فَقلْ للعاذل الجاني   لا عاصمَ اليوم من مدرار أجفاني

وأحسن ما يكون به الابتداء هو ما يناسب المقصود الذي يريد المتكلم ان يتطرق إليه وإذا كان الابتداء كذلك سُمِّيَ براعة الاستهلال، ومثلوا لها بقول أبي تمام يخاطب المعتصم في رجوعه من فتح عَمُّورية، وقد كان المنجمون زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

السَّيْفُ أصدقُ أنباءً من الكتب ... في حده الحُد بين الجِدِّ واللَّعب

بيضُ الصَّفائح لا سودُ الصحائف ... في متونهِنَّ جَلاءُ الشَّك والرِّيَبِ

ثم التخلص فينبغي للمتكلم بعد براعة الاستهلال ان يرعى الإنتقال مما شبب به في ابتداء كلامه إلى مقصوده من كلامه، مع رعاية الملاءمة بينهما، لأن السامع قد يكون مترقبا للإنتقال كيف يكون، فإذا كان حسنا متلائم الطرفين، حرك من نشاط السامع، وأعان على اصغائه ، وان كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس، ومن أحسن التخلص قول مسلم بن الوليد :

أجِدَّكِ ما تَدْرينَ انْ رُبَّ ليلة ... كأن دُجاها من قرونكِ يُنْشَرُ

سَهرْتُ بها حتّى تَجلَّتْ بغُرَّة ... كغُرَّة يحيى حين يُذْكَرُ جَعْفَرُ

وكقول أبي الطيب المتنبي يمدح المغيث العجلي :

مَرَّتْ بنا بين تربَيْها فَقُلْتُ لَها ... منْ أيْنَ جانَسَ هذا الشَّادِنُ الْعَرَبَا ؟

فاسْتَضْحَكَتْ ، ثم قالت : كالمغيث ... لَيْثَ الشَّرى، وهو من عِجْلٍ إذا انتسبا

وكقوله في مدح سيف الدولة :

خليلي مالي لا أرى غير شاعر ... فكمْ مِّنْهُمُ الدَّعْوى وَمنِّى القصائدُ

فلا تَعْجَبا إنَّ السُّيوفَ كثيرةً ... ولكنَّ سيْفَ الدَّولة اليوم واحدُ

فإن انتقل الشاعر من نوع ما شبب به إلى مالا يلائمه، سمى ذلك

بالاقتضاب وهو شأن العرب الأوَّل ومن يليهم من الشعراء المخضرمين، ومثاله قول أبي تمام :

لو رأى الله ان في الشيب خيرا   جاورته الأبرار في الخلد شيبا

كل يوم تُبْدِي صروف الليالي   خُلُقاً من أبي سعيد غريبا

ومن الاقتضاب قولهم أما بعد، وقولهم : وبَعْدُ، قيل : وهو فصل الخطاب، ومنه ايضا قولهم : هذا، كقوله تعالى في سورة صَ : ﴿ هَذَا، وإِنَّ للطاغين لشر مآب ﴾ أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر . قالوا : وهذا النوع من الاقتضاب قريب من التخلص .

ثم أنه ينبغي لمبتدئ الكلام ان يتجنب في مقصد المديح ما يتطير به، فإنه قد يتفاءل به الممدوح أو يتفاءل به بعض الحاضرين كما يروى ان غيلان بن عقبه دخل على هشام بن عبد الملك فأنشده :

ما بال عينيك منها الماء ينسكب   كأنه من كلا مفرية سرب

فقال هشام : بل عينك .

وقيل أن المعتصم لما بنى قصره بالميدان وجلس فيه، أنشده اسحاق الموصلي :

يادارُ غيَّرك البلى ومحاك   ياليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

لكن من يريد ان يذكر الديار والأطلال في مديح فليقل كما قال القطاميّ :

إنا محيُّوكَ فاسْلَمْ أيها الطلل   وبليت وان طالت بك الطيل

أو كما قال أشجع السلمى :

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جمالها الأيامُ

والثالث : الانتهاء، لأنه آخر ما يعيه السامع وآخر ما يرتسم في النفس، ان كان مختارا كما وصفنا جبر ما عساه يقع فيما قبله من التقصير، وان كان الانتهاء غير مختارا كان بخلاف ذلك وربما انسى محاسن ما قبله . ومن أحسن الانتهاءات قول أبي نواس :

وإني جدير اذ بلغتك بالمنى وانت بما املت منك جدير

فإن تولني منك الجميلَ فأهله وإلاَّ، فانيٍّ عاذرٌ وشكور

وأجمل الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام، كقول القائل :

بقيت بقاء الدهر ياكهف أهله وهذا دعاء للبرية شاملُ

وقول الآخر :

فلا حطَّت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

قلت : ولا يفوتك ما انهيت به كلامي بقولي : وهي التي تؤذن بالتمام.

نص :

(يارَبِّ صَلِّ ثُمَّ سلم أبَدَا عَلى النَّبيِّ الهاشِميِّ أحمدا)

(وآله وصَحْبِه الْهُداةِ إلى سبيلِ الرشْدِ والنَّجاة)

(ونَجِّنَا مِن حُوبِنَا الْعِظَامِ وأخْتُمْ لَنَا بأحْسَنِ الْخِتَامِ)

انتهى بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته . الحمد لله رب العالمين يوم الجمعة لاحدى عشرة خلت من ربيع الثاني عام سبع واربعمائة والف للهجرة .

فهرس جوهرة البيان وشرحها نيل الأماني

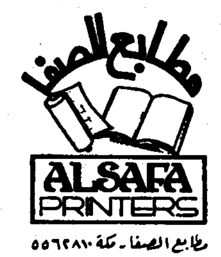
الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة
تأكيد الذم بما يشبه المدح من البديع المعنوي	٢٢٩
ومن البديع المعنوي الاستتباع والادماج والتوجيه	٢٣٠
الهزل الذي يراد به الجد من البديع المعنوي ومنه تجاهل العارف	٢٣١
من البديع المعنوي القول بالموجب	٢٣٤
المحسنات اللفظية منها الجناس التام	٢٣٧
الجناس المحرف	٢٣٩
الجناس المضارع	٢٤١
جناس القلب	٢٤٢
ملحق بالجناس جناس الاشتقاق ومثال ذلك	٢٤٣
من محسنات اللفظ رد العجز على الصدر	٢٤٤
ومن محسنات اللفظ السجع والكلام على اقسامه	٢٤٦
الكلام على استحالة تسمية ما في القرآن سجعا	٢٤٨
الموازنة من المحسنات اللفظية ومنه القلب والكلام على تعريف ذلك	٢٥٠
من المحسنات اللفظية التشريع ولزوم ما لا يلزم	٢٥١
الكلام على تعريف كل منهما بأمثلته	٢٥١
فصل في السرقات الشعرية	٢٥٣
الإلمام والسلخ	٢٥٨
تنبيه محل الحكم على ان الشاعر سرق الخ .	٢٦٢
حكاية وقعت في الصحراء الافريقية بمناسبة قول الشاعر : ان الكرام إذا ما ايسروا ذكروا ... البيت	٢٦٤
حكاية أخرى تتناسب مع قول العرجي : أضاعوني وأي فتى اضاعوا	٢٦٦
فصل ينبغي تأنق الكلام في مواضع	٢٦٩

انتهت والحمد لله


مطابع الصفا
ALSAFA
PRINTERS
مطابع الصفا - مكة ٥٥٦٢٨١٠